رُفُوف

دورية أكاديمية محكمة تعنى بقضايا المخطوط والدراسات الإنسانية

يصدرها مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا

-جامعة أدرار- الجزائر

رقم الإيداع: الترقيم الدولي: ISSN: 2335-1462

العدد الأول

جوان 2013

رُفُوف

دورية أكاديمية محكمة تعنى بقضايا المخطوط والدراسات الإنسانية

العدد الأول شعبان 1434هـ / جوان 2013

العنوان البريدي :مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا

الجامعة الإفريقية أحمد دراية أدرار

الطريق الوطني رقم 06 أدرار 01000

الهاتف : 0021349960160// 0021349960046

الإمايل: rofouf@yahoo.fr

ملاحظة : يمكنكم تصفح جميع مواضيع هذا العدد على الرابط الآتي:

lamaf.univ-adrar.dz

www.taouat.net/makhtoutat

رُفُوفْ

دورية أكاديمية محكمة تعنى بقضايا المخطوط والدراسات الإنسانية

أ /شروط النشر في المجلة :

01/ – يشترط فيما يقدم للمجلة أن يكون أصيلاً ولم يسبق تقديمه لمجلة أو أية جهة ناشرة أو أكاديمية ،وأن لا يكون جزءاً من رسالة علمية . ويتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.

02/ – أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي وشروطه.

03/ – يتوّلى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب تقدير هيئة التحرير.

04/ – ترسل الأعمال المرشحة للنشر إلى عنوان المجلة (rofouf@yahoo.fr) وتكون مطبوعة على الحاسوب باستعمال Word نوع الخط المستخدم في المـــتن traditionnel Arabic بحجم 16 أما الحواشي فتكون بنفس الخط بحجم 12.

05/ – توضع الهوامش بصفة آلية في أسفل كل صفحة (جديد لكل صفحة). على أن توضع قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

06/ – يرفق المقال بملخص بما لا يزيد على 150 كلمة(باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية) غير اللغة التي كتب بها

07/ – يجب أن لا يتجاوز المقال خمسة عشر صفحة و لا يقل عن ثمان صفحات.بالمقاييس العادية للورقة.

08/ – تحتفظ المجلة بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعد قراراتها نهائية ولا ترد الأبحاث التي لم تقبل لأصحابها.

09/ – يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية.

10/ – الآراء الواردة في المجلة تخص أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .

فهرس الموضوعات

كلمة مدير مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا

الدكتور أحمد جعفري

بسم الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤ أحد. والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وبعد.

بعد سنوات طويلة من البحث في رفوف المخطوطات داخل الولاية وخارجها، جاءت فكرة تأسيس مخبر خاص للمخطوطات في محاولة جادة لتتبع آثار الجزائريين في الداخل والخارج، وكان الاختيار في ذلك منصبا على غرب إفريقيا تحديدا بكل ما تزخر به من كنوز. ولم يكن هذا الاختيار اعتباطيا ولا عاطفيا،وإنما أملته مجموعة من العوامل الأساسية الراهنة والمستقبلية التي لا يسعنا الوقت للوقوف عندها الآن.

و معلوم أن الحديث عن المخطوطات الجزائرية في أدغال إفريقية عامة يقودنا إلى الحديث عن أهم العوامل المساعدة في هجرة العلماء الجزائريين واستقرارهم بهذه المناطق الإفريقية أولا، ثم رحلة المخطوطات الجزائرية إلى هذه البقاع وقصة دخولها إلى غالبية المكاتب والخزائن هناك. فالجزائر بمساحتها الشاسعة والمطلة على أكبر العواصم الثقافية الإفريقية قديما تحتل وإلى الآن موقعا استراتجيا تتوسط فيه كبريات الحواضر العلمية إفريقيا وعربيا، مشكلة بذلك خيط تواصل وعطاء بين هذه الشعوب جميعاً في شمال الجزائر والمغرب وتونس ومصر وليبيا، وفي الجنوب بعواصمه التاريخية الكبرى كتمبكتو وكانو وشنقيط و أروان وولاتة وغير ذلك.

وإيمانا منا بأهمية الطبع والنشر في كل عمليات البحث تلك ،كان لزاما علينا ومنذ البداية التفكير في تأسيس منبر إعلامي يحمل اسم "رفوف" بكل ما تحمله الكلمة بين طياتها من عبق التاريخ ونسيم الجغرافيا . ولتكون دورية علمية محكمة تعنى بقضايا المخطوط والدراسات الإنسانية، و تساير جنبا إلى جنب كل العمليات البحثية داخل المخبر وخارجه .

وفي هذا العدد من "رفوف" وبعد طرحنا لإعلان التأسيس بداية توصلنا إلى أزيد من خمسين مقالا من داخل الجزائر ومن خارجها ، وبعد التحكيم والتعديل وقع الاختيار على بعضها ليكون محور حديث العدد الأول، وأجل بعضها الآخر أو رفض لاعتبارات علمية وفنية صرفة .

وسعيا منا لتعميم الفائدة أكثر فقد وضعنا للمجلة رابطا إلكترونيا بهدف تصفح جميع مواضيع هذا العدد وغيره من الأعداد مستقبلا بحول الله وذلك على الرابطين الآتيين:

Lamaf.univ-adrar.dz

www taouat.net/makhtoutat

الله الله نسأل التوفيق والسداد لما فيه خدمة البلاد والعباد والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مدير المخبر الدكتور أحمد جعفري

كلمة رئيس التحرير الدكتور خدير مغيلي جامعة أدرار

قيمة البحث عن المخطوط بين الرفوف

تعاقبت الحضارات عبر أزمنة مديدة مخلفةً ورائها آثاراً عمرانية انبهرت بها أجيال متلاحقة، فتلك قصور الرومان وكنائسها الشاهقة في إيطاليا، وتلك مساجد الأمويين في سوريا زانتها زخارف عربية رُسمت بالبنان، فلا العقل استوعب دقة صناعتها ولا النفس تصورت روعة جمالها .

لكن الذي أعجز العقل عن التفكير وأماط اللثام عن حضارات أفلت وأخرى أدبرت ثم أقبلت هي أَثَارةٌ من علم كُتبت بأنامل مبدعة على رقع جلدية أو ألواح خشبية أو حجارة نرجسية، لتَحفظ علوماً ومعارف أبانت عن علو شأن أصحابها في تبريزها ورسم مسار المعرفة في شتى مجالاتها .

تلك الأَثَارةُ من العلم ما كان لها أن تصل الحضارة بالحضارة ولا الجيل بالجيل ولا الريشة بالقلم، لولا مخطوطة تُركت هنالك في بيت أحدهم، أو هناك بين رف من رفوف خزائنهم الثليدة، أو ربما تواترتها الألسنة ولاكتها لِتُخَط بالقلم في وقت متأخرٍ، بعد أن خطها اللسان باللفظ وحفظتها القلوب في الصدور كَقصيدِ شِعْرٍ .

إننا وبعد مرور قرون عدة مازلنا نبحث بين الرفوف فنقرأ ما بين دفتي المخطوط ، حتى نَستلهم تراث أجدادنا ونَبعث في نفوسنا نشوة البحث وحب التطلع عندهم، معاودة منا في بعث تراثهم من جديد بأقلام حديثة بحثت في هذا

الموروث كما بحث غراب قابيل في التراب ، لنكشف حقائق علمية وأخرى لغوية وشرعية، وصلت إليها عقول هؤلاء المحدثين بعد أن وضعتها عقول أولئك الأفذاذ المؤصلين، ذاك هو التراث الذي تركوه وسطرته أيادي كريمة في رُقعٍ مخطوطة ، ولولا هاته الأخيرة وما احتوته من كنوز معرفية لما تقدمت علوم الإنسان كل هذا التقدم، وربما بدونها كانت قد توقفت عجلة التطور والازدهار والرقي الذي نشهده في واقع حياتنا اليوم، وبغير هذا التراث المخطوط ما كان لباحث معاصر أن يكتب حرفاً أو يؤلف كتاباً أو يتحدث علماً، حيث لا يمكن له أن يقدم كل هذا العطاء العلمي من فراغ ، ذلك أن التراث المخطوط الذي خطه الأجداد شَكَّل ولا يزال يُشكِّل مرجعية معرفية لكل باحث عن الحقيقة كيفما كانت طبيعتها والغاية من ورائها .

فذاك هو المخطوط ببساطة شكله وسمو مضمونه قدم للبشرية خدمة جليلة وحفظ للحضارات مدوناتها ، فعلى سبيل المثال لا للحصر ما خطه موسى بن شاكر في الرياضيات ساهم في تطور الحساب في الحضارة الحديثة ، حتى ظهر علم اللسانيات الرياضي الذي جعل اللغة ظاهرة حسابية منظمة يمكن وضعها في أطر رياضية، وما خطه الرازي في الحاوي دفع الطب الحديث إلى تطوير الجراحة وإتقان عملياتها ، وما خطه ابن الهيثم في البصريات ساهم في اكتشاف الفيزياء الضوئية، وما أملاه أبو الأسود الدؤلي وخطه نصر بن عاصم حول نقاط الإعراب نَقَلَ الكتابة العربية نقلةً نوعيةً سجلها التاريخ، فأزال عنها الإبهام وأبعدها عن التنكيل وأعرب عن معانيها وحفظها من اللحن والتبديل .

ذاك هو المخطوط الذي أبان عن قيمة اللغة المكتوبة عند موازنتها بالخطاب المنطوق والذي لا استمرارية له عبر الأزمان إلا بوجود نصٍ مكتوب يجنبه الفناء والزوال والتحريف والإبدال، فالتراث العربي الشفوي المنطوقً الذي وصل إلينا حفظته السجلات المكتوبة والموضوعة بين الرفوف ، سجلات اشتملت على تأشيرات وعلامات مترابطة ومتناسقة ومنسجمة أنتجت لنا تراثاً مكتوباً كتب للغائب إلا أنه اتصل بوشائج ثقافية مع تراث منطوق كان قد روي للحاضر آنذاك.

ولعل هذه الأهمية الاجتماعية التي اكتسبها المخطوط عبر عصور خلت، منحته شرعية الحضور في كل زمان ومكان وسوغت للأجيال أن تبحث بين رفوف خزائنها عن مخطوطات أعلامها، ذلك أن ما كان كتاباً في زمانه أصبح مخطوطاً في غير عصره وعند أهلٍ ليس بأهلِه، لتستمر رحلة البحث عن التراث الإنساني المخطوط للأمم حتى حاضرنا هذا، وتثبت للبشرية جمعاء أن البحث عنه غير متناه الإفادة، ذاك هو المخطوط الذي نرتوي من معينه، فهو من أوائل المعاون لمن أراد معرفة تاريخ أمته ونتاجها ومد جسور التواصل الثقافي بين أمة أدبرت وأخرى أقبلت.

فقد أزلنا بالمخطوط النقاب عن عطاءات جليلة لعلماء مضواْ وتركواْ إسهامات كان قد نساها الزمن فوجدناها وأضفنا لها إضافة نوعية أثبتت للقديم أصالته ومنحت الجديد مكانته ولمَّا كان الأثر الذي أحدثته المخطوطات بهذا

القدر من الأهمية كان البحث عن مخطوط ذكرته كتب ونسجته أقلام نطقت ثم دونت بحثاً مضنياً بين الخزائن.

فالوصول إلى المخطوط وتحقيقه ودراسته يعد بمثابة العثور على الكنز المفقود، لأنه كُتب بريشة لبست فضةً و حرير وألبستها أيادي عالمٍ نحرير وهو ما حملنا على البحث عن المعرفة التي وضعت بين الدفوف وكانت غايتنا في ذلك الوصول إلى مقصدية صاحب المخطوط من تلك الحروف ليبقى تحقيق هذه الغاية يُظهر لكل متطلعٍ لاكتشاف المجهول قيمة ذلك البحث عن المفقود الذي وجد مكاناً له بين الرفوف قبل أن يجد مضمونه مستقره ومستودعه في العقول فتتداوله حناجر العلماء بين أورقة الجامعات ومراكز البحوث.

أصول الكتابة العربية

مدخل تاريخي فني.

أ. د. حبيب مونسي

جامعة سيدي بلعباس.

L'écriture représente la trace vivante qui détermine le passage de l'homme; elle retrace sa pensée ; son vouloir vivre dans le présent et le futur. elle a le pouvoir de résister au temps; a la mémoire défaillante. Elle peut aussi traduire les signes qui englobe les secrets de la vie. c'est pour cela que l'écriture reste pour toujours la grande découverte de l'homme. Elle a le pouvoir de le recréer a chaque lecture; et dans tous les temps .ainsi l'écriture arabe présente elle aussi un caractère sacré. Pas son attachement a la parole d'allah.

Cette approche tente à relire l'histoire de l'écriture arabe dans ses tendances esthétiques et sémantiques.

1- تقديم:

تشكل الكتابة الأثر الحيّ الذي خلّفه الإنسان دليلا على وجوده التاريخي من جهة، وحاويا لفكره وتصوره ورؤيته للحياة والعالم من حوله. وإذا كان هذا الضرب من الإثبات ألصق بحقيقة وجود الإنسان مادة وروحا، وقهره لعامل النسيان، ومحاربة الدهر المتحول دوما. فإن فعل الكتابة كان لابد له وأن يتلبّس شيئا من السّحر في العهود الأولى، وتتخذه الكهنة عنوان درايتها واقتدارها على توارث الأسرار واحتكارها من دون الناس قاطبة. وربما وجدنا في الدين المسيحي إبان العصور الوسطى ما يفسر لنا ذلك الحرص والضّن على الكتابة والقراءة. ما دامت المسيحية في العصر الروماني قد كتبت كتابها باللغة اللاتينية في عز الإمبراطورية الرومانية. ولكن سرعان ما تدهورت هذه الحضارة وانحصرت في نطاق ضيق وقامت القوميات هنا وهناك عبر أوروبا، واستعملت لهجات خاصة، ولم يعد بين يدي المسيحيين في هذه الأقطار سوى كتابا غريب اللغة، لا يستطيعون فكّ طلاسيمه، وبات في يد الرهبان قوة قاهرة، إذ هم الوحيدون القادرون على فك رموزه، واستنطاق مكتوبه، وظل عامة الناس ينتظرون فهم ذلك الصنيع. فازدادت قداسة القراءة والكتابة على هذا النحو،إذ أبقاها الرهبان حبيسة الأديرة، مقصورة على تلامذتهم، لا تطالها أيدي السواد الأعظم من الناس. وقد كان لهذه الوضعية الغريبة، وذلك الفهم الشاذ من طرف رجال الدين، أن انشقت الكنيسة إلى برتستانت وكاثوليك، وترجم البرتستانت الكتاب المقدس إلى اللهجات المحلية. وأعلنوا مقولة: "القراءة الحرة".

ومعنى ذلك أن السلطة تحولت من أيدي الرهبان إلى كل قارئ، ولم يَعدُ الراهب واسطة بين السماء والأرض، بل غدا في مقدور كل واحد "قارئ" أن يؤوّل النص حسب ما يراه ويفهمه. عندها زال الحجر عن الكتابة والقراءة. وعمل "غوتنبرغ" – مخترع آلة الطباعة – على إفشاء سرّ الكتابة.

ذلك كان حال الكتابة الغربية في خروجها من الطوق، وكسرها سلطة الرهبنة والدير، وانطلاقها إلى مجال الحياة، تطرح أسئلتها الكونية الكبيرة. فأنشأت ما يعرف اليوم بالمنظومات الفكرية، بعدما اتصلت بأصولها اليونانية وحمولتها الفلسفية المعروفة. .

أن قصة الكتابة تمتح قوتها من ذلك الاقتدار على حمل الإجابة التي تشرئبّ إليها أعناق الناس عبر العصور، بما يكتنفها من سرّ وقداسة. وقد لعبت الكتابة على شواهد القبور معنى تخطى الزمن، وحَمْلِ اسم صاحب الرّمس في ركاب الزمن الهادر. وكأن ذلك الخط إمكانية ثانية لمغالبة الفناء والاندثار. وقد رأى الإنسان العربي في الإطلال الزائلة، التي عفّى عليها الزمن، أثر الخط، وعلامة الكتابة. ف"المرقّش" يربط بين أثار الطلل البالي وخط القلم، في وصفه للدار الخربة:

الـــدّار قَفْـــرٌ والرُّســــومُ كـــما رقَّشَ في ظهر الأديم قَلَمْ.[1]

ومن العجيب أن يلازم هذا الوصف (الرّقشُ) الشاعر فيعرف به طيلة حياته، وكأن هذه الالتفاتة تميز الشاعر عن غيره، رغم أنّ غيره قد وسّع هذه المقابلة والمشابهة وأعطاها أبعادا أخرى، كما هو في مطلع معلقة لبيد:

– الضبي. المفضليات. (طبعة لايل) ص:485[1]

عَفَتِ الدّيارُ مَحلُّها فَمُقَامُها	منـــى تـــأَبّدَ غُولُـــها و رِجَامـــُها
فمدافعُ الرَّيانِ عُرّيَ رَسْمُها	خَلَقًــا كمــا ضَــمِنَ الــوَحْيَ ســلاَمُها

(1)

ويحمل الشعر العربي القديم أدوات الكتابة القديمة: كالأديم وهو الجلد المدبوغ، والسِّلام الحجارة البيضاء، والعظام والعُسُب وغيرها . وكلها أدوات تحاول أن تتخطى بالكتابة عقبة الزمن المتحول. ولذلك كانت الآثار في اندثارها وتداخلها صورة مشابهة للخط. إذ كانت الديار عامرة بالذكرى والأخبار. فالخط – كذلك – عامر بالأسرار. ومن هنا تتلاقى سحرية الكتابة بسحرية العلامة في الوجود والدلالة. وربما يتّسع الطلل ليغدو كتابة كلّه، بما حوى من آثار المنازل والأثافي والنؤي، ومحابس الماشية، ومبارك الإبل، مرابط الخيول. وكأن هذا المجال كتاب واحد، كما في قول "سلامة بن جندل الفارسي":

لِمنْ حصن مثل الكتاب المُنَمَّقِ =خَلا عَهدُه بينَ الصُليْبِ فَمُطرِقِ .(2)

وهو كتاب يقرأ فيه الشاعر صور الحياة، من الإلف إلى الشتات، ومن الجبر إلى الكسر، ومن الاجتماع إلى الفرقة. كتاب تضطرب فيه الذكرى اضطرابا واسعا . قد تأخذ هيئة التأمل الصرف الذي يتساءل عن علّة الوجود والزوال. وما تساؤل الشاعر في هذا البيت إلاّ من قبيل ذلك التساؤل الوجودي القديم، الذي حاولت الكتابة أن تَسُدّ ثغرته. والكتاب المنمّقُ، وحي – كما جاء في قول " لبيد" – ذو مصدر غيبي، تخطه يد الدهر على كلّ حادث ووليد . وهي كتابة كثيرا ما أثارت حساسية الشعراء، وغمزت فكرهم، وقادتهم

1 – م.س.ص:560. 3–م.س.ص:560.
2 – شرح الشيباني لديوان زهير بن أبي سلمى.ص:288.

إلى استفهامات كبرى. ألم تر" زهير ابن أبي سلمى" يقف أمام التحول الكبير في الكون والحياة صارخا في وجه غيره:

ألم ترَ أنّ الله أهلك تُبعا	وأهْلكَ لُقْمانَ بنُ عادٍ وعادياَ .[1]

أو ما وجدناه في وقفة " لبيد " قائلاً:

ألا كل شيء ماخلا الله باطِل = وكلُّ نعيمٍ لا محاَلَةَ زائِلُ.[2]

وربما اكتسى التأمل ببعض ما ورثه الشاعر من " الحنيفية " الأولى وأخبارها، فكان تأمله محض ترديد ليقينيات قديمة، كما هو الشأن عند "أمية بن أبي الصلت":

إلهُ العالمين و كل أرضٍ = رَبُّ الرّاسياتِ من الجِبالِ

بناهاَ وبنى سبعاً شـــدادا	بـــلا عمـــد يـــرين و لا رحـــال
وسوَّاها و زّيَنَها بنـــــــور	مـــن الشـــمس المضـــيئة و الهـــلال
وشقّ الأرض فانبجست عيونا	وأنهـــارًا مـــن العـــذبِ الـــزلالِ

[3].

– شرح الشيباني لديوان زهير بن أبي سلمى.ص: 288. 1

– المفضليات (مطبعة الرحمانية 1926.) ص: 61. 2

– أمية. الديوان. بيروت1934.ص: 49. 3

وتكشف الأبيات السابقة عن الاهتداء الفطري أو عن وجود رواسب من الدين الإبراهيمي القديم، ويبقى الشعر يحمل ذلك السؤال الأول الذي أرق الإنسان فحاول أن يجد له جواباً شافيا، فأقام النصب وخط الألواح، وقصّد القصائد، وكل محاولة إنما هي مغالبة لنهر التحول الدافق، الذي يترك آثاره على وجه الأرض والإنسان على حدٍ سواء.

وتبقى الكتابة بعد هذا، وسيلة للسمّو فوق مجرى التحولات، حتى تمكن للإنسان شعورا غامضا بالوجود والاستمرار، مادام بقاء الذكر بعد الزوال إيهام بالاستمرار والحياة. ولهذا السبب لم يخل شعب من الشعوب من شكل للكتابة والرسّم حتى لو كان بدائيا لا يملك من الإنسانية إلاّ الجسم والعقل.

وقد عرف العرب الكتابة خطاً، وعرفوا الكتابة مشافهة وحفظاً، مادامت الحافظة تؤمن لهم استمرار المأثورات وبقائها، غير أن تحول الحضارة وتعقدها بعد الإسلام ألزمتهم على نقل كل مسموع وتحويله إلى كتابة، وقد عرف ذلك بالتدوين.

2-النثر الجاهلي:

إن استعمال النثر في هذا الباب، لا يقصد منه الكلام المكتوب المنثور الذي يقوم في مقابلة الكلام المنظوم. وإنما يقصد به – هاهنا – الكلام الشفهي الذي يدور على الألسنة في المحافل والأندية والأسمار، و هو أوسع من الشعر، لأنه أسهل أداة، وأبسط آلة من النظم، الذي يتجرد له آحاد من القبيلة، يمتازون بشيء من الاقتدار والدراية والدّربة. وعليه يكون النثر هو ما جاء في الخطب المرتجلة والأمثال، والمناظرات، والأسجاع، وغيرها. احتفظت به الذاكرة لجودته وقربه من النظم في أساليبه، وأنماط القول: "وهو الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة. وهذا الضرب هو الذي يعنى النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه، وبيان ما مر به من أحداث وأطوار، وما يمتاز به في كل طور من صفات وخصائص.

وهو ينفرع إلى جدولين كبيرين، هما الخطابة، والكتابة الفنية" ([1]) . ولا يبعدُ صاحبه عن الشاعر في الحساسية المتوقدة، والذكاء الثاقب، والنظرة الصائبة، والذائقة الجمالية. وهي عدّة لابد له من تدريبها وتهذيبها، حتى يأخذ القول حقه من الفصاحة، والاستقامة، والسّداد . لأن القول المنثور إنما يعبّر عن حكمة سديدة، أو عن نظرة خبيرة بالحياة وشؤونها . ومن ثم قام الخطباء ينفثون هذه المعرفة على أسماع أهليهم، تلخّص لهم أسرار الحياة، وأسرار التحول فيها . كما صنع "قُسّ بن ساعِدة الإيادي" حين قال: "أيها الناس، اسمعوا وعوا، انظروا واذكروا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ألا إن أبلغ العضات، السير في الفلوات، والنظر إلى محل الأموات. إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ يا معشر إياد أين الأباء والأجداد؟ وأين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ أين من بنى وشيّد، وزخرف ونجّد؟ وغرّه المال والولدْ؟ أين من طغى وبغى، وجمع فأوعى، وقال أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالا؟ وأطول منكم آجال؟

في الذاهبين الأولين من القــــرون لنا بصــائر
رأيت مواردا للمــــــوت ليس لها مصــادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأصــاغِرُ والأكابرْ
لا يَرجعُ المــــاضي إليّ ولاَ منَ الباقين غابرْ

1 – شوقي ضيف. الفن ومذاهبه في النثر العربي.ص:15.

أيقنتُ أني لا مَحَالةَ حيث صارَ القومُ صَائرْ.[1]

فإذا كان النّص يقف في مرحلة البين بين. أي في مرحلة وسطى بين النثر والشعر، من حيث البناء والإيقاع والموسيقى، وتساوي المقاطع، وانبنائها على نسق متزاوج يوحي بأن منطق الشعر العربي وأولياته، كان من هذا النمط من القول، أو كان النص على هذه الشاكلة، يمثل المرحلة الأولى للكتابة الشعرية. إذ يسهل علينا الساعة أن نكتبه على النحو التالي، فنحصل على قصيدة جديدة البناء والهيكل:

أيّها الناس

اسمعوا وعوا

وانظروا و اذكروا

من عاش مات

ومن مات فات

وكل ما هو آت آت

ليل داج

ونهار ساج

وسماء ذات أبراج

---

1 - ابن عبد ربه.العقد الفريد.ج2.ص:156.

ألا إن أبلغ العضات

السير في الفلوات

والنظر إلى محل الأموات

إن في السماء لخبراً

وإن في الأرض لعبرا

ما لي أرى الناس يذهبون

فلا يرجعون؟

أرضوا بالمقام فأقاموا

أم تركوا فناموا؟ . .

وهي على هذا النحو تكشف عن المحاولات الأولى . . المتعثرة لبناء البيت الشعري، غير أن ما نزعم السّاعة يحتاج إلى أدلة أكثر قوة، وإن كنا نجد في المثل العربي– كذلك– نواة البيت الشعري، لما في المثل من توازي وتوازن وسجع داخلي وخارجي، وكأنّه بيت مرصّع. بل وكثيراً ما جرت الأبيات الشعرية مجرى الأمثال، وكأنها تعود أدراجها إلى منبتها الأول. ويبقى هذا الميدان مجال بحث عن أوليات الشعر العربي.

لقد جرى الاعتقاد القديم على أن الفنان عموما، والشاعر خصوصا يتلقى إلهاما قدسيا يكشف له أسرار الحياة والموت، والجديد والبالي. وكان من هذا المنطلق الشخصي

الذي يقف بين القوى الغيبية و الإنسانية، فيبث فيها نواميس الكون وحركته ([1]) . فيتلقى عنه الناس في حالة أشبه ما تكون بالذهول والدهشة. و"قس بن ساعدة" يفتتح خطبته، بإخراج مستمعيه من حالة الغيبوبة اليومية إلى خطب جلل. فيكون النداء لعامتهم شيوخا وشبابا، رجالا وإناثا، أحرارا وعبيدا. لأن ما سوف يعرضه عليهم لا يعترف بالطبقات والقيم المصطنعة. إنما هو خطب يمسّ الإنسان في إنسانيته، ووجوده. فيكون الخطاب: يا أيها الناس. لا ليتوقف عند الحضور، وإنما ليظل نداءا شرودا يخاطب كلّ الناس عبر العصور. وتلك إشارة إلى فعالية التحول التي أشرنا إليها من قبل، والرغبة في الاستمرار وتحدي الفناء الجزئي. وذلك ما سعت الكتابة التي تثبته. إذا ما زالت صرخة "قس ابن ساعدة" ماضية فينا، تقرع أسماع كل قارئ عبر العصور. وستبقى بقاء الخط(trace) . ويبقى بعدها الكلام عاما لا يختصّ بقوم ولا بجنس، حتى يحدّد مقصده الإنساني العام. ثم يعود "قس بن ساعدة الإيادي" فيخصص، وينادي هذه المرة قومه: "يا معشر إياد".

إن النداء الموجه للإنسانية يلتفت إلى قدرات كامنة فيها، تتلقى من خلالها المعرفة، فهي منافذها على الوجود. والغريب أنه يبدأ بالسمع، الذي وجدناه في القرآن الكريم موحداً، عكس النظر الذي جاء جميعا.، وفي ذلك حكمة، نلمسها عند هذا الحكيم، كما نلمسها في القرآن الكريم..

فالسمع يقتضي متحدثا راوية، يعيد على الناس صفحات الماضي ومآسيه ولا يكون لهذا الحديث فعالية، إلا إذا احتفظت به الحافظة ووعاه الوعي. ساعتها يتحول إلى مصدر ثرٍّ للمعرفة، تؤول إليه الذات كلما احتاجت إلي عبرة أو شاهد. والناس يستوون في السمع على درجة واحدة، غير أن الوعي فيهم يختلف من ذات إلى أخرى. وهنا يأتي دور

---

1 – أنظر أرنولد هاوز.الفن والمجتمع عبر التاريخ.ص:73.(ت) فؤاد زكريا.

النظر، لأنه تدبّر شخصي فيما يحيط بالإنسان، ويرتسم في بصره وبصيرته، وبذلك يزداد الوعي رسوخا .إذ يقتضي النظر من الموازنة بين القائم والمتحول، بين الشاهد والغائب. ولا تكون حصيلة النظر إلا عبرة وفائدة، ما دامت تستند إلى مسموع ووعي، فينشأ عنها الذكر. والذكر حالة واعية من الإحساس بالوجود وقوانينه المتسلطة القاهرة. فكل من نظر ادّكر، لأن بين العمليتين علاقة اطراد تستتبع فيها النتائج مقدماتها استتباعاً منطقياً .ولذلك شاع في القرآن الكريم الحديث عن النظر، والوعي، والإدكار.

ومن العجيب أن نجد في القرآن الكريم، الصورة الكاملة لما كان شكلا فطرّيا عند "قس بن ساعدة"، وكأن ما تناهى إليه كان من بقايا ديانة قديمة، شأنه في ذلك شأن "أمية بن أبي الصلت". وقد قال الله ﷻ في سور الأعراف (179):﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها .أولئك كالأنعام بل هم أضل. أولئك هم الغافلون﴾. وقال في سورة النمل(70):﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا ،فجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، لعلكم تشكرون ﴾.

ويسهل علينا الآن أن نصور الرحّلة الإنسانية، من الميلاد إلى الحشر، وقد "أثّث" الله ﷻ الإنسان عند ملامسته للعالم بالسمع، والأبصار، والأفئدة. وهي منافذ مفتوحة على العالم تتلقى منه إشعاعاته المعرفية. وقد نلاحظ أن السمع واحدُ عند الجميع غير أن الأبصار متعددة. وفي ذلك خصوصية لكل ذات، حتى لاتكون نسخاً مكررة عن بعضها البعض. فالبصر هو الذي سيعطي لكل ذات ميزاتها الخاصة.

والحقيقة الأولى في هذا المقام أن المنطلق – نقطة الصفر – واحدة بالنسبة لسائر الناس (لا تعلمون شيئًا). ومعنى ذلك أن حركة الحياة تنبني على التعلم والاستمرار فيه. ولا

يكون التعلم تلقينا محضاً، لأن من شأن التلقين أن يخرج نشأ واحدا، لا تمايز فيه ولا اختلاف.
ومن هنا كانت جدارة المنهج الإسلامي في التربية والتعليم:

المعرفة المكتسبة. .تعلم

← - **السمع**	- **تلقي**.
← - **الأبصار**	- **قراءة** (مشاهدة واعية للكون والحياة)
← - **الأفئدة**	- **فقه** (معرفة العلل والأسباب والمنهج التجريبي)

وعلى هذا السبيل، يكون تلقي المعرفة الأولى عن طريق الأنبياء، ثم العلماء، ثم المدرسة. وهنا يرتقي المكتوب إلى درجة المسموع، شريطة أن تتحقق في المكتوب مسؤولية الكاتب، وحق القارئ. وهي قاعدة وجدناها عند "ابن قتيبة" في أدب الكاتب. إذن كل تلقي – سواء كان مشافهة، أو محاضرة، أو قراءة – هو أدخل في باب السّمع الذي وحدّته الآية من قبل، وسوّت جميع الناس إزاءه.

ثم تكون الخطوة الثانية "الأبصار"، وهي عملية فردية، تقوم بها الذات لنفسها فتقابل بين المشاهد والمسموع، وتقيم المقارنة، وتتشرّب المماثلة. فيتقرر عندها الحق في درجات، بحسب اجتهاد الذات وإخلاصها. وقد وسمناها بالقراءة ما دام "جبريل" عليه السلام أمر الرسول محمداً ﷺ بالقراءة في غياب المكتوب. وهي قراءة خاصة تتجاوز رمزية الحرف إلى رمزية الوجود وإشاراته. وقد نعت "الجاحظ" – ذلك– ب"النصية". وهي كل موجود في دلالته على خالقه، وحكمته. ومعرفة الموجود شيئًا كان، أم ذاتا، أم معنى في ذاته، علم عملي ينفع الإنسان، وعلم معرفي يربط الذات بمركزها في هذا الوجود.

ثم تكون "الأفئدة" – وهي حالة تالية – نسميها فقها، لأنها ستحول المسموع والمشاهد إلى قانون تعرف من خلاله الأسباب والعلل كلّها . وتلك مسؤولية مناطة بكل ذات تجازى في إجرائها، وتعاقب على إهمالها .

ولهذا السبب كانت الآية التي تحدثت عن معاقبة الكفار، والتي ذكرناها من سورة الأعراف، تعود عكسيا– في مساءلة منافذ المعرفة– فيكون البدء من القلب (الفؤاد) الذي لم يفقه، ثم العين التي لم تبصر– والبصر هنا بصران:داخلي (وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟)، وخارجي (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت؟)– ثم الأذن التي لم تسمع. وهي محاسبة تعود أثراً رجعيا لمن لم يجري منافذ العلم، ولم يستعن بها لإدراك الحقيقة.

ويمكننا الساعة أن نقترح خطاطة لمنهج المعرفة الإسلامية كالتالي:

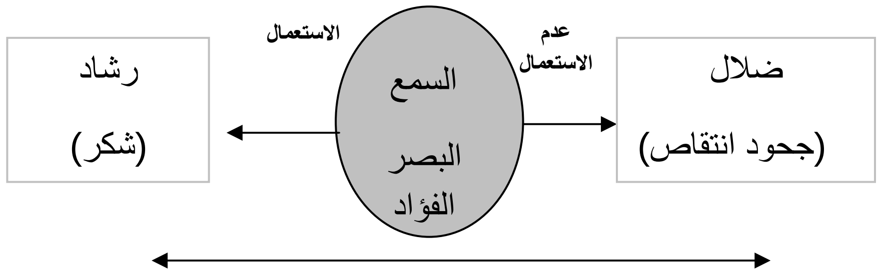
- **السمع** ◄──── **تواتر الخبر**. .تلقي (شفوي. .رمزي) .

- **العين** ◄──── **مشاهدة**، قراءة، مقابلة وموازنة، تجريب.

- **القلب** ◄──── **فقه** إدراك حقيقة الأشياء، وكينونتها، ومعانيها، الوصول إلى سر الخلق

وعليه تكون المسيرة المعرفية للإنسان بحسب المسار التالي:

وعليه تكون المسيرة المعرفية للإنسان والإنسانية بحسب المسار التالي:



مبدأ التحول في الذات ينطلق منها وينتهي إليها . .

﴿ إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم﴾ (الرعد 11)

إن وقفتنا مع "قس بن ساعدة"، استدعت منا هذه الوقفة .لأن فهم الخطبة لا يقتصر على شرح ما فيها من دون الوصول إلى نظام المعرفة الذي يقترحه على الإنسانية من جهة، وعلى قومه من جهة أخرى. لذلك نجد عنده مقام السمع والرّواية في (من عاش مات، ومن مات فات،وكل ما هو آت آت) ثم يأتي دور المشاهدة القائمة على قانون التحول في (ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج.ألا إن أبلغ العظات السير في الفلوات، والنظر إلى محل الأموات) ثم يأتي دور الفقه في (إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا . ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ،أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا هناك فناموا ؟) . واستعمال الأسلوب الاستفهامي، أقدر من تقرير الحقائق الجافة، لأن في الاستفهام قدرة على حث الإدّكار، وتقليب النظر، ولمس الحقيقة من طرف الذات، وكأنها هي التي وصلت إليها بمفردها بدل أن يمليها عليها مصدر خارجي. وقد كان للاستفهام التقريري والإنكاري دور بليغ في الفصاحة العربية، لما يقتضيه من مشاركة السامع في السؤال . . وقد يكون السؤال أحيانا أهم من الإجابة.

3- المثل، والتجربة، والحكمة، والقصة:

إن من خواص المثل العربي، أن يطوي تحت ألفاظه، وبنائه، خبرة حياتية، بلغت حدا من التجريد، حتى غدت متحررة من المكان والزمان. فإذا كان للمثل قصة تكشف عن أصله، وعن العوامل التي أدت إلى تشكّله لفظا، فإنها سرعان ما تختفي حين يطير المثل على الألسنة، حاملا خصائص موقف مجردٍ من ملابساته القديمة، ليلبس كل موقف جديد، فيه من المشاكلة ما كان للموقف القديم. فيقع فيه، وكأنّه يعبر عنه من جديد، و يتطابق معه كل المطابقة. والسير في ذلك، أن المثل قد اختزن تجربة حياتية، ولخّصها في ألفاظ يكون لها من الخفة والرشاقة، ما يخول لها أن ترّف على كل لسان. فإذا بها تنضاف إلى تجارب الناس، وتكون لهم معينا في سلوكهم اليومي، يسترشدون بها، ويقدمونها بين أيديهم نصحا وإرشادا دون أن يحتاجوا في ذلك إلى معاودة القصة الأصلية. لذلك قلنا أن المثل، والحكمة، قد تحررا من سلطة الزمان والمكان. إذ نحن نستعمل حكما لشعوب أخرى غريبة عنا كل الغربة. لكن ما يوحدنا بها هو خلوص التجربة الإنسانية واندغامها في لفظ سارٍ، ينسيها مصدرها، ويمكننا من الاستفادة منها.

وإذا درسنا مثلا جاهليا تبين لنا ذلك بوضوح، كأن نقول لصديق لنا مندفع في فكره ودعواه: "مقتل الرّجل بين فكّيه"(1) فلا يغنينا أن نعرف أن قائله "أكثمُ ابن صيفي"، وأنّه ورد في وصية يوصي بها بنيه. فهذه معرفة تاريخية، قد تساعدنا في مجال آخر من مجالات البحث والدرس. ولكن المثل يظل شرودا، صالحا لكل استعمال، وكأن حكمة هذا الرجل مكنته من صهر حقيقة إنسانية في عبارة، فلخّص علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في مجال السلطة والمعارضة. وكأن الكلام يقتل صاحبه. وانظر إلى قول "الحطيئة" مشيراً إلى لسانه:(ويلي من

---

1 - الميداني.مجمع الأمثال. مختارات.(تح) الأستاذ محمد علي قاسم.ص:141.

هذا على هذا) وأشار إلى رأسه، وكأن في هذه الحركة الإشارية قضية العلاقة المبنية على التسلط والمخالفة.

ومن ثم تعمل "الحكمة" شأنها شأن المثل، على تغييب "المنشأ"، وتعطي قوتها "للمضرب" على عرف البلاغيين، وكأن هذا الالتفات إلى الاستعمال تأكيد على الحمولة المعنوية التي تحبل بها الحكمة والمثل. ولهذا الغرض جاء اقتباسها معينا للمتحدث من جهة، وقاضياً على صحة ما يذهب إليه من جهة أخرى.

وقد تكون لغة المثل عارية من جمال فني، إذا كان المثل وليد اللحظة، ناشئا عن الطفرة، صادراً دون تروي وإعمال فكرة. وذلك ما يكون عادة عند الصبيان، والنساء، والعامة من الناس، في لهوهم ومعاشهم. غير أن المثل الصادر عن شخصية ارتبطت بالحادثة، وتفاعلت معها، وأعملت فيها الفكر، غالبا ما تكون عبارته مصنوعة، بيِّنَةُ الهندسة، تعتمد على التشاكل، والتقابل، والموازنة والتوازن. وهي تقترب في جرسها من البيت الشعري. الشيء الذي دفع البعض إلى اعتبارها صورة لأوليات الشعر، إذا تواترت في حديث واحد، كما مرّ بنا مع "قس بن ساعدة"، أو كما جاءت على لسان "أكثم بن صيفي" في وصيته لبنيه. إذ هو يقول:

« تبارّوا، فإن البّر يبقي عليه العدد .

وكفوا ألسنتكم.

فإن مقتل الرجال بين فكيه.

إن قول الحق لم يدع لي صديقا .

الصدق منجاة.

لا ينفع التوقي مما هو واقع.

في طلب المعالي يكون العناء

الاقتصاد في السّعي أبقى للحمام»(1)

وقد نعجب من كون هذا الحديث جذاذات متفرقة، لا رابط بين عباراته، ونتساءل كيف يكون ذلك من رجل بليغ فصيح؟ بيدا أننا لا نعدم لذلك تفسيراً، إذا أدركنا حقيقة الوصية. فالرجل لا يريد أن يدلي بحديث متصل، قد يطول طولا مخلا، إذا أراد أن يجمع هذا الشتات في وحدة واحدة، بل يريد الرجل أن يبث جملة من الخلاصات، منتهية، محّصتها التجربة. يلقي بها بين يدي أبنائه، فيجدون في كل واحد منها مسلكا يقيم لهم سبيلا من سبل الحياة.

وإذا عرفنا ولوع العرب بالإيجاز، والاقتصاد، يتبيّن لنا أن مثل هذا السلوك يغني عن الثرثرة والاسترسال، الذي يعفّي على الغرض من الوصية، ويصرف الانتباه عن جوهر المطلوب فيها. وخلوّ الوصية من الإطناب أدعى إلى حفظها وترديدها. ولولاه ما وصلت إلينا تامة غير منقوصة.

إذن، فعاملا الاقتصاد والبقاء، يحتالان على النص، ويجعلانه على هذه الصورة التي نلاحق فيها العبارات، دون أن نتوقف لنسأل أنفسنا عن الرابط فيها. ولا ندّعي أن هذا الأسلوب هو الأسلم –اليوم– لتقديم الوصية، ولكننا نقول أنّه كان كذلك في ذلك الظرف من الزمن، وفي تلك البيئة القائمة على الشفوية. وقد رأينا الوصية في العصور اللاّحقة تأخذ شكل

---

1 – م.س.ص: **141**. **1**

الرسّالة المطولة، كما حدث عند "عبد الحميد الكاتب" في رسالته إلى الكتّاب([1]) . ويغيب العجب فينا أمام ذلك النص إذا أدركنا السّر وراء بنائه على الصورة التي رسمناها من قبل.

كما تحتل القصص والحكايات، مجالا آخر من مجالات أوليات الكتابة العربية. وقد كثر الحديث عن القصة في العصر الجاهلي. ليس من باب كشف كونها أدباً معروفاً في ذلك الإبّان، و لكن ساقها الاهتمام بها للردّ على زعم المستشرقين أمثال "أرنست رينان" الذي أنكر وجود فن القصة عند العرب. فانتدب كتّابٌ أنفُسَهم للردّ عليه، وتكذيب دعواه. وقد وجدنا "عبد الملك مرتاض" يفرد كتابا في فن القصة في الأدب العربي ردا على "رينان"، ويبين ذلك في مقدمة الكتاب قائلا:« . .وقد أرتني أن كتابة مثل هذا الفصل، أمرٌ محتوم حتى أستطيع الرّد فيه على "أرنست رينان" المستشرق الفرنسي، الذي كان يزعم في كتاباته الفيلولوجية، أن العربية لغة خالية من كلّ خير، فارغة من كل فضل، مجردة من كل مزّية، لم تنتج ظاهرة أدبية، يمكن أن تَسِمَها بالشرف الرفيع، وتجعلها في مستوى اللغات الخالدات. وآيته على ذلك أنها عدمت الفن القصصي، كما عدمت الفلسفة، وإذا حرم الله لغة ما من القصة، والفلسفة، فقد حرمها من كل شيء»([2]) .

وعليه يكون منطلق البحث في هذا المجال، من موقف دفاعي، يدفع صاحبه إلى التنقيب عن آثار هذا الفن في الآثار الشفوية، والمكتوبة. وعليه كان مجال البحث عند "عبد المالك مرتاض" في القصة الشعرية عند "امرئ القيس" و"عمر بن أبي ربيعة" و"جميل بثينة" و"قيس وليلى" و"قيس ولبنى" . .

---

1 .9 – أنظر أحمد الهاشمي. جواهر الأدب.ص:9.

2 .9 – عبد الملك مرتاض. القصة في الأدب العربي القديم .ص:9.

غير أن المؤّلف يعود مرّة أخرى، ويفرد كتاباً في "الميثولوجيا عند العرب"، وفيه يتناول قصص الخرافة القديمة. غير أن مسعاه هذه المرة لم يكن رداً على "رينان" وإنما كان بدافع من البحث في مجال الأدب الشعبي...

واهتم "فاروق خورشيد" ب"وهب بن منبه" و"عبيد بن شرّية"، وما جاءت به أخبار ملوك اليمن، وسكان الحجاز، ك "مضاض ومي"، و"إساف ونائلة". . وغير ذلك كثير من الأخبار والقصص. . وفي هذا العرض يقف "خورشيد" أمام جملة من الملاحظات التي تجعل من الفن الروائي العربي الحديث إنتاجاً ينمّ عن أصالة لاتكون له إلا إذا كانت ممتدّة الجذور في القدم. وهذه الحقيقة تقف في وجه من افترض: "أن هذا الفن مستحدث في أدبنا، نقلناه نقلا عن الآداب الغربية، ضمن ما نقلنا من صور الحضارة والفن في مطلع حركتنا الفكرية، عن طريق الترجمة حينا وعن طريق المحاكاة والتقليد بعد ذلك" ([1]) . إذ ليس من المعقول إن يقوم الفن العربي على الشعر بأغراضه الضيقة كالمدح، والهجاء، والغزل، والوصف، والاستعطاف، وغيره. ما دام هذا الفن لا يعبر إلا عن الضمير الفردي في أغلب صوره، بينما تعبر القصة عن الجماعة والاجتماع، وعن المكان والتاريخ، وما يحفل به من أحداث، وأسماء، وأماكن.

غير أن الفن القصصي القديم، في ارتباطه بالسمر و تجزية الوقت في ليالي الشتاء الطويلة، أو في الأندية والحلقات، كما صنع "نضر بن الحارثة المكي" الذي: "كان يقص على قريش أحاديث عن أبطال الفرس، أمثال "رستم" و"إسْفِنْدِيار" ([2]) لم يرق إلى الصياغة البليغة. بل ظل ملازماً لصيغ الحديث اليومية، خال من التصنّع والتكلف، حتى وإن وُشِيَ

---

1 - شوقي ضيف.الفن ومذاهبه..ص:15.

2 - ابن هشام. السيرة.ج1.ص:293.

بالشعر كما هو في قصص "مضاض ومي" . ولهذا السبب لم يستطع هذا اللون من الفن أن يصمدّ أمام قصص القرآن الكريم، كما تراجع الشعر وسكت الشعراء...

4-القرآن، والحديث الشريف:

كنا قد كشفنا أن القرآن الكريم، كان قد ساير الشفوية العربية، ونمطها في تأليف الكلام في طوره المكي، حين جاءت الآيات قصاراً موقعة بفواصل متسارعة. وكأن ذلك الشأن كان منه مسايرة للذائقة، يسعى إلى استدراجها "نحو الكتابية" التي تجسدت في طوره المدني، حين غدت الآيات تحمل من المعنى ما لم يكن للعربي قبلا به من قبل. وليس معنى هذا التقديم أن القرآن الكريم "المكي" كان خاليا من المعنى، بل إن معناه ارتبط بالتوحيد، والحساب، والجنة، والنار، والحشر، والملائكة، والجن. وكلها أمور غيبية لم يعالجها العربي إلا في إطار ساذج من الخرافة والأوهام. فجاء القرآن المكي ليبسطها في أساليب راقية خالية من كل غموض، قائمة على مساءلة العقل والوجدان. كما كان من قبل "قس بن ساعدة" .

وتلك الطريقة طورها القرآن الكريم تطويرا، لم تبق على صورتها الساذجة، وإنما نفخ فيها من أسئلته الكبرى ما جعل قريشا تسترق إليه السمع، وهي مصرة على إنكاره. وحتى عند انتدابها "عتبة بن ربيعة" لم يقدم لها إلا حديث المشدوه، المتردد، الذي خذلته أداته، وتراجع عنه اقتداره. وعاد إلى قريش ليزيد إلى حيرتها حيرة أخرى. تقول له: "ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فيقول: ورائي، أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يامعشر قريش أطيعوني وخلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه.فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ . فإن ناصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على

العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسود الناس به. قالوا سحرك والله يا أبا الوليد !"[1]

ونص "أبو الوليد" يحمل إلينا خلخلة الموازين، وضياع المعيار. فالنص الجديد لا يماثل شيئًا مما كان معروفا عند العرب. وليست خطورته في هذا إنما في الانقلاب الذي ينطوي عليه. فالقول لن ينتهي إلا بملك ومخاصمة للعرب. وتلك رؤية استشرافية يتحسسها هذا البليغ من خلال الكلام الجديد. إذ هو يتجاوز مادة السمر، والتفاخر، والمدح، والغزل، والكهانة إلى شيء أسمى لا يكون وراءه إلا بناء ملك.

وقد كلفت قريش بليغا آخر، رأى من القدرة أن يعيد على أسماعها علمه واقتداره، قبل أن يفضي إليها بما اعتور عقله وذوقه من خلخلة. فقد روى "ابن عباس" ﵄ أن "الوليد بن المغيرة" جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له. فبلغ ذلك "أبا جهل" فأتاه، فقال: يا عم، إن قومك سريدون أن يجعلوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه. فإن أتيت محمدا لتعرف ما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا منه. ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وأن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال قف عني حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: "إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره" [2]

---

[1] – ابن كثير. السيرة النبوية.ج**1**.ص:**498**.

[2] – ابن كثير. السيرة النبوية.ج**1**.ص:**498**.

وقد وصف القرآن الكريم تردد الرجل وحيرته، وهو يقلب صفحات ذهنه بحثا عن شيء يقوله فيه. فكان النص القرآني أروع وصفا للتردد، والحيرة، والإعنات. قال الله ﷻ :﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا، وجعلت له مالا ممدودا، و بنين شهودا، ومهدت له تمهيدا، ثم يطمع أن أزيدا . كلا إنه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا .إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدّر، ثم قتل كيف قدّر. ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر. إن هذا إلاّ قول البشر﴾ (المدثر11)

وإذا كانت بلاغة القرآن الكريم قد صدمت العربي، فاعترف لها بالسبق دون أن يلتفت إلى مضمونه، فإن الشهادات من الكثرة ما يجعل مطالعتها متعة تزيد القارئ إحساسا بعظمة هذا النص. وقد روي أن "أبا عبيدة" حكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ (الحجر94) فسجد، وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام. أي إنما كان سجوده لأنه هزّه العجب لفصاحته، ولدهشته من بلاغته، حتى ذلّ ومرّغ وجهه في التراب ([1]) وقد سدّ بعضهم مجاري السمع فيه بالقش لئلا يصل إليه شيء من القرآن، كما شأن "الطفيل بن عمرو الدوسي" وكان شاعرا، سيدا، مطاعا، حتى وفد على الرسول ﷺ وأسلم. .

إن مثل هذه الشهادات تكشف عن الأثر الذي أحدثه النص الجديد في العقلية والذائقة على حد سواء . فكان من الطبيعي أن يؤثر هذا النص في طرائق الكتابة فيما بعد . بل إن كتب التفسير، والفقه، والنحو، والبلاغة، تكشف عن ذلك التأثر فيما رسمت من نماذج رائقة لفن الكتابة. إذ ل يكن فن الكتابة مقصورا على الأدباء وحدهم كما نتوهم، وإنما سرى سحره إلى كل ما خط القلم من لفظ العربية في سائر الفنون والعلوم.

[1] –انظر بغداداب بلقاسم. المعجزة القرآنية. ص: 136.

وقد أمدّ الحديث النبوي ببلاغته طرق الكتابة وأساليبها بفيض من الأنماط، وجدت سبيلها إلى أقلام الفقهاء والمحدثين والرواة. فكان الحديث حلية كل قلم ينفث فيه سحرا آخر ينضاف إلى سحر القرآن الكريم.

أعلام المخطوطات الجزائرية في ليبيا

" دراسة وصفية "

الدكتور/ الهادي محمد السلوقي

أستاذ الأدب العربي

كلية التربية جامعة الزاوية ليبيا

يمثل حجم المخطوطات في أية بيئة علمية مؤشراً دالاً على مستوى النشاط الثقافي والعلمي، لأنه انعكاس لاهتمام العلماء والباحثين خاصة والمثقفين عامة، وانّ ما يقال ويذاع عن ضحالة الحياة الفكرية في ليبيا وفى بعض البيئات الأخرى المشابهة بالنسبة إلى الحواضر العلمية العربية الكبرى لا يخلو من الغلو والمبالغة، لقد كان لكل البيئات نصيبها على قدر ما أتيح لها من ظروف الاستقرار، والتي لاشك بطبيعة الحال تؤثر قدرا وكما من المخزون الثقافي والعلمي للمجتمع، لقد كانت ليبيا بالرغم من غلبة الجفاف والتصحر والظروف الأخرى، لا تخرج عن نطاق أخواتها العربيات في عطائها الثقافي المقدّر، وهو ما لاحظه بعض المنصفين من الدارسين، والمركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية بليبيا، والذي يضم الوثائق والمخطوطات العلمية النادرة، يعد رافداً من روافد الثقافة والمعرفة العلمية، والذي لم ينل هذا التراث المخطوط الموجود في ليبيا حظه الكافي من الكشف والفهرسة إلاّ ما ندر، إذ أن معظم المخطوطات لم تر النور، وتحتاج إلى أيد تصل إليها، لتخرجها من ظلماتها إلى روادها من الدارسين والمثقفين والطلبة،والمطلعين على الثقافة، والتراث العربي المخزون، وها أنا أقدم هذه الدراسة الوصفية المتواضعة لأعلام المخطوطات الجزائرية، ومعلومات مستفيضة عن مخطوطاتهم المحفوظة بالمركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ما أسعفني إليه البحث والإطلاع، وهى دراسة لاشك في أن لها أهمية كبرى لدى الباحثين والدارسين المتخصصين في مجالات اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتساعدهم إلى الوصول إلى هذه المخطوطات في

سهولة ويسر، حتى يتم تحقيقها وترى النور، كما أنني حاولت جاهداً أن أرفق معظم هذه المخطوطات باللوحة الأولى، وما تبقى من هذه المخطوطات فلم استطع الحصول عليها، إذ أن معظمها ضمن مجاميع أو مصورة على ميكروفيلم، وقد جاء منهجي في هذا البحث أن أقدم نبذة عن مؤلف المخطوط ما أسعفتني المصادر لذلك، وإحالة القارئ إلى المصادر التي عُنيت بحياة المؤلف، متتبعاً وصف المخطوط ونُسخه، وأخيراً أسال الله السداد والتوفيق.

المخطوط الأول ومؤلفه :

أحمد المقريّ :

أبو العباس: أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي، المقرّي التلمساني، ولد عـام 992 هـ، على خلاف [1]، أديب، مؤرخ، جزائري الأصل، نزيل فاس والقاهرة، له من الشهرة في الأدب مالا يذكر لغيره بتصانيفه الكثي، منها:

1) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

2) فتح المتعال في وصف النعال، (نعال النبي– صلى الله عليه وسلم) .

3) أزهار الرياض في أخبار عياض، في أربعة أجزاء.

4) روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس.

5) البدأة النشأة في النظم والأدب.

6) إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، وغيرها من المصنفات العديدة، وكانت وفاته بعد تنقله في الديار المصرية والشامية والحجازية عام1041 هـ، ودفن بمقبرة المجاورين.

ترجم له :

1) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ج2 ص78.

2) خير الدين الزركلي، الأعلام ج1 ص226 .

3) حاجى خليفة، كشف الظنون ج1 ص72 .

(**1**) معجم المؤلفين : رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج**2** ص**78**

(وصف المخطوط)

توجد بمركز الدراسات التاريخية بليبيا ثلاث مخطوطات لهذا العالم الجليل، وكلها في التوحيد والعقائد، ووصفها كالتالي:

المخطوط الأول:

- عنوانه : " إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة ".
- مؤلفه : أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن المقرّي
- ناسخه: مجهول
- تاريخ النسخ : 1037 هـ. (أي زمن حياة المؤلف)
- عدد الأوراق: 16
- عدد الأسطر: 17
- الحجم : 14×20 سم
- الخط : مغربي
- أوله : يبدأ بقوله : " الحمد لله توحيده، أجمل ما اعتنى به عبيده . . . . . . ". ويلي هذا المخطوط مخطوط أخر، موسوم بـ " الإسراء والمعراج " وهو لمجهول.
- رقم المخطوط : (1734)





المخطوط الثاني :

- عنوانه: "إفادة المغرم بتكميل شرح الصغرى" .
- مؤلفه: أحمد بن محمد بن يحي المقرّي، التلمسانى.
- ناسخه: عمارة بن إسماعيل الأمليطى المالكي.
- تاريخ النسخ: **مجهول**
- الأوراق: 24 ورقة • الأسطر: 21 سطراً • المقياس: 14×20 سم
- الخط: مشرقي رقم المخطوط: (305) والمخطوط قطعة ضمن مجموع.



المخطوط الثالث :

- عنوانه: "فوائد وفرائد في التوحيد" .
- مؤلفه: أحمد بن محمد بن يحي المقري.
- ناسخه: عمارة بن إسماعيل الأمليطى، ناسخ المخطوط الثاني
- تاريخ النسخ : مجهول
- الأوراق: 73 • الأسطر: 21 • الحجم: 14 ×20 سم
- الخط : مشرقي • أوله: "الحكم العقلي عبارة عما يدرك العقل قوله . . . . ".
- رقم المخطوط: المخطوط قطعة ضمن مجموع مرقم (503) ومصدره مجموعة الأوقاف

المخطوط الثاني ومؤلفه:

أحمد بن حجلة:

أبو العباس : شهاب الدين أحمد بن يحي بن أبى بكر بن عبد الواحد بن أبى حجلة [1]، التلمسانى، ولد عام725 هـ، بزاوية جده بتلمسان، كان جده من الصالحين الزاهدين، وله زاوية مشهورة تعرف بزاوية (ابن أبى حجلة)، كان الناس يقصدها للاستشفاء والعلاج، ويؤخذ منها التراب لطلب الدواء والتماس الشفاء، قال ابن العماد في هذا الشأن: "وكان جده من الصالحين، وأخبرني الشيخ شمس الدين بن مرزوق أنه سمى بأبي حجلة، لأن الحجل أتت وباضت على كمه" .[2]

عرف هذا العالم بكثرة مؤلفاته وغزارة علمه، تناولت مؤلفاته أكثر العلوم، وتلك سمة التأليف فى ذلك العصر، والمطلع على بعض تصانيفه لا يستطيع أن ينكر فائدتها وقيمتها العلمية، وبخاصة إذا ما علمنا أنه صاحب المنظوم والمنثور، المستحوذ ببراعة العلوم، قال عنه ابن الأحمر [3] " أدركته وحاله هو المستبحر في القريض والتصنيف، والمقرط أذان العلوم، ومشنفها بأحسن التشنيف، المستحوذ ببراعة على صدور القوافى والإعجاز، المستكثر في الشعر المدون ببدائع الطلاوة، والمستطيل فيه بالرقة والحلاوة، وطريقة التصوف هو فارسها، وميادين أبطال الكلام " [4].

---

(1) نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد الداية، دار الثقافة، بيروت، لبنان.ص 228.

(2) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، المكتبة التجـــارية، بيروت، لبنان، ج 6، ص240.

(3) إسماعيل بن يوسف بن الأحمر، ولد بفاس وفيها توفي عام 807 هـــ، الأعلام، ج1، ص329.

(4) نثر فرائد الجمان، ص228–229.

وله شعر لطيف، يذكر فيه بعض مؤلفاته، فيقول:

ولى فيه من غر التصــانيف خمسة　　　وهذا الذي طوق الحمامة ذاكره [5]

يضوع به المنثور كالزهـــــر عندمـ　　　تراوحه ريح الصبـــا وتباركره

فكم لي فيه من مرقص حوله مطرب　　　بتشبيبه في الحى يطــرب زامره

ولو لم يكن مثل السكر دان مـاغد　　　بحضـــرته يوما تطيب حواضره

ومعظم شعره حسن لطيف، ففي الغزل، يقول :

جاءتك تختال بين الحِلْى والحـــلل　　　هيفاء كالشمس حلت دارة الحمل [1]

من خدها وكثيف الردف عاشقها　　　يهيم بين الورى فى السهـــل والجبل

ومصادر ترجمته متعددة منها :

1) ابن العماد، شذرات الذهب : ج 6 ص240

2) عمر رضا كحالة ،معجم المؤلفين : ج 2 ص201

3) حاجى خليفة، كشف الظنون : ج 1 ص46

4) البغدادى، إيضاح المكنون : ج 1 ص136

5) الزركلى، الأعلام : ج 1 ص255

(**5**) مخطوط ديوان المؤلف، ورقة رقم **3**.

(**1**) مخطوط ديوان الشاعر، ورقة رقم **76**.

(وصف المخطوط)

- عنوانه : " ديوان الصبابة ".
- مؤلفه : أحمد بن يحي بن أبى حجلة.
- ناسخه: أحمد بن الكبير المراكشى.
- تاريخ نسخه: شهر شوال سنة 1044هـ
- عدد أورقه : 141 ورقة
- عدد الأسطر : 21 سطراً
- الحجم : 14×11 سم
- الخط : مغربي جميل، خال من الشكل.
- أوله : "الحمد لله الذي جعل للعاشقين بأحكام الغرام رضا . . . . ".
- المصدر: مجموعة الأوقاف
- رقم المخطوط: (1158)

المخطوط الثالث ومؤلفه:

أحمد التلمسانى:

أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن على[1]، الونشريسى، التلمسانى الأصل والمنشأ، الفاسى الدار والإقامة، ولد عام 834 هـ.

أخذ العلم عن علماء تلمسان ،ونقمت عليه حكومتها أمراً، فانتهبت داره ،ثم غادرها إلى فاس، كان ذلك في حدود عام 874 هـ [2]، ومن ثم استوطنها إلى أن توفى فيها عام 914 هـ، وقد بلغ من العمر ثمانين عاماً.

---

(1) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .، ج 2 ، ص205.

(2) الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، 1969م، بيروت، لبنان.، ج 1، ص 255 وما بعدها .

مصنفاته عديدة، من بينها :

1) إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك (المخطوط) .

2) المعيار المعرب عن فتاوى أفريقية والمغرب.

3) القواعد في فقه المالكية.

4) الفائق في الأحكام والوثائق.

5) الفروق في مسائل الفقه.

6) إضاءة الحالك في الرد على من أفتى بتضمين الرأي المشرك.

7) شروح وتعاليق. [3]

ترجم له كل من:

1) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين : ج 2 ص205

2) خير الدين الزركلى، الأعلام : ج 1 ص 255-256

3) البغدادى، إيضاح المكنون : ج 1 ص 113

(وصف المخطوط)

للمؤلف مخطوطتان بمركز الدراسات التاريخية بطرابلس، ووصفهم كالأتي :

المخطوط الأول :

- عنوانه: " الطرر الونشريسية على الوثائق الفشتالية " .

---

(3) ينظر المصدرين السابقين.

- مؤلفه: أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن على.
- ناسخه: أبوبكر أحمد بن عبد الصادق • تاريخ نسخه: الخميس 19 رمضان 1167هـ
- عدد أوراقه: 114 ورقة • عدد أسطره: 23 سطراً • قياسه: 16 22×سم
- خطه: مغربي بمداد أسود، أما الأقوال فكتبت بالمداد الأحمر
- بدايته : " هذا تقييد طرر الشيخ أحمد الونشريسى، عند قوله : كلها من الله تعالى، والخلق كلهم على اختلاف أنواعهم ...." .
- رقم المخطوط : (551) ضمن مجموع.



المخطوط الثاني :

- عنوانه : " إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك " .
- مؤلفه : أبو العباس: أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد الونشريسى

- ناسخه، وتاريخ النسخ : مجهولان • الأوراق : 26 ورقة
- الأسطر : 25 سطراً • القياس : 20×13 سم • الخط : مغربي
- بدايته : " الحمد لله الذي أعلى دين الهدى والحق . . . . . ".
- رقمه : (480) وهو ضمن مجموع.

المخطوط الرابع ومؤلفه :-

عبد الرحمن الجزائري :

عبد الرحمن بن عبد القادر الجزائري، المالكي، فقيه من أهل الجزائر، كانت وفاته عام 1020 هجرية، الموافق 1611 ميلادية.

من أثاره :

1) المغارسة.

2) شرح المغارسة، أورد في شرحه جملة الأحكام التي تتعلق بالمغارسة.

له ترجمة عند، خير الدين الزر كلى، الأعلام جزء 4 ص82.

(وصف المخطوط)

- العنوان : " الأحكام التي تتعلق بالمغارسة ".
- المؤلف : عبد الرحمن بن عبد القادر الجزائري
- الناسخ : على بن أحمد بن زايد الفيتورى • تاريخ النسخ : أول شعبان 1229هـ

- الأوراق : 247
- الأسطر : 20
- القياس : 21 ×14 سم
- الخط : مغربي، وقد كتبت الفصول والأبواب بالمداد الأحمر.
- أوله : " الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد . . . ".
- رقمه : (632)



المخطوط الخامس ومؤلفه :-

أبو زيد الثعالبي :

عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري، المالكي[1]، أبو زيد، مفسر، فقيه، صوفي، متكلم، ولد عام 785 هـ[2]، من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق.

مؤلفاته كثيرة ما بين المطبوع والمخطوط من هذه التصانيف :

(**1**) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .: ج **5** ص **192**.

(**2**) رواية الأعلام : ج **4** ص **107**، **786** هـ.

1) الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز.

2) جامع الأمهات في أحكام العبادات، علق عليها عمر رضا كحالة في فروع الفقه المالكي[1].

3) العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة،وهو مجلد ضخم، كالتذكرة للقرطبى[2] .

4) قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين، في التصوف.

5) نفايس المرجان في قصص القرآن.

6) الأنوار في المعجزات النبوية.

7) روضة الأنوار، ونزهة الأخيار.

8) الإرشاد في مصالح العباد .

9) رياض الصالحين.

وكانت وفاة الشيخ الجليل سنة 875 هـ، وقد ترجم له كل من:

1) خير الدين الزر كلى ،الأعلام: ج 4 ص 107 .

2) عمر رضا كحالة ،معجم المؤلفين: ج 5 ص 192 .

3) حاجى خليفة ،كشف الظنون: ج 2 ص 1163 .

4) البغدادي ،هدية العارفين: ج 1 ص 532-533 .

---

(1) معجم المؤلفين : ج 5 ص 192.

(2) كشف الظنون : ج 2 ص 1163.

(وصف المخطوط)

للمؤلف ثلاث مخطوطات محفوظة بمركز الدراسات التاريخية، ووصفها كالآتي :

المخطوط الأول :

- عنوانه : " الجواهر الحسان في تفسير القرآن " جزء واحد .
- مؤلفه :عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري.
- عدد أوراقه : 223 ورقة
- عدد الأسطر : 24 سطراً
- الحجم : 20×18 سم
- الخط : مغربي.
- بدايته : " الحمد لله رب العالمين،وصلاة ربنا وسلامنا . . . . . ".
- رقمه : (85)
- المخطوط تملكه، محمد بن محمد جلبي سنة 1202هـ، وبه ثقوب وتأكل في الأطراف.



المخطوط الثاني :

- عنوانه : " الأنوار المضيئة في الشريعة والحقيقة " .
- مؤلفه : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي
- أوراقه : 25 ورقة • الأسطر : 19 سطراً • الحجم : 20×14 سم
- الخط : مغربي • رقمه : (303)
- وهذا المخطوط له نسخة أخرى عدد أوراقها ست أوراق برقم (288) .



المخطوط الثالث :

- عنوانه : " رسالة عن الحقائق " .
- مؤلفه : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي
- أوراقه : 6 أوراق • الأسطر : 19 سطراً • الحجم : 19×13 سم
- الخط : مغربي • أوله : "الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. . . ." .

- رقمه : 288، وهو قطعة ضمن مجموع.



المخطوط السادس ومؤلفه :-

عبد الله التلمساني :

أبو محمد /عبد الله بن محمد بن على الفهرى، المعروف بابن التلمساني، مغربي الأصل، مصري النشأة، شافعي، ولد عام 567هـ، تصدر للإفتاء بالديار المصرية، له مصنفات منها :

1) شرح التنبيه للشيرازي ،(في فروع الفقه الشافعي) .

2) شرح المعالم ،في أصول الفقه لعز الدين الرازي.

3) شرح الخطب النباتية.

4) المجموع في الفقه.

ظل مستوطناً الديار المصرية إلى أن أدركته المنية، فتوفي بالقاهرة عام 644 هـ.

ترجم له كل من :

1) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ج6 ص 133.

2) حاجى خليفة، كشف الظنون ج1 ص 491.

3) البغدادي ،إيضاح المكنون ج1ص 431.

وصف المخطوط :

- عنوانه : " شرح المعالم ".
- مؤلفه : عبد الله بن محمد الفهرى التلمساني.
- تاريخ نسخه : 5 صفر 863 هـ. • الأوراق : 23 ورقة.
- الأسطر : 25 سطراً. • القياس : 18×12 سم. • الخط : مغربي.
- بدايته : " الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين. . . . . . ".
- مصدره : مجموعة الأوقاف. • رقم المخطوط : (291) ضمن مجموع.



المخطوط السابع ومؤلفه :-

المؤلف ورد في المخطوطات بالمركز أن المخطوط مؤلفه محمد بن إبراهيم الملالي التلمسانى، وأظنه أب لمحمد بن محمد بن إبراهيم الملالى صاحب شرح العقيدة السنوسية الواردة بالمخطوط الحادي عشر من هذا البحث ،كما أنه أب لمحمد بن عمر بن إبراهيم الملالى التلمسانى الوارد ذكره بالمخطوط العاشر، ولعله مصنف مغمور حيث لم أقف له على ترجمة فيما وقفت عليه من مصادر ومراجع، وما أسعفني عليه الإطلاع من الكتب.

(وصف المخطوط)

لهذا المخطوط ثلاث نسخ محفوظة بالمركز، وجاء وصفها كالأتي:

النسخة الأولي :

- عنوانها : " شرح عقيدة محمد بن يوسف السنوسي الحسني " [1] .

---

(1) محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، له تصانيف كثيرة منها : أم البراهين في العقائد، شرح كلمتي الشهادة، شرح صحيح البخاري ولم يكمله، توفي عام 895 هـ .

ترجمته : في معجم المؤلفين : ج 12 ص 132.

- مؤلفها : محمد بن إبراهيم الملالى التلمسانى.
- تاريخ نسخها : الجمعة 3 ربيع الثاني 1176 هـ، أما ناسخها فمجهول.
- أوراقها : 133 ورقة • أسطرها : 25،19،15 سطراً
- قياسها : 15×20 سم
- بدايتها : " الحمد لله المنفرد بوجوب الوحدانية......".
- أخرها : " وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ".
- رقم المخطوط : المخطوط مصور على ميكروفيلم برقم 13/47 فقه، ويحتوى على:

متن الجوهرة، وصغرى الصغرى للسنوسي، وفائق الأخبار، والأول بخط على بن محمد بن زايد سنة 1333هـ .

النسخة الثانية :

- العنوان : " شرح عقيدة محمد بن يوسف السنوسي الحسني".
- المؤلف : محمد بن إبراهيم الملالى التلمسانى.
- الناسخ : محمد التهامي بن الحاج محمد البر قاسى الغدامسى.
- تاريخ النسخ : الأربعاء 15 شوال 1264 هـ.

الأعلام : ج **8** ص **29–30**.

- الأوراق : 121 ورقة • الأسطر : 25 سطراً • القياس : 14×22 سم
- بدايتها : " فقد سألني بعض المحبين، أشرق الله قلبي وقلوبهم بأنوار اليقين. . . . . . " .
- أخرها : " فالعتق يسري بالغنا يا ذا الغنا على الفاني بعتق الباقي " .
- رقمها : مصورة على ميكروفيلم، برقم 13/47 فقه.

النسخة الثالثة :

- العنوان : " شرح عقيدة السنوسي " .
- المؤلف : محمد بن إبراهيم الملالى التلمسانى.
- الناسخ : أحمد بن الحاج على سليمة. • تاريخ النسخ : 25 ربيع الأول 1246هـ
- الأوراق : 26 ورقة. • الأسطر : 23 سطراً. • القياس : 16×22 سم.
- أولها : " معنى الحمد لله كله لله بكل كمال يستحقه. . . . . . " .
- أخرها : " على قدر همته وحضور قلبه مع ربه جل وعز " .
- رقمها : مصورة على ميكروفيلم، برقم 7/47 فقه.



المخطوط الثامن ومؤلفه :-

محمد التلمسانى:

محمد بن الحسن بن عرضون الزجلي، الشفشاونى ،المغربي، المالكي، ولد عام 1012 هـ، وكان فقيهاً، متكلماً، قاض من القضاة .

من أثاره :

1) الكتاب اللائق لمعرفة الوثائق.

2) شرح عقائد السنوسي.

ترجمته عند :

1) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين:ج 9 ص 199-200.

2) البغدادي، هدية العارفين: ج 2 ص 265.

(وصف المخطوط)

- العنوان : " أربعون حديثا " .
- المؤلف : محمد بن الحسن بن محمد المغربي التلمساني.
- الأوراق : 15 ورقة. • الأسطر : 15 سطراً. • الحجم : 21 ×15 سم.
- الخط : مشرقي. • مصدر المخطوط : شعبة المخطوطات بالمركز.
- رقم المخطوط : (1998)



المخطوط التاسع ومؤلفه :-

لعله (أبو عبد الله) محمد بن العباس بن محمد العبادي، المالكي، فقيه، حافظ، مشارك في بعض العلوم، أفتى بتلمسان، ألف مؤلفات من بينها .

1) العروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عند فرية الإلقاء .

2) شرح جمل الخونجى في المنطق.

3) تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال ،لابن مالك في الصرف[1] .

4) له بعض الفتاوى .[2]

كان محمد التلمسانى شيخ شيوخ وقته بتلمسان، مرض بالطاعون،و به توفى ودفن بمسقط رأسه(العباد)، عام 871 هـ .

ترجم له كل من :

1) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين :ج 10 ص 121.

2) خير الدين الزر كلى : الأعلام ج7 ص 53.

3) السخاوي : الضو اللامع :ج 7 ص 278.

4) حاجى خليفة : كشف الظنون : ج 1 ص 1536.

وصف المخطوط :

- العنوان : " الدرة المشيدة في شرح المرشدة " .
- المؤلف : محمد بن عباد التلمسانى.
- الناسخ : محمد التهامي الغدامسى.
- تاريخ النسخ : الأحد 25 صفر 12667هـ.

(1) الأعلام : ج 7 ص 53.

(2) المصدر السابق.

- عدد الأوراق : 154 ورقة. • عدد الأسطر : 22سطراً. • الحجم : 16×22 سم.
- أول المخطوط : " أعلن أن السفر إلى الحضرة الإلهية يحتاج إلى جناحين . . . "
- نهاية المخطوط : " اللهم أرزقني العلم مع الحلم، والعمل مع العلم ".

المخطوط مصور على ميكروفيلم ومقيد برقم (17/47) فقه، وهو ضمن مجموع يحتوى على:-

أ) " العقيدة الصغرى، لمحمد بن يوسف السنوسي".

ب) " الدرّة المقررة في شرح العقيدة المرشدة، لمحمد بن أحمد بن إسماعيل بن على الأموي المعروف "بابن النفاس ".

ج) " أسئلة وأجوبتها تتعلق بالجنة والنار وغير ذلك " (لمجهول).

د) " التوحيد لابن عبد الله محمد بن خليل ".

هـ) " شرح جوهرة التوحيد : لعلى بن محمد بن محمد التميمي ".

المخطوط العاشر ومؤلفه :-

محمد بن عمرو[1] بن إبراهيم التلمسانى، كان حيا في حدود1000هـ، 1591 ميلادية، ألف وشرح، وكان من بين ما شرح، أنه شرح كتاب " أم البراهين في العقائد "، كما يقرر ذلك صاحب كتاب، كشف الظنون، فيقول في شأنه:"وشرح أيضا محمد بن عمر بن

(1) حاجي خليفة، كشف الظنون : ج 1 ص 170، وفيه " محمد بن عمر بن إبراهيم ".

إبراهيم التلمسانى. . . . .وهو شرح بالقول مختصر، أوله : " الحمد لله المنفرد بوجوب الوحدانية. . . . .إلى أخره ".

وأكثر الظن أنه يشير إلى أحد نسخ هذا المخطوط، كما هو واضح من عنوانه.

ترجم له :-

1) حاجى خليفة، كشف الظنون : ج 1 ص 170.

2) أبو يوسف سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي : ج 1 ص 76.

(وصف المخطوط)

للمؤلف مخطوطتان كلاهما في شرح عقيدة محمد السنوسي.

المخطوط الأول:-

- العنوان : " شرح مختصر على عقيدة محمد بن يوسف السنوسي".
- المؤلف : محمد بن عمر بن إبراهيم التلمسانى.
- الناسخ : محمد بن محمد الشريف مروان.
- تاريخ النسخ : 14 شعبان1161 هـ
- عدد الأوراق : 20 ورقة
- عدد الأسطر : 21 سطراً
- الحجم : 10×15 سم.
- أول المخطوط : "الحمد لله المنفرد بوجوب الوحدانية في الذات والصفات والأفعال، . . . .".
- أخر المخطوط : " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ".
- رقم المخطوط : المخطوط مصور على ميكروفيلم برقم 7/47، فقه.



المخطوط الثاني :

- عنوانه : " الدرّة اللذيذة في شرح العقيدة " .
- مؤلفه : محمد بن عمر بن إبراهيم التلمسانى.
- ناسخه : عبد الكريم بن جبريل المشيطى، المتوفى عام 1175هـ.
- أوراقه : 12 ورقة • قياسه : 16×22 سم • خطه : مغربي
- بدايته : " به نقص من أوله ،يبتدئ قبل الشرح، قول المصنف:"فيما يجب لمولانا جل وعز عشرون صفه. . . . . . ." .
- رقمه : (530) • مصدره : مخطوطات جامعة قاريونس، وهو محفوظ بالمركز.

المخطوط الحادي عشر ومؤلفه :-

محمد بن محمد بن إبراهيم الملالي التلمسانى، أحد فقها تلمسان ولم تتعرض المصادر والمراجع التي أوقفت عليها لذكره، وكل ما قيل عن هذه العائلة ،ما ذكره حاجى خليفة قي كتابه كشف الظنون ،حيث قال معلقا على كتاب (أم البراهين في العقائد) للشيخ محمد بن

يوسف السنوسي : " وشرح أيضا محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني، المتوفى سنة. . . . . .، وهو شرح بالقول مختصراً أوله الحمد لله المنفرد بوجوب الوحدانية " [1] .

ولعل صاحب المخطوط هو ابن عم شارح مخطوط (أم البراهين) كما يبدو في سلالة هذه العائلة التي أشار إليها صاحب كشف الظنون .

وجد لهذا المؤلف ثلاث مخطوطات وكان وصفها كالأتي :

(وصف المخطوط الأول)

لهذا المخطوط ثلاث نسخ بعنوان واحد وهي كالتالي :

النسخة الأولى :

- العنوان : " شرح العقيدة السنوسية " .
- المؤلف : محمد بن محمد بن إبراهيم الملالى التلمسانى.
- الناسخ : محمد بن يوسف. ولم يذكر تاريخ نسخه. • الأوراق : 53 ورقة.
- الأسطر : 23 سطراً. • الحجم : 21×14 سم • الخط : مغربي.
- بدايته : " يقول عبيد الله محمد بن إبراهيم. . . .". • المصدر: مجموعة الأوقاف.
- الرقم : (251)، وهو ضمن مجموع، يتملكه أحمد بن عبد السلام.

---

(1) كشف الظنون : ج1، ص170.

النسخة الثانية :

- العنوان : " شرح العقيدة السنوسية " .
- المؤلف : محمد بن محمد بن إبراهيم الملالى التلمسانى.
- الناسخ : محمد بن عبد الصمد الشنوني.
- تاريخ النسخ : 17 ربيع الأول سنة 1176هـ.
- الأوراق : 24 ورقة. • الأسطر : 21 سطراً • القياس : 22×19 سم.
- الخط : مغربي • أولها:"يقول عبد الله محمد بن. . . . . ".
- المصدر : مجموعة الأوقاف، وهو قطعة ضمن مجموع. • الرقم : (906) .

النسخة الثالثة :

- عنوانها : " شرح العقيدة السنوسية " .
- مؤلفها : محمد بن محمد بن إبراهيم الملالي التلمساني .
- ناسخها : النسخة بخط المؤلف. • تاريخ نسخها : أول نصف شعبان 1232هـ
- عدد أوراقها: 18 ورقة. • عدد أسطرها: 23 سطراً. • حجمها: 20×15 سم.
- خطها: مغربي •أولها : "وبعد فقد سألني المحبين، أشرف الله قلبي وقلوبهم. . ".
- مصدرها : مجموعة الأوقاف. • رقمها : النسخة ضمن مجموع برقم (251) .

(وصف المخطوط الثاني)

- العنوان : "مختصر أم البراهين" .
- المؤلف : محمد بن محمد بن إبراهيم الملالي التلمساني.
- الأوراق : 19 ورقة. • الأسطر : 23 سطراً. • الحجم : 19×15 سم.
- الخط : مغربي. • بدايته : " الحمد لله المنفرد بوجوب الوحدانية. . . . ".
- المصدر : مجموعة الأوقاف. • الرقم :(229) .

(وصف المخطوط الثالث)

- العنوان : " المفاتيح القدسية في المناقب السنوسية " .
- المؤلف : محمد بن محمد بن إبراهيم الملالى التلمسانى.
- الناسخ : محمد بن عبد الرحمن بن يوسف. • الأوراق : 36 ورقة.
- الأسطر : 24 سطراً. • الحجم : 24×16 سم.
- أوله : " قال الشيخ الملالى رحمه الله. . . . . . " • الخط : مغربي.
- المصدر : مجموعة الأوقاف. • الرقم : (1282) .



المخطوط الثاني عشر ومؤلفه :-

محمد بن يوسف

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، الحسنى [1]، ولد عام 832هـ، عالم من علماء تلمسان، محدث في زمنه، متكلم، مقرئ، كان من الصالحين الزاهدين

من تصانيفه الكثيرة :

1) شرح جمل الخونجى في المنطق. [2]

2) شرح قصيدة الحباك في الأسطرلاب.

3) مصنف في مناقب الأربعة رجال المتأخرين.

4) شرح مقدمات الجبر والمقابلة لابن الياسمين.

5) شرح صحيح البخاري، ولم يكمله. [3]

---

(1) معجم المؤلفين : ج12، ص132.

(2) في المصدر السابق، شرح ايساغوجي في المنطق.

(3) الأعلام : ج8، ص29

6) تفسير سورة " ص" وما بعدها من السور.

7) شرح عقيدة أهل التوحيد، ويسمى العقيدة الكبرى.

8) أم البراهين في العقائد، ويسمى العقيدة الصغرى،

9) صنف حاشية على صحيح مسلم.

10) شرح لامية الجزائري.

11) شرح كلمتي الشهادة.

وكانت وفاته بتلمسان عام 895هـ .

ترجمته في :

1) الأعلام : ج 8 ص 29–30.

2) معجم المؤلفين : ج 12 ص 132.

3) كشف الظنون : ج 1 ص 170، ج 2 ص 1157–1158.

4) إيضاح المكنون: ج 2 ص 109.

(وصف المخطوط ومؤلفه)

- العنوان : " شرح العقيدة السنوسية " .
- المؤلف : محمد بن يوسف التلمسانى.
- الناسخ : محمد بن الحاج محمد بن بركات (دمشق جامع بني أمية) .

- الأوراق : المخطوط قطعتان 44–117 ورقة.
- الأسطر : 19 سطرا .
- الحجم : 21×16 سم .
- الخط : مشرقي دقيق.
- أوله : " الحمد لله الواسع الجود، ذي العطاء الذي شهدت بوجوب وجوده ووحدانيته، وعظم جلاله، ووجوب افتقاره الكائنات كلها إليه في الأرض والسماء . . . . ." .
- رقم المخطوط : (121) .

الخاتمة

المخطوطات العربية عامة، والجزائرية خاصة تمثل تراثاً خالداً للعرب وهي مفخرة من مفاخرنا تدل على عبقرية العقل العربي ثقافياً وعلمياً، كما أنها تجسد صانعي هذا التراث، وتكشف عن مدى أهميته للعلوم العربية والإسلامية، كما أنها تسمو برؤسنا في اعتزاز وشعور صادق بالفخر والكبرياء، لقد حاول المستشرقون أن يقللوا من قيمة التراث العربي مخطوطاً ومطبوعاً، وأن يقضوا على الكتابة العربية ليقطعوا بين حاضر هذه الأمة وماضيها، ولقد خصصت المخطوطات الجزائرية بالذات ذلك أن مخطوطاتهم وكنوز معارفهم أكثر من أن تحصى لذا اعتمدت أن أخوض هذا البحث وأسهم بشيء في تبيان أعلامهم وعناوين مخطوطاتهم مبرزاً موضوعات كتبهم، محاولاً الوقوف على أهم المصادر التي ترجمت لهذه الكوكبة العلمية الجزائرية الفذة في علومهم المختلفة، فرحلة البحث وإن كانت شاقة وتشوبها بعض الصعاب إلا أن ثمرة كفاحها جهاد صادق، وإني إذ أقدم هذا البحث الجديد فإني أعلم علم اليقين أنه جهاد متواضع، وأن شأنه شأن كل كتابة جديدة قد يخطئها التوفيق في بعض الأمر، ويعروها الكمال الذي لم يخلق للبشر، وفي خاتمة هذا البحث أرفق بعض النتائج التي توصلت إليها:

1- كثرة المخطوطات الجزائرية المنتشرة بين مكتبات وفهارس المخطوطات العربية في كثير من الدول العربية.

2- كشف اللثام عن كنوز ومعارف العلماء الجزائريين، وما صنفوه من علوم وثقافة جديرة بالاهتمام والتنقيب عليها، وكشف الغبار لقراء العربية.

3- إن هذه المخطوطات من خلال العناوين التي وردت في البحث، تدل دلالة قاطعة على أنهم علماء صالوا وجالوا في علوم كثيرة، وأصناف متعددة من العلوم.

وأخيراً أسأل الله التوفيق والهداية.

المخطوطات الإفريقية المكتوبة باللغة العربية ودورها في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا مخطوطات أحمد بابا التنبكتي والشيخ موسى كمرا نموذجا

الدكتور **قاسم جاخاتي**، أستاذ مساعد

قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة شيخ أنتا جوب، داكار، السنغال

ملخص البحث: كرسنا هذا البحث لدراسة مجموعة من المخطوطات التي كتبها باللغة العربية علماء من غرب إفريقيا وعالجوا فيها قضايا متعلقة بالتراث الإسلامي في تلك البلاد، ويتركز البحث على الدور الذي لعبته المخطوطات المذكورة في المحافظة على التراث الإسلامي المشار إليه وفي نقلها هذا التراث لأجيال متعاقبة في مناطق غرب إفريقيا . ومما يجدر ذكرُه أن الكنز الذي تركوه لنا في هذا المجال عظيم، ولهذا السبب حصرنا تحليلاتنا في عيّنات تتضمن لُبّ ما في المخطوطات الأخرى، مأخوذةٍ من مخطوطات لأحمد بابا المتوفى عام 1627م والشيخ موسى كمرا المتوفى سنة 1945، وهما عالمان ومفكران من غرب إفريقيا تتّسم كتُبُهما بالموسوعية.

Résumé

Le présent travail étudie des manuscrits que des érudits ouest-africains avaient écrits en arabe. Ils y traitent divers sujets relatifs au patrimoine islamique de la sous-région ouest-africaine.

Il met l’accent sur le rôle joué par lesdits manuscrits dans la conservation du patrimoine islamique et sa transmission de génération en génération à l’intérieur des pays concernés.

Il convient donc de souligner que le trésor qu’ils nous ont légué dans ce domaine est immense ; nous avons ainsi centré notre analyse sur quelques échantillons de manuscrits fort représentatifs réalisés par Ahmad Baba (m. 1627) et Sheikh Mûssâ Kamara (m. 1945), deux éminents intellectuels ouest-africains auteurs d’œuvres encyclopédiques.

المخطوطات الإفريقية المكتوبة باللغة العربية ودورها في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا مخطوطات أحمد بابا التنبكتي والشيخ موسى كمرا نموذجا

مقدمة

نبدأ مقدمة البحث بالتعريف التالي للمخطوطات وهو: "*كتاب لم يتم طبعه بعد، أي أنه مازال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره، أو أُخِذَتْ عنه صور فوتوغرافية أو أن يكون مصورا بالمايكرو فيلم عن مخطوط أصلي*"([1])

ونلفت الانتباه إلى أن مدار اهتمام بحثنا يندرج في المخطوطات المكتوبة باللغة العربية دون غيرها، ولا يخوض بناء ذلك في موضوع المخطوطات التي ساهمت في التعريف بالتراث الإسلامي ولكنها مكتوبة بلغات المسلمين المنسوخة بحروف عربية على الرغم من كونها، حسب تعريف الدكتور أحمد شوقي بنبين، جزءا لا يتجزأ من المخطوط العربي الإسلامي: "*إن المخطوط العربي الإسلامي هو المخطوط الذي تناول موضوعا من الموضوعات الأدبية أو الفلسفية أو العلمية باللغة العربية ونسخ بالحرف العربي. ويتسع ليشمل مخطوطات الدول الإسلامية غير العربية كلغات إفريقيا السوداء واللغات الحامية كالأمازيغية واللغات الهندية الأوربية كالفارسية والأفغانية والأوردو (urdu) أو الباكستانية والعثمانية والتركية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية التي استعارت حرف القرآن للكتابة.*"([2])

---

[1] د. فهمي سعد و د. طلال مجذوب:" تحقيق المخطوطات، بين النظرية والتطبيق "، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1993، ص 13.

[2] أ أحمد شوقي بنبين، " ما المخطوط؟ "، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد 337، السنة 45، العدد الأول، مايو– يونيو 2004

ونظرا لكثرة المخطوطات التي خلّفها لنا علماءُ منطقة غرب إفريقيا اخترنا أن نكرّس هذا البحث لدراسة عيّنات من مخطوطات عالمين بارزين من أبنائها، أي أحمد بابا التنبكتي والشيخ عثمان كمرا . وتتمحور إشكالية البحث في تحديد طبيعة المخطوطات المشار إليها والمواضيع التي تتطرق إليها والمكتبات والأماكن التي توجد فيها، وكذلك طرق ووسائل مساهمتها في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا .

وحسب خطة بحثنا، نعطي أولا فكرة عامة عن حياة أحمد بابا ثم نتبعها بدراسة مخطوطات له ساهمت في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا، ونقدم عقب ذلك نبذة عن حياة الشيخ موسى كمار ثم نحاول بعد ذلك إلقاء ضوء على مساهمة مخطوطاته في التعريف بالتراث المذكور.

I أحمد بابا ومخطوطاته

1 حياة أحمد بابا

ولد أحمد بابا التمبكتي السوداني في 21 ذو الحجة عام 963 هـ/26 أكتوبر 1556 م في قرية **أوران** التي تبعد من مدينة تمبكتو بحوالي 300 كيلومتر، كما وردت في بعض الروايات، ولكن روايات أخرى تؤكد أنه وُلد في تمكتو نفسها([1]) . حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم النقلية والعقلية في مدينة تمبكتو التي كانت في ذلك الزمن عاصمة العلوم والثقافة الإسلامية في بلاد السودان، ومركزا مرموقا للحوار والتبادل بين علماء غرب إفريقيا وزملائهم الوافدين من بلدان المغرب العربي. تربَّى أحمد بابا في كنف أسرة مشهورة بالعلم وفي بيئة سادت فيها حياةٌ

---

[1] **Mahmoud A. Zouber, "Ahmad Bâbâ de Tombouctou (1556-1627) sa vie et son œuvre", Maisonneuve et Larose, Paris, 1977, pp. 21-22.**

علمية وفكريةٌ مكثّفة استغلها أحسن استغلال واستفاد منها استفادة عظيمة، ويبدو ذلك بوضوح فيما بيّنه حول علاقته بأستاذه العلامة محمد بن محمود ابن أبي كر الونكرمي التنبكتي المعروف ببغيغ. وننشر فيما يلي النص الذي كتبه أحمد بابا في هذا الصدد على الرغم من طوله، للاستفادة من المعلومات القيّمة التي تتضمنها، بخصوص البرامج والمناهج الدراسية التي كانت مطبقة في عصره، وكذلك بعض مساهمات أحمد بابا وأستاذه في مجال تأليف ونشر العلوم العربية الإسلامية: " . . .*لازمته أكثر من عشر سنين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه، أما خليل فمرارا عديدة نحو عشر مرات أو ثمان بقراءتي وقراءة غيري، وحضرتُ عليه التوضيح كذلك لم يفتني منه إلا اليسير من الوديعة إلى الأقضية عليه وختمت عليه الموطأ قراءة تفهّم، وحضرُته كثيرا في المنتقى والمدونة بشرح المحلي ثلاث مرات وألفية العراقي في علم الحديث مع شرحهما، وحضرُتهما عليه مرة أخرى وختمت عليه تلخيص المفتاح مرتين وبعض الثالث بمختصر السعد وصغرى السنوسي مع شرح الجزائرية وحضرت عليه الكبرى وشرحها وقرأت عليه حكم ابن عطاء الله مع شرح زروق عليه ونظم أبي مقرعة والهاشمية في التنجيم مع شرحها ومقدمة التاجوري فيه ورجز المغيلي في المنطق والخزرجية في العروض بشرح الشريف والدماميني وكثيرا من تحفة الحكام لابن عاصم في الأحكام مع شرح ولده عليها، وسمعت بقراءته هو كثيرا من البخاري ومسلما كله ودولا من مدخل ابن الحاج وبقراءة غيري دروسا من الرسالة والألفية وغيرها. وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملا وهو مجلد كبير ومواضع أخر منه وباحثته كثيرا في المشكلات وراجعته طويلا في المهمات. وبالجملة فهو شيخي وأستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه، رحمه الله ونفعه، وأجازني جميع ما يجوز له وعنه وكتب لي بخطه في ذلك وأوقفته على بعض تآليفي وتقاييدي فكتب لي بخطه الثناء والموافقة بل كتب عني أشياء من أبحاثي لحسن نيته، وسمعته ينقل في دروسه بعضها لإنصافه وتواضعه وقبوله*

الحق حيث تعين. وكان حاضرا معنا يوم الكائنة العظمى علينا بتنبكت فنجاه الله تعالى، فكان آخر عهدي به، ثم بلغني وفاته بها يوم الجمعة من شوال في عام اثنين وألف، رحمه الله تعالي وأخبرني أن مولده سنة ثلاثين وتسعمائة، وله تعاليق وطرر نبه فيها على هفوات لشرح خليل وغيره وتّبع شرح التتائي الكبير من أوله إلى آخره فبين ما فيه من السهو نقلا وتقريرا في غاية الإفادة، وقد جمعتها في عدة كراريس تأليفا مستقلا، وله فتاوي عديدة. [1]

ذكر أحمد بابا فيما سبق مجموعة من الكتب التي كانت تُدرس في زمنه، وعبّر عن حبّه العميق للعلم الذي بذل مجهودا جبارا في طلبه حتى تبحّر في مختلف فنونه، ونال إجازات من شيخه تشهد على طول باعه فيها، وأشار إلى براعته في مجال الكتابة وتأليف الكتب وإلى إشادة أستاذه بما كان يكتبه واقتباسه منه واستعانته به أحيانا في تدريسه. كما ذكر ما سمّاه بيوم **الكائنة العظمى** مشيرا بذلك إلى غزو جيش **الدولة السعدية** لبلاد السودان عام 999هـ/1591م ووقوعِه في أسر المغاربة الذين نقلوه قسرا، هو وأسرته، إلى مراكش سنة 1002هـ/1593م. وقد مارس أحمد بابا التدريس والتأليف في تمبكت وفي مراكش وحقق في ذلك نجاحا باهرا تدل عليه كثرةُ من تتلمذوا به أو أخذوا منه وكثرةُ ما تركه لنا من مخطوطات نفيسة[2].

2 إشعاع مخطوطات أحمد بابا وتأثيرها

لأحمد بابا مخطوطات كثيرة وموجودة في مختلف مكتبات مالي، ونيجر ونيجريا، والمغرب، وتونس، والجزائر، وفرنسا، وغيرها. ذكر منها محمود زبير ستة وخمسين عنوانا كما أعطى

---

[1] أحمد بابا التنبكتي، " نيل الابتهاج بتطريز الديباج "، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، **1989**, ص **603-602**.

[2] حسن الصادقي، " مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزانة المغربية "، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، **1996**، ص**5-7**.

معلومات قيمة عن 32 منها، وقدم أيضا تحليلات دقيقة لمحتوى ثمانية منها في أطروحته لدكتوراه السلك الثالث التي كرسها لدراسة حياة وأعمال أحمد بابا([1]) . وقد كتب حسن الصادقي، في بحثه المُخصّص لمخطوطات أحمد بابا في الخزائن المغربية، أن نجم أحمد بابا طلع في تنبكت، وشع في مراكش، وأضاء في مختلف الأقطار الإسلامية، بفضل ما تركه "من تراث فكري متنوع أغنى حقل الثقافة الإسلامية" بالإسهامات في مجالات تراجم العلماء والصالحين، وفتاوى فقهية تتعلق بمشكلات عصره، كحكم استعمال التبغ أي التدخين، واسترقاق السودانيين، وشرحه ما استغلق وصعب فهمه من مختصر الشيخ خليل ومن مستعصيات اللغة، الخ([2]) .

وأفاد الباحث المغربي حسن الصادقي بأن معاصري أحمد بابا وتلامذته وغيرهم من العلماء الذين أتوا بعدهم، أفردوا له بتراجم وافية، واعتمدوا في الكثير من مؤلفاتهم على مخطوطاته أو اقتبسوا منها ، وأضاف بأن الباحثين المعاصرين المتخصصين في الدراسات الإفريقية في قارات إفريقيا وأوروبا وأمريكا وآسيا اهتموا بها وكرسوا لها العديد من البحوث والدراسات الأكاديمية، كما ترجموا بعض أعماله ونظموا ندوات حولها . وبرّر حسن الصادقي اختياره دراسة مخطوطات أحمد بابا في الخزانة المغربية دون غيرها باعتبارات، منها كونُه من نُبغاء زمانه في الثقافة العربية الإسلامية، وتركُه العديد من المؤلفات في هذا الحقل، وكذلك كونُ أغلب مخطوطات أحمد بابا محفوظة في الخزائن المغربية العامة والخاصة([3]) .

---

[1] **Mahmoud A. Zouber, "Ahmad Bâbâ de Tombouctou (1556-1627) sa vie et son œuvre", op. cit. p. 128-187.**

[2] **حسن الصادقي، المرجع السابق.**

[3] **حسن الصادقي، المرجع السابق.**

ونفهم مما سبق أن مخطوطات أحمد بابا كانت تُشكّل مرجعا أساسيا لأجيال من العلماء والكتّاب، ودائرةَ اهتمام الجامعات ومراكز البحث العالمية المتخصصة في الدراسات الإفريقية والإسلامية التي اعتبرتها منبعا غنيا من منابع التراث العربي الإسلامي في غرب إفريقيا تنفجر منه معارفٌ صافية تروي الظمأ وتنوّر الفكر. ولأحمد بابا مخطوطان يعرف الأولُ باسم **معراج الصعود** ويُسمى الثاني **بكفاية المحتاج**، نقدم فيما يلي عرضا موجزا لمحتوياتهما التي تنمّ عن جوانب خاصة للتراث الإسلامي في غرب إفريقيا.

أ مخطوط معراج الصعود

والعنوان الكامل للمخطوط هو: **معراج الصعود إلى نيل حكم مجلب السود أو الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان لأحمد بابا التنبكتي**. ومعراج الصعود عبارة عن مجموعة أجوبة ردَّ بها أحمد بابا على أسئلة وُجّهت إليه حول حكم الاسترقاق، وتتمحور حول النقاط السبعة التالية: 1–حكم الرقيق المجلوب من البلاد السودانية المسلمة حسب وجهة نظر الفقه المالكي؛ 2–حكم الرقيق الذي هويته مجهولة؛ 3–معاملة الرقيق المجلوب من الحبشة حسب معطيات السيرة النبوية وسيرة صحابته عليهم الصلاة والسلام؛ 4–إنكار أسطورة دعاء نوح على ابنه حام وعَقِبه وتفنيدها؛ 5–شروط الاسترقاق عند المسلمين؛ 6–مسألة استرقاق العرب؛ 7–أحوال المُولّدين.

ونظرا للاستحسان والقبول اللذين لاقاه المخطوط لدى سكان شمال إفريقيا وغربها، دأب المسلمون في هذه الأقطار على اقتناء نُسَخه وقراءتها خلال قرون، وانتشرت نتيجة لذلك في المكتبات وخزائن الكتب الخاصة والعامة(1).

---

[1] فاطمة الحراق وجون هانويك، في تقديم تحقيقهما لكتاب " معراج الصعود لأحمد بابا "، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2000، ص 13–21.

وبناء على ما ورد في تقديم الباحثة المغربية فاطمة الحراق والباحث الأمريكي جون هانويك اللذين حقّقا المخطوط وترجماه إلى اللغة الإنكليزية، توجد في مدينة الرباط وحدها ستُّ نسخ في الخزانة العامة، وثلاثُ نسخ في الخزانة الحسينية، ونسخة واحدة في خزانة مؤسسة علال الفاسي وأخرى في معهد الدراسات الإفريقية، وتوجد في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحث في مالي نسخة واحدة، و في المكتبة الوطنية بباريس نسخة واحدة، وفي جامعة إبدان بنيجريا نسخة واحدة أيضا . كما توجد في بعض الخزانات الخاصة في المغرب ومالي أربع نسخ([1]) .

ب مخطوط كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج

يتضمن هذا المخطوط، الذي نملك نسخة الكترونية منه، 662 ترجمة أو تاريخ حياة علماء من بينهم مؤلفُه أحمد بابا نفسه، وبرّر ذِكْرَ تاريخ حياته في المخطوط بالعبارات التالية: " *ولما كانت النفوس تتشوق لمعرفة مؤلفي الكتب رأيت أن أذكر نفسي هنا لئلا يجهلني من وقف على هذا الجزء، لأني معدود في زمرة الناس. . .*"، ثم ذكر أن أجداده كانوا من كبار العلماء والفقهاء الذين تولوا القضاء في تمبكت منذ القرن التاسع الهجري، وأتى بعد ذلك بمعلومات وافية عن ظروف تعلّمه وعن نشاطاته في مجال التدريس والتأليف والفتوى في تمبكت وفي مدينة مراكش المغربية، التي كان منفيا فيها . وأكد أحمد بابا أن إقبال الطلبة المغاربة إلى دروسه كان عظيما وأن اسمه اشتهر في المغرب العربي، من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر . وأخبر أيضا بأنه وُلد ليلة الأحد حادي وعشرين من ذي الحجة ختام عام ثلاثة وستين وتسع مئة حسب ما ورد ذلك في خط والده، وأن عمره كان يناهز خمسين سنة زمن كتابته المخطوط، ووضع في نهاية المخطوط المصادر والمراجع. وهذا المخطوط من المصادر الرئيسية لحياة ومؤلفات علماء السودان والمغرب العربي الذين عاشوا حتى نهاية القرن

---

[1] فاطمة الحراق وجون هانويك، المرجع السابق، ص **26**.

السادس عشر الميلادي. ويصف فيه المؤلف بدقة تامة تطور الحياة العقلية والفكرية في البلاد المذكورة، وكذلك المدارس ومراكز التعليم العالي وبرامج الدراسة وموادها وكبار العلماء والفقهاء في بلاد السودان وأقطار المغرب العربي في تلك الفترة ([1]) . هذا ويوجد **مخطوط** كفاية المحتاج في مكتبات عدة دول منها: موريتانيا، والجزائر، وليبيا، وتونس، وفرنسا، ومصر، ومالي، وتركيا، والمملكة العربية السعودية([2]) . وتجدر الإشارة إلى أن مصدر النسخة الالكترونية من مخطوط كفاية المحتاج التي في حوزتنا صادرة من مكتبة الأزهر الرقمية([3]) . ننتقل الآن إلى الشيخ موسى كمرا ومخطوطاته.

الشيخ موسى كمرا ومخطوطاته

1 نبذة عن حياته

ولد الشيخ موسى كَمَرَا حوالي سنة 1863 م، في قرية **كَنكِيل** Ganguel الواقعة على بعد عشرات كيلومترات من مدينة **مَاتَامْ** الموجودة في شرق السنغال، ولا نملك عن أحوال والديه إلا معلومات قليلة صادرة منه، تتعلق ببعض الصفات التي أخبر بأن أباه **الشيخ أحمد**، المشهور بـ**حمد دود،** كان يتميز بها، مثل الشجاعة والحلم والذكاء، وكذلك صفات التقوى والصبر والعطف على الفقراء والإحسان إليهم التي كانت تتحلّى بها والدتُه السيدة مريم دادُهْ. وكان موسى كمرا ولدا ذكيا تعلّم القرآن الكريم من عدة مدارس لتحفيظ كتاب الله. وقد أشار،

---

[1] مخطوط " كفاية المحتاج "، نسخة جامع الأزهر، رواق المغاربة رقم 893، وانظر أيضا: Mahmoud A. Zouber, Ahmad Bâbâ de Tombouctou (1556-1627) sa vie et son œuvre, op. cit. p.155.

[2] أنظر حسن الصادقي، المرجع السابق، ص 44.

[3] عنوان موقع مخطوطات مكتبة الأزهر المذكورة: http://www.alazharonline.org

في سيرة حياته التي كتبها بقلمه، إلى تنوّع معلميه: "... *ثم علّمني رجلٌ آخر في* ***فولل جاوب*** *اسمه سارن محمود القرآنَ أيضا ثم قرأت أيضا في أرض البياضين الصحراوية (موريتانيا) في حيٍّ لمتون دكبامبر على حافظٍ مجاز اسمه عبد أولّ سفاف، ثم ذهبت عنه إلى حافظٍ آخر مجاز أيضا اسمه محمد فال ولّ...*"[1].

ثم بدأ بعد ذلك في دراسة العلوم الدينية، وسافر إلى معظم المدارس التي كانت منتشرة في السنغال ومالي وغينيا وموريتانيا، وتعلم من أحسنِ علمائها العلومَ والفنون التي تخصّصوا فيها، وقد درس الطالب موسى كمرا خلال رحلات التعلُّم الطويلة التي قام بها لغاتِ وتقاليدَ المناطق التي زارها وتراثَهم الثقافي والفكري، ونقل غالبية معلوماته الموسوعية في الكتب التي ألّفها لاحقا. وقد ذكر في سيرة حياته جملةً من الكتب التي درسها في الفقه المالكي والنحو واللغة والأدب، وحاول أن يبرّر كثرة تجوّله لطلب العلم بالعبارات التالية: " *وإن قيل هذا جولان كثير أقل إنهم، أي أهل الله قد قالوا إن السالك قبل وصوله لا سكون له ولا قرار*" وأخبر بأنه كان يحفظ بسرعة لكل ما يقرؤه أو يسمعه ولكنه كان يحبّ اللهوَ ويمضي أوقات كثيرة في اللعب، ويهمل دروسه[2].

ويبدو أنه تخلّص فيما بعد من لهوه وإهماله، وأقبل إلى مطالعة الكتب إقبالا شديدا، ثم أصبح من أشهر علماء غرب إفريقيا. وقد كتب في هذا الصدد ما يلي: "*وكنت في زمن البلوغ إذا نظرت إلى اللّوح المكتوب نظرة واحدة أحفظ ما كُتِب فيه وكان أقراني الذين هم فوقي في*

---

[1] عامر صمب، الأدب السنغالي العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ، ص 149–150،

A.Samb, Essai sur la Contribution du Sénégal à la Littérature d'Expression Arabe, IFAN-Dakar, 1972, pp. 107-109.

[2] عامر صمب، المرجع السابق، ص 152.

القراءة إذا سمعتُ المعّلم يعّلمهم أحفظ ما عّلمهم وإذا غبنا عن المعّلم يسألونني فأعّلمهم أحزابهم التي قرؤوها وأنا أسمع. . ."، وأضاف: "*ومع هذا الذكاء كّله قد غلب عليّ حبُّ اللهو والغفلة والعياذ بالله تعالى فلذلك قّل علمي الذي قرأُته على معّلم فلم يزدد علمي إلا بالمطالعة فُيفهمني العليم الحكيم غالبَ ما في الكتب التي طالعتها* "([1]) .

ونستنتج مما سبق أن الشيخ موسى تلقّى العلم من أستاذة مختلفين، ونهل من معين التراث الفكري والثقافي للبلدان التي تجوّل فيها، ونوّع معارفه وعمّقها من خلال الكتب الكثيرة التي طالعها. وتجدر الإشارة إلى أنه كان مرتبطا بعلاقات صداقة مع أدباء وشعراء وفقهاء وزعماء دينيين وسياسيين كبار في جميع البلدان التي زارها، وقد استقر الشيخ موسى كمرا في قريته خلال السنوات الأخيرة من حياته التي كرّسها للتأليف والتدريس، وتوفي عام 1945 م([2]) . .

هذا وللشيخ موسى كمرا مخطوطات سنحاول إعطاء فكرة عامة عنها فيما يلي.

2 مخطوطات الشيخ موسى كمرا

وللشيخ موسى كمرا مخطوطات كثيرة يمكن تصنيفها حسب الترتيب التالي:

---

[1] عامر صمب، المرجع السابق.

[2] عامر صمب، المرجع السابق، ص **154**. انظر أيضا مقدمة كتاب " الشيخ موسى كمرا، أشهي العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر "، تحقيق خديم محمد سعيد امباكي وأحمد شكري، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، **2001**، ص **8-11**.

أ مخطوطات في التاريخ

-زهور البساتين في تاريخ السوادين أو انتصار الموتور في ذكر قبائل فوتا تور أو إحياء ما عفا واندرس من علوم تاريخ السودان، والمخطوط عبارة عن مجلدين كبيرين يتضمن أحدهما 451 ورقة، ويحتوي الآخر 450 ورقة.

-المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلانية، وهو عبارة عن جزأين يحتوي الأول 183 ورقة، ويتضمن الثاني 134 ورقة.

-أشهى الخبر في حياة الشيخ الحاج عمر، يحتوي المخطوط 79 ورقة.

-تبشير الخائف الحيران، 64 ورقة

-تنقية الأفهام من شبهات الأوهام، 50 ورقة

-أكثر الراغبين في الجهاد بعد نبينا من يختار الظهور وملك البلاد ولا يبالي بمن هلك في جهاده من العباد، 36 ورقة

-تاريخ دَارَهْ في زَغَاوَة 4 ورقات

ب مخطوطات في الدين

-الحق المبين في إخوة جميع المؤمنين واتحاد طرق سائر السائرين بطريق الذكر والمجاهدة إلى حضرة رب العالمين، يحتوي المخطوط 148 ورقة

-كاد أن يكون الاتفاق والالتئام بين دين النصارى ودين الإسلام، ويحتوي 35 ورقة

-حصول القرب والوصول ونيل كل المنى والسول في ذكر الله وبالتمسك بآثار الرسول

-العز الأسمى والحرز الأحمى في ذكر الأوراد

-منية السائل في الصلاة على أسنى الوسائل

-البساتين اليانعة المجتمعة في الكلام على صلاة الجمعة

-حزب النصر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأسماء أهل بدر

-مزج الكواكب الدرية بالأسماء الإدريسية في الصلاة على خير البرية

-بلوغ القصد في ذكر الأسماء الحسنى

-تقايد مفيدة على مختصر خليل

-رفع الحرج والإثم عمن تعاطى ما لا يضره من الدخان والشم

-علم المقيد

ت مخطوطات في النحو واللغة والأدب

-دليل السالك على معاني ألفية ابن مالك، وهو شرح كبير لكتاب ألفية ابن مالك في النحو

-آلة العلوم على اليقين البت في شرح دواوين الشعراء الست

-الأستاذ الكافي في علمي العروض والقوافي

-تفصيل عقود الجمان بالدر والمرجان([1]) .

2 1 أهمية مخطوط زهور البساتين

لا شك في أن لجميع مخطوطات الشيخ موسى كمرا أهمية كبيرة ولكن لمخطوط **زهور البساتين وأزهى الخبر** أهمية خاصة، يؤكدها الاهتمام الكبير الذي أولاه له الباحثون بصفة عامة والمتخصصون في الدراسات الإفريقية بصفة خاصة، وسنحاول تحليل محتوى المخطوط وتوضيح دوره في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا .

2 2 محتويات مخطوط زهور البساتين

بيّن **داوِدْ روبنسون** David Robinson، الباحث الأمريكي المتخصّص في تاريخ الإسلام بغرب إفريقيا، أن الشيخ موسى كمرا كتب معظم مخطوطاته خلال العقدين الأخيرين من حياته، وأكّد أنه كتب مخطوطه الرئيسي **زهور البساتين،** الذي يحتوي ألفا وسبع مئة صفحة، من عام 1920 إلى 1925 م([2]) . وأوضح أن المؤلف عالج في هذا المخطوط مواضيع مختلفة، ذكر منها سيرة حياة علماء ووجهاء وحكماء مشهورين في السنغال وبعض بلاد غرب إفريقيا، وكذلك تطورات الأحداث التاريخية التي لها تأثير قويّ في تلك البلاد . وقد تبنى الشيخ موسى كمرا في مخطوط **زهور البساتين** خطة بحث تتمثّل في تسجيل المعلومات

---

[1] عامر صمب، المرجع السابق، ص ص 154 –156، Samb A., Essai sur la Contribution du Sénégal à la Littérature d'Expression Arabe, pp.111-112.

انظر أيضا Collectif, Catalogue des Manuscrits de l'I.F.A.N., n° XX. Dakar, 1966, pp. 93-96.

[2] Robinson David, Un historien et anthropologue sénégalais : Shaikh Musa Kamara, in Cahiers d'Etudes africaines, 109, XXVIII-1, Paris, 1988,volume 28, n° 109, pp. 89-116.

المكتوبة والمروية المتعلقة بموضوعه بدقة، وتصنيفها بعد ذلك حسب المناطق أو السلالات المعنية بذلك، مع ذكر أسماء من استقى منهم معلوماته، وتوضيح ما فيها من تناقضات ونقائص، بالإضافة إلى عرض نتائج أفكاره ورأيه في الموضوع برمّته([1]) . وأكد داود روبنسون في تحليله الدقيق والموثّق لمخطوط **زهور البساتين** أن في كتاب الشيخ موسى كمرا معلومات قيمة تتعلق بمناطق **وسط النيجر** وأعالي السنغال، وإمبراطوريات **واكدو** Wagadu، **ومالي**، و **سنغاي**، وبظروف تأسيس **الدولة الإسلامية الألمامية** في **فوتا**، والهجرات الجماعية الناتجة من جهاد **الحاج عمر** الفوتي، **ومابه جاخو به**، وغيرهم.

2 3 تأثير زهور البساتين وإجراءات طبعه وترجمته

يعود أول مسعى كان الغرض منه طبعُ زهور البساتين، إلى زمن حياة المؤلف؛ وقد ورد ذلك في مضمون رسالة باللغة العربية كتبها إليه المستعرب والإداري الفرنسي المتخصص في علم الإنسان **موريس دلافوس** Maurice Delafosse، وإليكم نصها: "*بعد البسملة من الوالي موريس دلفوس إلى المؤرخ الماهر والمؤدب العالم الشيخ موسى بن أحمد الفوتي السلام عليكم وعلى أولادكم وعائلتكم كلها مع بركة الله تعالى ورحمته في الدنيا والآخرة فموجبه أن أخبركم بالجزء الأول من كتابكم المسمى "باتنصار الموتور في ذكر قبائل فوت تور" إنه قد أفضى به إلي الوالي "كدين" حفظه الله تعالى من كل شر آمين فتعجبتُ من المهارة التي أظهرتموها في تأليف هذا الكتاب فهو مهم ومفيد جدا وما كُتب مثُله حتى الآن في أهل التكرور وأنا لا زلت أجتهد في ترجمته إلى الفرنسية وفي استعداد طباعته بالعربية وبالفرنسية ولكن هذا عمل عظيم يقتضي دواما عديدا لأني أشتغل بشغول أخرى كثيرة ولكن أترجى أن أكمله إن شاء*

[1] **Robinson David, Un historien et anthropologue sénégalais : Shaikh Musa Kamara, op. cit. p.100.**

*الله تعالى. . . فأبو زوجتي **هوداس** قد ترجم وطبع تاريخ السودان وتذكرة النسيان لعبد الرحمان السعدي وأنا قد ترجمت وطبعت معه " تاريخ الفّتاش " لمحمود كعتّي وظننت أن تكون مكانة تأليفكم بهذه التآليف القديمة فنصر الله علينا والسلام"*[1] .

أما آخر إجراء اتخذته هيئة بحثية فرنسية لطبع الجزء الأول من مخطوط **زهور البساتين** فيرجع إلى السنوات الأخيرة من القرن العشرين، ويعود الفضل في ذلك إلى مجموعة من الباحثين ذوي تخصصات متنوعة أعدّوا الجزء المذكور للترجمة والطبع تحت إشراف عالم اجتماعي فرنسي اسمه **جان شميتز** Jean Schmitz، متخصّصٍ في التراث الديني والثقافي والفكري للفلانيين، وبرعاية مراكز أبحاث علمية فرنسية كبيرة، وصدرت الطبعة الأولى من العمل الجماعي المذكور عام 1998 من دار منشورات المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا CNRS Editions[2] .

وقد نشر **جان شميتز** بحثا لخّص فيه مضمون مخطوط زهور البساتين، الذي كان حينئذ تحت الطبع، كما بين فيه أيضا ظروف ترجمته وإعداده للنشر : " ألف (الشيخ موسى كمرا) كتابه الضخم تاريخ أهل السودان المسلمين، أي زهور البساتين، وجمع فيه التراث المكتوب والأحداث التاريخية لدول الفلانيين التي أُسّست بعد حروب الجهاد التي دارت رحاها، من **صكتو** شرقا إلى **فوت تورو** غربا . وقد كرّس المؤلف لدولة فوتا تورو، التي كانت واقعة وسط وادي السنغال، ثلاثةَ أرباع كتابه الذي يحتوي 1700 صفحة. وقد ترجم إلى اللغة

---

[1] عامر صمب، المرجع السابق، ص **169**.

[2] Pierre Bonté Shykh Muusa, Florilège au jardin de l'histoire des noirs. Zuhûr al-Basâtîn. I. L'aristocratie peule et la révolution des clercs musulmas (Vallée du Sénégal, Revue française d'anthropologie, n° 156, Paris, 2000, pp. 278-280.

الفرنسية هذا المخطوط الذي يجري طبعُه حاليا، مع إضافة تعليقات عليها، فريقٌ مكوّن من باحثين سنغاليين وفرنسيين، منهم متخصصون في اللغة العربية، وفي التراث الفلاني، وفي علم الإنسان والتاريخ، يعملون في مراكز البحث التالية: المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء-شيخ أنتا جوب، المدرسة العليا لتكوين المعلمين بداكار، مركز البحث العلمي والتقني لما وراء البحار، والمركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا([1]). وقامت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بطبع مخطوط زهور البساتين بجميع أجزائه في مجلد كبير مع تقديم وتحقيق وتعليق د. ناصر الدين سعيدوني ود. معاوية سعيدوني ([2]).

وقد فهمنا مما سبق أن حجم مخطوط زهور البساتين كبير وأن المعلومات التي يتضمنها كثيرة ومتنوعة، الأمر الذي يجعل تقديم عرض شامل ووافٍ لجميع محتوياته متعذّرا في نطاق بحثنا، ولكننا نأمل أن تحفز السطور التي كتبناها حوله الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا إلى الاهتمام به وإجراء بحوث مستفيضة حول كافة مواضيعه.

---

[1] Jean Schmitz, L'historiographie desPeuls musulmans d'Afrique de l'ouest : Shaykh Muusa Kamara (1864-1945), saint et savant, in BECKER CHARLES (DIR), MBAY S. (DIR), THIOUB I. (DIR) AOF : réalités et héritages : sociétés ouest-africaines et ordre colonial, 1895-1960. Direction des Archives Nationales du Sénégal, Dakar,1997, pp. 862-872.

([2]) انظر الحاج موسى أحمد كامره، " زهور البساتين في تاريخ السودان " (مدونة شعوب غرب إفريقيا في التاريخ والأنساب والأنتروبولوجيا)، تقديم وتحقيق وتعليق د. ناصر الدين سعيدوني ود. معاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010.

الخاتمة

لا ريب في أن المخطوطات التي كتبها علماء غرب إفريقيا باللغة العربية كثيرة ومتنوعة، نُشر القليلُ منها ولكن مجلدات كثيرة منها ما زالت قابعة في خزانات المكتبات المحلية والدولية الخاصة والعامة، في انتظار من يخرجها من رفوفها ليقوم بتحقيقها والتعليق عليها ونشرها، أو يترجمها ويطبعها ثم يضعها في متناول الذين يهتمون بها ممن لا يتقنون لغة الضاد. ويهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على طبيعة هذه المخطوطات وعلى قيمتها ودورها البارز في التعريف بتراث غرب إفريقيا الإسلامي.

وقد دفعتنا ضخامة المخطوطات المذكورة وتنوعها إلى اختيار عيّنة من مخطوطات عالمين بارزين من أبناء غرب إفريقيا، كانت لهما مساهمة فعالة في نشر التراث الإسلامي في غرب إفريقيا، وهما أحمد بابا والشيخ موسى كمرا اللذان تبحرا في علوم ومعارف التراث الإسلامي بصفة عامة والغرب الإفريقي بشكل خاص، واكتسبا خبرات حياتية حنّكتهما، ونشرا الكثير من علومهم ومعارفهم الموسوعية في مخطوطتهما.

وعلى الرغم من الجهد الذي بذلناه في دراسة طبيعة ومواضيع مخطوطات الكاتبين فإننا لم نعط إلا صورة عامة عن انجازاتهما الفكرية، ومع ذلك نعتقد أن معطيات الدراسات والتحليلات التي أجريناها على النماذج التي اخترناها من مخطوطاتهما تكشف النقاب عن معظم حقائقها، وتوضح لنا كثافة موادّ التراث الإسلامي الكامنة فيها وأهمية الدور الذي تلعبه في التعريف به. وقد سعينا إلى تحقيق ذلك في تحليلنا لبعض مضامين "معراج الصعود" لأحمد بابا الذي يحتوي معلومات متعلقة بالتقاليد الإسلامية والاجتماعية والجغرافية والتاريخية لغرب إفريقيا، وفي عرضنا لمخطوط "كفاية المحتاج" الذي جاوزت مواضيعه حدود دول غرب إفريقيا، وكذلك لمخطوط "زهور البساتين" للشيخ موسى كمرا الموسوعي الخاص بقضايا التراث الإسلامي لمناطق غرب إفريقيا.

شروط اختيار المخطوطات

للرسائل الجامعية

أ.د. رابح دفرور

أستاذ بقسم العلوم الإسلامية

جامعة أدرار

ملخص البحث

إدراكاً لقيمة المخطوط العلمية، والحضارية والتاريخية، وإدراكاً لما ينبغي تجاه انقاد ما بقي من هذا التراث العلمي عملت بعض المراكز العلمية على تجنيد الباحثين بها لأجل العناية بالمخطوطات: تصفيفا وتصنيفا وتحقيقا ودراسة وتعليقا، وأسهمت بعض الجامعات في فتح المجال لذلك، واعتبرت تحقيق المخطوط عملا علميا، يستحق صاحبه أن ينال به درجة الماجستير أو الدكتوراه. غير أنه ليس كل مخطوط صالحاً لأن يكون مشرع رسالة علمية أكاديمية إلا إذا توفرت فيه جملة من الشروط.

ويهدف هذه الموضوع إلى إيضاح ضوابط تحقيق المخطوط، وشروط صلاحه لأن يكون رسالة علمية أكاديمية؛ ويجمل ذلك في أهمية المخطوط العلمية، واعتماد المحقق المنهج السليم لقواعد التحقيق. وذلك ما سنبينه من خلال المطالب البحث.

Research Summary

Recognizing the value of the manuscript scientific, cultural and historical, and aware of what should be towards the Rescue what remains of this scientific heritage worked some scientific centers to recruit researchers out for care manuscripts: Tsfiva and rated the investigation and study and comment, and contributed to some universities in the open field so, believing achieve manuscript scientific works , deserves its owner to obtain a master's degree or doctorate. But it is not every manuscript valid because the lawmaker Thesis Academy only if, among other conditions.

The aim of this topic to clarify the controls to achieve the manuscript, and conditions of goodness to be a scientific academy; outlines the scientific importance of the manuscript, and the adoption of the proper approach to investigator interrogation rules. And that is what we shall see through the demands of research.

شروط اختيار المخطوطات للرسائل الجامعية

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

لقد ترك علماء المسلمين نتاجاً فكرياً علمياً جماً في شتى الفنون العلمية والمعرفة الإنسانية، وبالرغم من أن هذا الإنتاج كان يشمل علوم الطبيعة والحياة والفلسفة والرياضة وغيرها فإنه كان أوسع في المجالات الشرعية من فقه وأصول وتفسير وحديث وتوحيد . . .، ذلك لأن عماد الحضارة الإسلامية ونظام الدولة قائم على هذه العلوم .

ولقد شهدت هذه المؤلفات ضياعاً كبيراً بسبب محن الزمان وعواديه، من اجتياح الغزاة للعالم الإسلامي كما حدث في غزو المغول للعراق، وكما حدث للأندلس من حملة الأسبان الصليبية الاستعمارية، وخلال ذلك تم حرق الآلاف من الكتب المخطوطة، ومن تلك المحن والعوادي أيضاً الخلافات المذهبية والتعصب العقدي، وأيضاً إهمال أصحاب خزاناتها، حيث تركت تلك المخطوطات عرضة للآفات الطبيعية .

وبالرغم من كل ذلك فإن ثمة جملة هائلة من المخطوطات كتب لها السلامة من الضياع والاندثار، ووصل إلينا كاملاً أو ناقصاً

ولا يزال إلى يومنا هذا تقصير واضحا في مجال خدمة ذلك التراث المخطوط والعناية به، ومن ذلك مثلاً الاعتماد على تحقيق مخطوط عربي بلغة غير عربية، وذلك نحو : جمهرة أنساب العرب لابن الكلبي، وهو أقدم كتاب في الأنساب العربية، وهو الذي قام الألمان بترجمته ونشره بالألمانية قبل أن يفكر العرب بتحقيقه، وأيضاً كتاب: أنساب الأشراف للبلاذري الذي

نجد على صفحة غلافه: (طبع في أورشليم)، وتلك هي الطبعة الوحيدة، ونحن عالة عليها، ولم نقدم على نشره في ديارنا سوى ما أخرجه محمد حميد الله في ما يتعلق بالسيرة النبوية .

وإدراكاً لقيمة المخطوط العلمية، والحضارية والتاريخية، وإدراكاً لما ينبغي تجاه انقاذ ما بقي من هذا التراث العلمي عملت بعض المراكز العلمية على تجنيد الباحثين بها لأجل العناية بالمخطوطات: تصفيفا وتصنيفا وتحقيقا ودراسة وتعليقا، وأسهمت بعض الجامعات في فتح المجال لذلك، واعتبرت تحقيق المخطوط عملا علميا، يستحق صاحبه أن ينال به درجة الماجستير أو الدكتوراه.

ولقد عمدت بعض الجامعات العربية – حالياً – إلى تجميع المخطوطات العربية من مكتبات العالم عن طريق تصويرها، ووضعها في مكتبات الجامعات، وتم إرشاد طلبة الدراسات العليا إلى تحقيقها، واعتبر ذلك مشروعاً علمياً وحافزاً قوياً على توفير وجمع المخطوطات، وإيجاد الفرصة للقيام بعمل التحقيق والدراسة.

ومن تلك المكتبات مثلاً معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، وقسم مركز السنة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والمكتبة الأزهرية والمكتبة الظاهرية التي حولت مخطوطاتها إلى مكتبة الأسد الثقافية. . .

وكان لكل مكتبة ضمت جملة من المخطوطات فهارس ترشد إلى ما حوته منها، وذلك تسهيلاً وتذليلاً لمعرفة الموجود من المخطوطات بها .

وبالإضافة إلى ذلك ظهرت مؤلفات جامعة في وصف المخطوطات المنتشرة في أرجاء المعمورة من حيث كمالها أو نقصها، وجودتها أو رداءتها، ونسبتها إلى مؤلفيها، وكيفية وجودها : أهي منفصلة أم في مجموع . . .

ومن أهم الكتب في ذلك :

- تاريخ الأدب العربي: بروكلمان كارل -ألماني- ترجمت أكثر أجزائه إلى العربية، وبعضها لا يزال بالألمانية .

- تاريخ التراث العربي – فؤاد سزكين – وهذا قد استدرك ما فات بروكلمان ولا شك أن هذا يسهل عملية التعريف بالمخطوط، وتجميعها في مراكز تسهل عملية الوصول إليها .

والذي لا يزال قيد الأفكار والدراسة هو الشروع في تصنيف هذه المخطوطات ودراستها وتقديم الاقتراحات بصدد ما ينبغي تقديم تحقيقه ونشره، وتعليم المحققين المنهج العلمي للتحقيق. وأيضاً إيجاد كشاف يتضمن جملة المخطوطات التي رأت النور وحققت لئلا يتعب باحث آخر نفسه بتحقيق ما حقق مرة أخرى، وهذا ما عبر عنه د. أكرم ضياء العمري بقوله : « ولا بد من الاهتمام بتقوية الصلة بين المحققين وتعريفهم بمجهودات بعضهم لئلا تضيع جهودهم بتداخل أعمالهم العلمية . . . ويتم ذلك بإصدار المجلات الدورية المعنية بأخبار المخطوطات وما ينشر أو يعد للنشر منها» .

وتهدف هذه المداخلة إلى إيضاح ضوابط تحقيق المخطوط وشروط صلاحه لأن يكون رسالة علمية أكاديمية؛ إذ ليس كل مخطوط صالحا للدراسة والتحقيق، وقيمة ذلك تكمن في أهمية المخطوط، واعتماد المحقق المنهج السليم لقواعد التحقيق. وذلك ما سنبينه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: المخطوط وشروط صلاحه لرسالة جامعية

أولا: المفهوم العلمي للمخطوط

المخطوط لغة من الخط، وهو بمعنى السطر والأثر والرسم، وخط بمعنى كتب على ورق بقلم أو بغيره[1]

المخطوط هو كل كتاب قديم، كتبه مؤلفه بخطه، أو كتب عنه، أو نقل أو نسخ عما كتبه المؤلف، ككتب تلاميذه [2].

ثانيا: شروط صلاحية المخطوط للرسائل الجامعية[3]

ليس كل مخطوط صالحاً لأن يكون مشرع رسالة ماجستير أو دكتوراه، وإنما يكون كذلك إذا توفرت فيه جملة من الشروط هي:

1- كونه ذا قيمة علمية : بحيث يكون ذلك المخطوط يحتوي على مادة علمية جديدة عدمت أو ندرت في الكتب الأخرى المحققة، إذ ليس المراد من تحقيق المخطوط ذات المخطوط وإنما المراد به خدمة الفن الذي ألف فيه بما احتواه من مادة علمية جديدة .

والحقيقة أن كثيراً من المخطوطات ليست تضيف إلى فنها إفادات علمية جديدة بالرغم من كثرتها، وبالتالي فإن مثلها لا يكون مجالاً لمشروع بحث ماجستير أو دكتوراه، ومن

1[1]- لسان العرب، مادة حط و محيط المحيط مادة خط

[2] منهج البحوث العلمي، د. ثريا ملحس، ص:232 2-

[3]- راجع دراسات تاريخية، د. أكرم ضياء العمري، ص:40-350

ذلك الكثير من مخطوطات الخزائن التي نجدها تضم جملة من الشروح المكررة، والحواشي المنقولة عن شروح بعض المختصرات، وقلما نجد الإضافات العملية المحفزة على تحقيقها . وإن كان تحقيق ذلك لا يخرج عن كونه بحثا علميا ، غير أنه لا يرقى إلى أن يصلح بحثا للدكتوراه أو الماجستير.

2- كونه مؤلفاً قديماً

بحيث لا يكون مؤلفاً لمعاصر، فذلك لا يتكسب صفة المخطوط حتى وإن كان بخط مؤلفه.

3- الوثوق من ثقة المؤلف

إن المؤَلفات الشرعية – خصوصاً في مجال الأحكام والأحاديث والعقائد – يجب أن يكون مؤلفوها ثقاة عدولاً، يوثق بنقلهم، ولا يصح إخراج مصنف في الحديث مثلا لمؤلف مجهول العين أو مجهول الحال ؛ وذلك لأن الحديث لا يقبل إلا إذا رواه ثقة عن ثقة، وهذا المؤلف هو أول الثقات في الإسناد .

وأيضاً لا يعقل اعتماد أقوال فقهية من قوم مبتدعة أو مفترية على الله ورسوله ؛ وذلك لأن الفقيه أمين على شرع الله وحكمه، فإن كان غير ثقة فلا يعول على اجتهاده أو ترجيحه بل نقله .

وهذا الشرط في غاية الأهمية لأن المراد بالتحقيق ليس ذات المخطوط ولا ذات صاحب المخطوط وإنما ما أفاده صاحب المخطوط، ولا إفادة شرعية من غير ثقة. وهذا الشرط يدعونا إلى التحقيق في نسبة المؤلف إلى مؤلفه .

4- توفر نسخ المخطوط

إن الغالب على المخطوطات القديمة النقص والرداءة وسوء الخط وغرابته . . . ولا مجال لتقويم ذلك إلا بالمقابلة بين النسخ، ولذا كان على الباحث المحقق أن يوفر عدداً من نسخ المخطوط ليتسنى له ذلك.

وقد دأبت جل الجامعات العربية إلى رفض أي تحقيق اعتمد على نسخة واحدة خاصة إذا وجد غيرها من النسخ، وأقل ما يكفي لذلك توفر نسختين مستقلتين، ولا تعتبر النسخ المستنسخة من بعضها إلا نسخة واحدة .

وقد ذهب الباحث د .أكرم إلى جواز الاعتماد على نسخة واحدة إذا عدمت غيرها ، وذلك إنقاذاً لذلك المخطوط، ويتأكد ذلك إذا كان ما اشتمل عليه المخطوط أصلاً نفيساً في فنه .

5- مناسبة حجم المخطوط للمطلوب في رسالة الماجستير أو الدكتوراه

إنه من المطلوب أن يكون حجم المخطوط متناسباً مع الفترة القانونية في درجة الماجستير أو الدكتوراه، وأيضاً كونه متناسباً مع الحجم الاعتباري لإحدى الدرجتين .

- وأنسب تقدير لذلك أن يكون المخطوط يمثل من الحجم الكلي للرسالة ما بين النصف والثلث حيث يكون نصف الصفحة للمخطوط ونصفها الآخر للتخريج والتعليق، ويضاف حوالي (30-50) صفحة للدراسة العلمية حول المخطوط .

- وأنسب ما يصلح لحالنا – ماجستير الجديدة – مخطوط في حدود الخمسين صفحة أي 25 لوحة – وللدكتوراه في حدود (100-150) لوحة .

6- كونه لم يحقق من قبل، أو حقق لكن في تحقيقه خلل علمي، وقصور منهجي، وبه أخطاء كثيرة، وذلك لئلا يصير العمل العلمي هذا تكرار لما سبق تحقيقه، وإهدارا للجهد العلمي الذي كان ينبغي أن يبذل في عمل علمي جديد .

المطلب الثاني: التحري عن المخطوط

إن أول ما يقوم به المحقق الذي سيعنى بتحقيق المخطوط هو التحري عن المخطوط، ويتسنى له ذلك وفق الخطوات التالية:

1- جرد الكتب والفهارس المعنية بالمخطوطات مثل كتاب (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمان المرتب بحسب الموضوعات والفنون، والمهتم بسرد المؤلفين ومؤلفاتهم المخطوطة مراعيا التسلسل الزمني في تأليفها .

ونحو، كتاب (تاريخ التراث العربي) لفؤاد سزكين : وهو في الموضوع نفسه غير أنه استدرك على بروكلمان بعض النقائص.

وأيضاً نحو كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لحاجي خليفة فهو يترجم للفن ويعرف به ويذكر ما ألف تحته مع ذكر أسماء المؤلفين.

كما يراجع أيضاً ملحقيه : هدية العارفين وإيضاح المكنون لإسماعيل البغدادي فهو يصنف هدية العارفين بترتيب المؤلفين، وإيضاح المكنون بحسب الفنون .

وأيضاً مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده فهو أيضاً في هذا الفن .

2- ولا يكتفي المحقق للتحري عن المخطوط النظر في هذه الكتب فحسب بل عليه أيضاً أن يقوم بمراجعة فهارس المكتبات التي احتوت على مخطوطات، فربما يجد مخطوطا في خزانة قريبة منه ولكنه لم يشر إليه في الكتب سابقة الذكر، ومن بين المكتبات التي عني بفهرسة مخطوطاتها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، دار الكتب الظاهرية بدمشق، دار الكتب المصرية، المكتبة الأزهرية. . .

ويستعان أيضا بالفهارس العامة التي ألفت لغرض التعريف بأماكن وجود المخطوطات نحو: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، وفهرس الفهارس للكتاني وبعض المعاجم الخاصة التي ترجمت لبعض المؤلفين نحو أنباء الغمر .

- والإطلاع على هذه الفهارس يحقق للباحث أمرين أساسين

أ- التأكد من مكان وجود المخطوط .

ب- الإطلاع على مواصفات المخطوط من حيث عدد الأوراق، والتمام والنقصان، وجودة الخط، وتاريخ نسخها، . . . وبهذا يكون الباحث قد تشكلت عنده فكرة واضحة وصورة بينة عن المخطوط المراد .

3- والمرحلة الثالثة تكمن في التأكد من أن هذا المخطوط ليس مطبوعاً، وليس بصدد تحقيق من طرف باحث آخر، وليس مسجلاً لرسالة علمية في إحدى الجامعات العربية، ويتأتى ذلك بالإطلاع على فهارس المكتبات العامة، وقراءة المجلات التي تعنى بنشر كل جديد من الكتب نحو: النشرات الدورية التي يصدرها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وأيضاً معجم المطبوعات العربية والمعربة لـ يوسف سركيس.

وأيضاً سؤال الأساتذة المختصين المضلعين بالفن فهم عادة يتعقبون الجديد الذي يطبع في حقول تخصصهم.

وهناك بعض المعاجم تذكر بعضاً من ذلك نحو : معجم المؤلفين لرضا كحالة والأعلام للزركلي . . .

4- تحديد النسخ التي سيعتمد عليها في التحقيق، وحصر أماكنها، وبسؤال المختصين يمكن العثور على نسخة عند أحدهم، ويمكن أن يرشد إلى وجود المخطوط ضمن مجموع ولم يفهرس له وغير ذلك .

المطلب الثالث: مرحلة جمع النسخ[1]

لا يسع الباحث غالباً جمع كل المخطوطات، لكن عليه أن يستفرغ جهده في جمع أكثرها؛ ليتسنى له اختيار أحسنها وأجودها والوقوف على أهمها؛ ولذا عليه مراعاة ما يلي:

أولا: معرفة أوصاف النسخ

وذلك ما نجده منصوصاً في الفهارس وجملة الأوصاف المطلوبة تتمثل في :

أ- قدم النسخة

إن أقدم نسخة هي التي تكون أقرب إلى الحقيقة العلمية في ذلك الكتاب.
ولا يمكن تقديم نسخة أخرى عليها

- و أقدم النسخ هي التي تكون بخط المؤلف .

[1]- منهج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفا وتحقيقا، د. فاروق حمادة، ص: 4107

وإذا كان المؤلف معروفاً بتنقيح كتبه فإنه ينبغي الاعتبار بآخر نسخة لا بأولها .

ثم يلي ذلك النسخة التي كتبت في زمن المؤلف وقرئت عليه، ويليها النسخة التي عورضت على نسخة كتبت في عصر المؤلف.

ب- نوع الخط ومدى جودته

ينبغي على المحقق معرفة الخط الذي كتب به المخطوط، وأن يعلم خصائص ذلك الخط، وإلا فإنه سيقع في تحريف نص المخطوط ومن ذلك مثلاً : قاف المغاربة وفاؤهم ليست كما هي عند المشارقة، ووضوح الخط الفارسي أظهر من الخط الكوفي، وبعض المؤلفين عرفوا بحسن الخط كالخطيب البغدادي، وبعضهم عرف بخط معقد كالحافظ ابن حجر. والمبتدئ عليه أن يختار الخط الأظهر والنسخة الأوضح .

ج- وجود السماعات على النسخة

وهذا دلالته عناية العلماء بها .

والسماع لا شك أنه يضبط ألفاظ النص وما فيها من أعلام بلفظ من جمعها عنه: كما أن السماع من شأنه أن يصحح الأخطاء والأوهام التي يقع فيها النساخ والوراقون المهنيون.

ثانيا: معرفة مدى الإتقان في المخطوط [1]

لا يتحقق ذلك إلا بالوقوف على المخطوط فعلاً، وقراءته حيث يدرك مدى إتقانها من حيث خلوها من الأخطاء والتصحيفات، خصوصاً ونحن نعلم أن وظيفة النسخ اشغل بها قوم بقصد الارتزاق، وقد توكل لقوم ليسوا عرباً ولا همَّ لهم سوى تصوير الحروف دون فهم لمعناها .

ولذلك قد يقع في المخطوط ما لم يكن مراد المؤلف .

وهنا نجد الباحث عليه أن يختار تلك النسخة التي وجدها متقنة في خطها، وفي شكلها وفي نحوها وإملائها .

ثالثا: الكمال والنقصان

وهو منصوص عليه في كتب الفهارس، وعلى الباحث أن يتحرى النسخة الكاملة ولا يعتمد على الناقصة إلا عند المقابلة، لأن المطلوب من المحقق إخراج المخطوط كاملا لا ناقصا .

رابعا: ترتيب النسخ

بعد الإطلاع التام على المخطوطات ومعرفة أوصافها، يبدأ بجمع النسخ وفق الترتيب التالي:

1-يختار النسخة الأقدم على اعتبارها النسخة الأم لاشتمالها على أكبر قدر من الأوصاف المطلوبة .

---

[1]- المرجع السابق، ص: **5108**

2- اختيار النسخ الأخرى للمقابلة، وهي التي تكون أوضح خطاً، أكثر إتقاناً، أو عليها سماعات. .

ويشترط في النسخ المقترحة ألا تكون منقولة عن بعضها، وإلا عدت نسخة واحدة، ولا تصلح للمقابلة، ويظهر النقل في تصريح الناسخ بذلك .

مخطوط قصيدة التوسل على حروف (ادعوني أستجب لكم) للمزمري (ت1160ه)

دراسة وتحقيق

أ . العربي عبد الرحمن/ جامعة أدرار

ملخص باللغة الإنجليزية:

Summary

This research in its entirety and investigation of one of the artistc poet religious texts His Author is one of grammar columns, offers in the Tuat southeran, Mohammed bin Obba Almuzzamiry, and hoped this article add another buildig block on the basis of bulding is still in its infancy, and that is build a care scientific heritage Touati Algerian in the centuries that preceded the colonil era. This work aims also to study the text of a scientific study documented the origins science achievement of manuscripts.

مقدمة:

يحسن بنا ونحن نمارس عملا علميا وننشد المنهج العلمي في تحقيق المخطوطات؛ أن نولي وجوهنا صوب رفوف الخزائن التواتية العامرة؛ من أجل تعميق الصلة بالتراث الثمين الموجود على متنها، ومن أجل تمكين الباحثين مما فيه من نفيس المعارف والفنون الأدبية المؤنِقة.

ويختلف هذا النص عن كثير من النصوص التي تتطلب في باب التحقيق أمورا؛ كتخريج الآيات والأحاديث، والتعريف بالأعلام وغيرها ؛ لكونه نصا شعريا فنيا . ولعلي أقول عن التعريف بالأعلام مثلا: إنّ هذا النصّ لم يحوِ منَ الأعلام غير النبيينِ الكريمينِ محمدٍ وأيوبَ صلى الله عليهما وسلّمَ، والأنبياء معارفُ ؛ ولا يُنكَر قدرُهما ، ومن سوء الأدب معهما التعريف بهما .

وآمل مِن عرض هذا النص الجدير بالعناية والملاحظة ؛ أن أُكْتَبَ من خَدَمَةِ التراثِ العلميِّ النبيلِ الذي جادتْ بِهِ أقلام أعلام أفذاذ أمثال المزمريّ.

وبعد هذه المقدمة يترتب هذا البحث إلى فرعين: الدراسة العلمية، والنص محققا .

أما الدراسة فَتَحْتَهَا عشرةُ بنود: نبذةٌ من حياة المؤلِّفِ، وتحقيق نسبة النص إليه، وعدد أبيات القصيدة، ومضمونها، ثم أهم القصائد في بابها، ثم أهم القصائد في شكلها، ثم عروضها، ثم عقدت بندا للكلام في نقد القصيدة نقدا علميا من أجل إلقاء نظرة علمية بين يدي القصيدة، ثم وصفت النسختين وصفا مفيدا . ثم بينت أهم النقاط التي سلكتها أثناء عملية التحقيق؛ والتي تمثل المنهج الذي اتبعته لتحقيق هذا النص.

ولست أكتفي في هذا النص القصير بتحقيق متنه وتوثيق كلماته ؛ بل أعزز ذلك بسلوك نهج تحليلي نقدي يزيد جمال المادة الفنية نصوعاً، ويضفي على هذه القصيدة بين أمثالها وقْعاً ومكانة.

ولِقِصَرِ النصِّ المحقَّقِ وانحصارِهِ في صفحتين في الأكثر ؛ فإنني عرضْتُ المخطوطةَ كاملةً مِن كِلا النسختين، وليتسنَّى للقارئِ تتبعُ الأصلِ مع النصِّ المعروض محقّقاً . واللهَ أسأل التوفيق.

الدراسة:

أولا: نبذة من حياة المزمري:

هو أبو عبد الله محمد بن أُبّ بن أحميد بن عثمان بن أبي بكر المُزّمّري نسباً، التواتي مولداً وداراً. ولد سنة (1094هـ). أخذ عن الشيخ محمد الصالح بن المقداد (ت.ق12 هـ) والشيخ الفقيه عمر بن المصطفى بن عمر الرقادي (ت.1157هـ). وأخذ عنه ابنه ضيف الله، وقد أُثِر عنهما مسامرات نحوية عدة، وعبد الرحمن بن باعومر التنلاني(ت.1189هـ)[1]. وهما اللذان نقلا أكثر مؤلفاته إلى ساحة العلم في توات وإفريقيا وغيرهما.

تحدث عنه تلميذه عبد الرحمن بن عمر التنلاني في غمرة الحديث عن شيوخه فقال: (ومنهم شيخنا الفقيه الأديب سيدي محمد بن أب المزمري كان ـ رحمه الله ـ فقيها، أديبا، نحوياً، لغوياً، تصريفيًا، عروضيًا، فائق من لاقيت في الفنون الثلاثة الأخيرة رائق الخط، شاعراً، مجيداً، مفلقا، لايبارى فيه ولا يُجارى)[2]، وهو باحث كثير المطالعة والنظر لا تكاد تجد كتاباً بتوات إلا وتجد خطه فيه، وكان متقناً في الضبط لا يتساهل فيه[3]. **وكان رجلا محققا. قال ذلك عنه ـ أيضا ـ تلميذه عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي[4].**

---

[1] جعفري أحمد، محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، دار الكتاب العربي 2004م ص 59.

[2] عبد الرحمن بن باعومر التنلاني، فهرسة شيوخ عبد الرحمان بن عمر، تحقيق: باعثمان عبد الرحمن ص 132.

[3] نفسه. ص 133.

[4] ينظر: عبد الرحمن بن باعومر التنلاني، إعراب القرآن، (مخطوط) ورقة 1.

ترك تراثا كبيرا ؛ عبارة عن شروح وقصائد وأراجيز علمية منها: قصيدةٌ في فك البحور، وأرجوزة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ضمنها أشطاراً من الألفية، وعشرة أبيات في المقلوب. وقصيدة تضمنت أبياتاً عشرة تُقْرَأ من الجهتين من اليمين إلى اليسار والعكس، والقصيدة الشعرية التي أنشأ عليها بحره الجديد والذي سماه (المضطرب) من (89) بيتاً. وإعراب التسبيح الذي يقال بعد صلاة التراويح نظما، وتخميس قصيدة "ما للمساكين" لأم هانئ. وغيرها.. من المؤلفات الصغيرة والمطولة. قال التنلاني : (وقد نظم قصائد ومقطعات لو جمعت لكانت ديوانا كبيرا)[1]. ويهمنا ههنا تراثه الشعري.

وفي مصادر ترجمته أنه في 10 جمادى الآخرة سنة (1160 هـ)، انتقلت روحه إلى بارئها، ودفن بمدينة تيميمون[2]. في إقليم توات، رحمه الله رحمة واسعة.

ثانيا: تحقيق نسبة النص وعنوانه:

تخبرنا المراجع التي ترجمت للمزمري أن من أشعاره قصيدةً في التوسل على حروف هذه الآية، (ادعوني أستجب لكم)[3]. مما يؤكِّدُ نسبتَها إليه[4]. وأيضا فإن النص على المؤلف في نسخ هذا النص واضح.

وأما عنوانها فيبدو أنَّ المزمريَّ لم يضعْ لها عنواناً محدداً تتميَّزُ به كالمنفرجةِ أو البردةِ مثلا، ولم تعرف باسم ناظمها كما عرفت الشمقمقية أو الشقراطسية مثلا بأسماء أصحابها، بل تركها على هذا الوصف ليكون عَلَما عليها وهو بهذه الصورة: "قصيدة على حروف قوله

[1] السابق ص 132
[2] ينظر: المصدر نفسه ص 138، و نسيم النفحات، ورقة 163. وجوهرة المعاني، ورقة 17 ..
[3] سورة غافر / الآية 60، والآية كاملة هي:﴿وَقَال رَبّكم ادْعُونِي اسْتَجِب لَكُم إِنّ الذِين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ﴾.
[4] ينظر نسيم النفحات، ورقة 160. وجوهرة المعاني، ورقة 15

تعالى. . . " ومن عادة عامة المشتغلين بهذا النوع من الشعر أن يطلقوا عليه اسم "التوسيلة" لأنه عبارة عن توسّل إلى الله بالدعاء أو العمل الصالح. . وهو هنا توسل بهذه الآية نفسها من أجل قبول الدعاء.

ثالثا: عدد أبيات القصيدة:

لا شك أنها أربعة عشر بيتا يؤكد ذلك عدد حروف الآية الكريمة، وهذا يؤكد حقيقة علمية؛ هي أن هناك موضوعاتٍ غيرَ منتهية الأفكار؛ يمكن النظم فيها والتقصيد عليها؛ كموضوع الابتهال، والذكر، والثناء على الله، والاعتراف بالذنوب، والبكاء جراءها، ونحو ذلك كثير جدا. وفي المقابل هناك موضوعات يكاد يكون عدد الأبيات فيها معروفا أو منتهيا في الأقل، منها ما ينظمه الناظم من كتب غيره، أو النظم في العلوم وقواعدها، أو نحو ذلك.

رابعا : مضمون القصيدة:

اختار المزمري قول الله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) ليقتبس منه مضمون قصيدته ويضمنه مجملها، وهي آية شهيرة في هذا الباب، ومثلها قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون)[1].

وما من شك في أن مضمون هذه القصيدة جليّ، والكتابة فيه كثيرة ومتوافرة؛ بسبب ارتباطه بالنزوع إلى التبتل والتضرع إلى الله تعالى، والحاجة إلى دعائه، والاستعانة به، واستغاثته لتفريج الكروب والهموم وقضاء الحوائج. وكل قصيدة في الضراعة إلى الله تعالى

[1] سورة البقرة / الآية 186.

والتوسل برحمته وبغيرها من الوسائل؛ فهي من أخوات هذه القصيدة. بيد أن الجديد فيها هو **اتساق مضمونها مع بنائها الشكلي**، وكونها تستند إلى آية قرآنية مضمونها هو الذي أوحى للشاعر بمضمون قصيدته.

خامسا: أهم القصائد في بابها:

لا يمكننا حصر القصائد التي تشبه قصيدتنا هذه في مضمونها ؛ ذلك أنه موضوع مرتبط بأمر لا تنقضي الحاجة إليه في زمان ولا مكان.

ويمكن تسجيل بعض القصائد المشابهة في الخزائن التواتية أكثرها لا يزال مخطوطا فنجد:

- قصيدة في التوسل بأسماء الله الحسنى وسور القرآن[1]. مؤلفها مجهول.
- للكنتي محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر (ت. 1226هـ) قصائدَ كثيرة (أكثر من خمس قصائد) في الاستسقاء والتوسل، والاستغاثة بالله تعالى، وطلب العون منه، ودعائه سبحانه[2].
- ولا تكاد تخلو منظومة أو قصيدة في ختامها –مهما كان موضوعها– من تضرع لله بالمغفرة والرغباء إلى الله، والتجاوز عن السيئات، وحمده على التمام ؛ يلمس ذلك كل مَن تابع منظومات التواتيين وغيرهم في كل العلوم والفنون.

---

[1] ينظر: أحمد باب التنبكتي، فهرس مخطوطات أحمد بابا التيمبكتي للتوثيق والبحوث التاريخية **1/ 400**.
[2] ينظر: المصدر نفسه **1/ 285**.

سادسا: أهم القصائد في شكلها:

إن التزام نمطٍ ما يفرضُهُ الشاعرُ على نفسهِ لَهُوَ نوعٌ من إبداء البراعَةِ والبيان وإظهار التَّمَكُّنِ مِن ناصيَةِ الشّعرِ واللّغَة. ويمكن التمييز بين أنواع عديدةٍ من هذا الالتزام كما يأتي:

1. التزام كلمة واحدة ذات علاقة بالمضمون في مطلع كل بيت من أبيات القصيدة أو في مؤخرته، مثالها قصيدة تبدأ باسم النبي – صلى الله عليه وسلم – مثل:

– قصيدة البوصيري (ت. 696 هـ) المسماة بالمحمدية؛ لأن كل شطر من كل بيت يبدأ بكلمة (محمد) اسم النبي صلى الله عليه وسلم. 17 بيتا [من بحر البسيط]، ومطلعها[1]:

محمدٌ أشرف الأعراب والعجم　　　**محمدٌ** خير من يمشي على قدم

ونهايتها:

محمـــدٌ قائم لله ذو همـــم　　　**محمـــدٌ** خاتم للرسل كلهـــم

– وتشبهها قصيدة "ابن مرسية" التي ينتهي كل بيت منها بذات الكلمة، [من بحر الكامل] ومطلعها[2]:

للعاشقينَ لواهجٌ لَمْ يَشْفِها　　　إلاّ الصّلاةُ على النّبيِّ **محمّدِ**

---

[1] **محمد شرف الدين الصنهاجي البوصيري، ديوان البوصيري، قصيدة رقم: 13789 و مجمـوع القصـائد والأدعية، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية 1960م ص 13– 14.**

[2] **مجموع القصائد ص 14– 15.**

وخاتمتها:

صَلّى عليهِ اللهُ ما رَقَمَتْ يَدٌ وَشْيَ الصَّحائِفِ مِن ثَنَاءِ **مُحَمّدِ**

وَالآلِ والأَصْحابِ مَعْ أَزْواجِهِ وَمَنِ انطَوَى يوماً لآلِ **مُحَمَّدِ**

2. التزام حرف واحد تبدأ به أبيات القصيدة كلها ويكون مثل حرف رويها مثالها: كل قصيدة من القصائد الوترية التي نظمها ابن رشيد البغدادي على حدة. كقوله:

أقيمَ مقاما لم يقم فيه مرسل وأمست له حجْب الجلال توطّأ.

3. التزام ترتيب أبيات أو قصائد تامة على حروف المعجم. ومثالها القصائد الوترية.

4. التزام آية أو حكمة أو نحوها بحيث تبدأ أبيات القصيدة بحروفها على الترتيب ومثالها قصيدتنا هذه.

ومما وجدنا من القصائد مما يشبهها في هذا النمط:

– منظومة على حروف قوله تعالى: (واللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ) لعمر بن سعيد الفوتي (ت بعد 1261هـ)[1]. مخطوطة في فهرس مخطوطات أحمد بابا التيمبكتي، تحت رقم 896. والفوتي هذا أحد شيوخ الطريقة التيجانية بالسودان.

– منظومة على حروف "ادعوني أستجب لكم" أيضا للحسن اليوسي

[1] ينظر: فهرس مخطوطات أحمد بابا التيمبكتي للتوثيق والبحوث التاريخية 1/ 277.

الفقيه المالكي (ت. 1102هـ) من بحر الطويل، مطلعها[1]:

إلاهِيَ مَن أدعُو وأهتِفُ باسْمِهِ　　إذا لمْ نقفْ ببابك الواسعِ البرِّ

وختامها:

مُرَاديَ لا يخفَى عليكَ فَخُذْ بِهِ　　بِحُرمةِ مَنْ حازَ السِّيَادةَ في الحشرِ.

سابعا: عروض القصيدة:

هي من بحر الكامل التام الذي وزنه:

متَفاعلن متَفاعلن متَفاعلن　　متَفاعلن متَفاعلن متَفاعلُنْ

عروضه صحيحة أو مضمرة (متْفاعلن) وضربه مقطوع (متَفاعلْ)، والإضمار تسكين الثاني المتحرك، والقطع حذف ساكن الوتد وتسكين ما قبله[2].

دَعـوَايَ　مهمَا بَرَّحَتْ　بِي كُرُبَـةٌ اللهُ لِي　حَيْثُ الْكُرُو　بُ اللهُ

دَعْوَايَ　مَهْـمَا بَرْرَحَتْ　بِيْ كُرُبَتُنْ أَلْلَاهُ لِيْ　حَيْثُ لْكُرُوْ　بُ لْلَاهُوْ

|0|0||0　　|0|0||0　　|0|0||0

|0|0||0　　|0|0||0　　|0|0|0

متْفاعلن　متْفاعِلُنْ　متْفاعِلُنْ　　متْفاعِلُنْ　متْفاعِلُنْ　متْفاعِلْ

وهـي مـن نـوع القصـيد أي القـريض، أي: إنهـا ليسـت منظومـة "رجـزاً" ذاتَ قافيـة

[1] ينظر: مجموع القصائد. ص 55.

[2] الزمخشري، القسطاس في العروض، ص 4

داخلية، بل هي قصيدة ذاتُ روي واحد هو الهاء، والهاء لا تكون رويا – في عرف العروضيين – إلا بشرط أن يسبقها حرف ساكن أو حرف مد[1]. وإلا كانت حرف وَصْلٍ.

وما دام الحرف الأول من كل بيت معروفا مسبقا؛ فإن الحرف الأخير لكل بيت يحسن به أن يكون معروفا أيضا. وهو ما حقق تناغما عجيبا في القصيدة.

وقافيتها مطلقة مختومة بواو " خَرُوجٍ " فاكتنف الهاءَ حرفا مدٍّ هما أقدر على إمداد القارئ للقصيدة بنوع من التأوه والندبة وربط العلاقة بين معتلجات النفس البشرية ؛ ورحمات الرّبِّ المعطي الواسعة ونفحاته الماتعة.

وهي هاء ضمير الغائب التي عبر بها الشاعر –في الغالب– عن نفسه فهو المتضرع، وغيّب نفسه مبالغة في التضرع والذلة لله الحاضر الذي لا يغيب. جاءت هذه الهاء في غالب الأبيات هاءً للغائب إلا في البيت الثاني ؛ فإنها هاء لفظ الجلالة وفي الخامس هاء استغاثة وندبة. وهو ذات المقام الذي عقدت القصيدة لأجله.

وأما عن الجوازات والضرائر الشعرية، فإنه تتكاثر الجوازات والضرائر في النظم أكثر منها في الشعر، ولا شك أن الشعر الجيد هو ما قلَّتْ فيه أو انعدمتْ أو اقتُصِرَ فيه على الضرائر المستحسنة. وقصيدتنا هذه لم تظهر فيها الضرائر إلا لماما وحصل ذلك في موضع واحد هو قوله: فأزاح عن ذي غمة غماه: لفظ "غماه" يقصد به غمته بزنة "فُعلة" مؤنث اضطره الوزن إلى وزن " فُعلى". ثم هو بعد ذلك تعبير جميل لأنه يحكي قول الله تعالى: ((وَيُؤتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَه))[2].

---

[1] ينظر: أبو إسماعيل بن أبي بكر المقري، كتاب العروض والقوافي، تحقيق: يحيى بن علي المباركي، دار النشر للجامعات 2009م. ص 91– 92.

[2] سورة هود / الآية 3.

وفي الجانب العروضي النظري، فإن المزمري خبير بمواضع الضرورة، فقد قال وهو يشرح جواز تنوين المنادى النكرة المقصودة:

ولا تسْتَبِحْ تَنْوينَهُ يا أَخَا الحجَا   فَتَضْحى إذاً مِمّن إلى الحَقِ يُنْسَبُ

ومهْما أتى في الشّعْرِ فَهْوَ ضرُورةٌ   وَكَمْ قَدْ أَبَاحَ الحظْرَ في الشّعْرِ مَأْرَبُ[1]

ثامنا: بين يدي القصيدة:

أوفى المزمري بما قطعه على نفسه من التزام حروف الآية في مبادئ أبيات قصيدته إيفاء بارعا وذكيا. ذلك أنه لم يكتفِ بالتزام الحرف فحسب؛ بل التزم – بقصد أو بغير قصد – حركة الحرف أيضا، إلا فيما لا يمكن الوفاء به وهو حركة الحرف الساكن في الآية؛ إذ لا يتأتى البدء بحرف ساكن قط. هذا باستثناء موضعين هما: البيت الأول الذي همزته في الآية مضمومة وهي في البيت مفتوحة، والبيت الثالث الذي عينه في الآية مضمومة وهي في البيت مفتوحة كذلك.

ثم إن همزة القطع الواردة في قوله تعالى: (أُستجبْ) قد قلَبَها في البيت همزةَ وصْل. وله في ذلك مندوحةٌ ومبرر يصرف عنهُ الملامةَ، وهو أنّ همزة الوصل إذا ابتُدِئ بها كانت في النطق همزة قطع. ولئن كان لم يخطر ببال المزمري أن يناسب بين حركة الحروف في الآية وحركتها هي نفسها في الأبيات ثم اتفق له ذلك دونَ قصد؛ إذاً لهو من محاسن الموافقات!

ولا يغبْ عن بالنا ذلك الاتّساق والتساوق العجيب الذي بين مضمون النص وشكله

---

[1] محمد بن أب المزمري، منظومة في إعراب التسبيح الذي يقال بعد صلاة التراويح، (مخطوط) خزانة المطارفة. ورقة 2.

وتفاعل الشاعر معه، فقد كان الشاعر واضحا في امتثال آداب الدعاء المطلوب في نص الآية بقوله: (ادعوني) من التذلل، والإيقان بالإجابة، والبدء بالثناء على الله، والختم بالصلاة على نبيه، وذكر المضطر، وتحري الاسم الأعظم (الله)، والاعتراف بالذنب ونحو ذلك. . . . . . . وذلك من أجل انتظار الإجـــابــــة الموعودة في قوله: (أستجب لكم).

ويستفاد من أنعام النظر في النسختين؛ جمعاً بينهما، ثم إفرادا لكل منهما ؛ أمر مهم مرتبط بتبادل الكلمات بينهما، ذلك أنّا بتتبع ما ورد في النسختين من ألفاظ نميز بين ضربين من الروايات:

أ. ضربٍ هو خطأ بلا شك، ويكون خطؤه من: سهو أو زلة قلم أو غلط.

ب. وضربٍ هو صواب، وتتمايز الروايات فيه إلى نوعين:

- لفظين يقبلهما النحو والوزن والمعنى على حد سواء.
- لفظين يقبلهما النحو والوزن والمعنى ؛ لكن مع ترجيح أحدهما بمرجّحِ السياقِ أو بلاغة الكلام.

ووجدت الأول ماثلا في 6 مواضع هي:

1. بي كربة ========= بي كربتي
2. مهجتي ========= لهجتي
3. في الشدائد ======= في الجوادث
4. ووقيت ========= وكفيت
5. واغوثاه وارباه ===== وارباه واغوثاه

6. وسع الورى ====== عم الورى

ووجدنا الثاني ماثلا في موضع واحد هو:

رحماه === قرباه.

وبعد إمعان النظر في الضرب الثاني، نجد أن الخطأ وارد بسبب مخالفته للنحو أو الوزن، وما كان الخطأ فيه بسبب مخالفته للنحو موضعان هما:

1. برّحتْ بكربتي : إذ لا يكون للفعل "برّح" حينها مفعول. فيكون في الكلام والمعنى خلل واضح.
2. دعوت إلحاحا بذلك مهجتي/ لهجتي: إذ الفعل "دعا" لا يتعدى إلى المهجة ولا إلى اللهجة في المعنى.

وما كان الخطأ فيه بسبب كسره للوزن 6 مواضع هي:

1. " أرجوه مَن ": والصواب بزيادة "يا" لتمام الوتد المجموع لـ"متْفاعلن"
2. " الهدى" في الشطر الثاني: والصواب أن موضعها الشطر الأول.
3. " ولولا " بدل لولا: يزيد حركة لا يقبلها الوزن بعلل ولا تمام.
4. " واسعا الورى"، "عم الأنام" : كلاهما يكسر الوزن ؛ الأول يزيد ساكنا بين ميم متفاعلن الصحيحة وتائها، ولا يصح ذلك في زحاف ولا علة قط. والآخر.
5. "مذ" في الشطر الثاني.
6. "نويت" بدل "ناديت".

تاسعا: وصف النسخ:

النسخة الأولى: نرمز إليها بالرمز (ط) ومصدرها خزانة السيد "حيدة" التمنطيطي، وحالتها متوسطة عموما كتبت بخط دقيق، وهي غير مشكولة، وبها بعض التآكل من أطرافها، وتقع في صفحتين، ختمت بعد القصيدة بفائدتين كتبهما الناسخ. إحداهما: بيتا شعر نسبهما إلى محمد الوراق ونص الفائدة:

قال محمد الوراق في شعره[1]:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نعمةً نعمةٌ عَلَيَّ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ بُلُوغُ الشّكْرِ إلاّ بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتْ الأَيَّامُ واتَّصَلَ الْعُمْرُ.

وهناك تصحيف في اسم هذا الرجل، فاسْمُهُ في المصادر "محمودٌ الورّاق" وتخبرنا المصادر بترجمته فتقول هو : محمود بن الحسن الوراق الشاعر أكثر القول في الزهد والأدب روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا وأبو العباس بن مسروق وغيرهما، مات في خلافة المعتصم

---

[1] والأبيات بهذه الصورة فيها خلل في الوزن، وصوابها ما جاء في: البيهقي، شعب الإيمان 6/ 238 : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحِرَفِيُّ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا، قَالَ: أَنْشَدَنِي مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً .... عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فكَيْفَ وُقُوعُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ

إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ أَعَمَّ سُرُورُهَا ...... وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ مِنَّةٌ .... تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ

عام (220هـ)، التقى جعفرا الصادق وروى عنه المبرد[1]. وله ديوان مطبوع.

كما يبدو –في المخطوطة– في نص شعر الوراق تصحيف أيضا، فهو كما أوردنا لا كما كتبه الناسخ، وهو في كتابة ذلك الناسخ فيه كسر في الوزن.

والفائدة الأخرى: طبيّة لشفاءِ الأورامِ، قال ناقلها "الناسخ" إنها مجربة

ثم قال في نهايتها إنه نقلها من كتاب تفسير (. . . .)

وكتب الناسخ اسمه في نهاية الفائدتين المنقولتين، وهو: "محمد بن أبي بكر بن المحجوب بن أبي مدين". وهو رجل له اطلاع أو اهتمام بعلم النحو يظهر ذلك فيما يخطه بخط يده، ومن ذلك ما في ورقة بخط يده كَتَبَ فيها مسألتينِ نحويتينِ، قال إنه نقل أولاهما –كما قال–: (من خط قديم لم أعرف صاحبه ولا عُرف لأحد من الشراح ولا إلى نسخة)[2] .

ويبدو أنه ناسخ لا يوصف بالمهارة، لأن له أخطاءً كتابية من مثل كتابته لفظ " المُنا " جمع "أمنية" بالألف الممدودة. وكتابته: " نويت" بدل ناديت، وهو خطأ يأباه الوزن.

ولعل أحدا كان يُمِلُّـه، يدل على ذلك: كتابته : " وسع الورى" : "واسعا الورى"، وأخطاء المد زيادة ونقصا من أظهر الأخطـاء التي تنجم عن خطأ المملي أو ضعـف الكاتب.

وكتب "فظللت" بالضاد، وقد يكون زلة قلم حسبُ.

---

[1] ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد 13/ 87 والذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 461.

[2] ورقة مخطوطة "مسألة في المفعول معه". لمؤلف مجهول، خزانة السيد حيدة تمنطيط. وينظر : عبد الله ابن عبد الكريم البكري. الدرر المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، مخطوط في خزانة السيد حيدة – تمنطيط. ورقة 2.

وكتب قولَ المزمري:

نلت المنى وكفيت ما أخشاه مذ ناديت وارباه واغوثاه

كتب "مذ" وهي من صدر البيت في بداية العجُز[1]. ولها أمثال؛ مما يدل على ضعف التمكن العروضي.

ويبدو أن الناسخ قصد بجمعه بين هذه القصيدة وتلك الفائدتين في ورقة واحدة أنّ بينها وبينهما علاقةً في المعنى والمضمون، فالتوسل الذي في متنِ القصيدة مِنْ لوازمه الاعترافُ بفضل الله ونِعَمِهِ؛ وهو الذي نصَّتْ عليه أبياتُ الورّاقِ. وإنَّ من لوازمِ التوسل لجلبِ البرءِ الأخذُ بأسباب الشفاءِ ؛ وهو عين مضمونِ الفائدةِ النثريةِ التي قيَّدَها الناسخ.

هذا وقد يكون تقييد فائدة ما في نهاية كتاب ما ليس له من داعٍ غير العوز من الورق وقلة وسائل الكتابة.

وتاريخ نسخها غير معلوم. ولسنا نعرف تاريخ وفاة الناسخ فنحدد الفترة التي يرجح أن تكون قد كُتبت فيها .

النسخة الثانية: نرمز لها بالرمز (و) مصدرها خزانة السيد "وليد بن الوليد" الواقعة في "باعبد الله" قرب مدينة أدرار وحالتها جيدة وخطها جيد مقروء ومشكول شكلا جيدا ينبئ عن أن صاحبه عالم باللغة والنحو. يمكن الاستدلال على ذ

وهي واقعة في صفحة واحدة، في مجموع فيه قصائدُ شتى للمزمّري أكثرها في مواضيع عروضية، ناسخها كلِّها واحدٌ هو "محمد عبد العلي بن محمد عبد الحكيم".

---

[1] ينظر النص المحقق .

نسخها لشيخه وسيده "محمد عبد الحكم بن محمد بن عبد الرحمن بن الشريف". كذا في نهاية المجموع. وتاريخ نسخها غير معلوم.

مبدؤها : الحمد لله، وله أيضا هذا الدعاء على حروف (ادعوني أستجب لكم): الله ربي...

ولم أختر إحداهما على الأخرى لأجعلها أما بل حاولت إثبات النص من كلتيهما معا ليكون أكمل وأجلى.

عاشرا: منهج التحقيق:

- حاولت ربط الفوائد المكتوبة عقب القصيدة في إحدى النسختين بمضمونها وتعليل اختيار الناسخ لها.
- رَدَدْتُ النص إلى الكتابة وفق القواعد الإملائية المعروفة حديثاً .
- وثّقتُ نسبة القصيدة إلى مؤلفها، وحاولت عنونتها .
- وضَّحتُ أهم ما وقع فيه الناسخ من تحريف، أو سقط، أو زيادة مُحالاً في الهامش. ورجّحت في حالة قبول النحو والعروض كلمتين.
- قدمتُ شرحا نحويا أو معجميا في حالة توقف الفهم عليه.
- وثّقتُ أهم الآراء، والأفكار أو المعاني الواردة في النص.
- علّقتُ على بعض المسائل المهمة في النص .
- ووضعت معجما للمواد الغريبة، وفهرسا للمسائل النحوية ؛ لإظهار قيمة النص اللغوية والنحوية.

النسخة (و)

النص المحقق:

بسم الله الرحمن الرحيم ،

صلى الله على سيدنا محمد وآله. وللشيخ الإمام العالم العلامة إمام العصر وفريد الدهر النحوي اللغوي سيدي محمد بن أبّ بن أحميد المزمريّ هذا الدعاءُ على قولِهِ: ﴿ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُم﴾، رحمهُ الله ونفعنا بِهِ[1] آمينَ:

1- اَللهُ رَبِّـــــي لاَ إِلَــهَ سِـــوَاهُ | مَا خَابَ مُضْطَرٌّ دَعَـا مَـــوْلاَهُ

2- دَعْوَايَ مَهْمَا[2] بَرَّحَتْ بِي[3] كُرْبَـةٌ:[4] | اَللهُ لِي حَيْثُ الْكُـرُوبُ اللّـــهُ

3- عَوَّدتُ[5] إِلْحَاحًا بِذَلِكَ لَهْجَتِـــي[6] | فَظَلِلْتُ[7]– ما[1] عُمِّرْتُ– لاَ أَنْسَـاهُ

---

[1] يصح أن يعود هذا الضمير على المؤلف (المزمري)، وتصح عودته على التأليف (الدعاء).

[2] في (و) "مهمى" بالمقصورة.

[3] في (ط) : "بِـــــــــكربتي"، وهو خطأ الناسخ فالياء تثبت كتابة. والصواب ما أثبت في المتن كما في (و). ويجوز أن يكون قصد: بي كربتي. فهو صواب أيضا يقبله المعنى والوزن.

[4] في (ط) : كربتي.. ويصح وزنا ونحوا ومعنىً "بي كربتي"

[5] في (ط) : "دعوت" ولعله زلة قلم، وما أثبت هو الصواب. لعلتين:

- إحداهما: أن "مهجتي" أو "لهجتي" مفعول به ولا ينصبه (دعا)..
- والأخرى: أن الحرف الذي هذا موضعه حسب تراتب القصيدة مع الآية هو العين لا الدال.

[6] في (ط) :"مهجتي"، ولعله صواب أيضا. والمهجة هي دم القلب إذا أُرِيقَ بادتِ النفسُ. ينظر اللسان (مهج) **4286/6**. وما أثبت فمن (و).

[7] في (ط) : "فضللت" بالضاء وهو خطأ ظاهر.

4- وَإِلَيهِ أَمْرِي فِي الْحَــوَادِثِ[2] كُلِّهَــا   فَــوَّضْتُ جَــزْماً أَنَّنِي أُكْـفــاهُ

5- نِلْتُ الْمُنَى[3] وكُفِيتُ[4] مَا أَخْشَاهُ مُذْ[5]   نَــادَيتُ[6] وَاربّــاهُ وَاغَـوْثــاهُ[7]

6- يَا عُمْدَتِي يَا عُدَّتِي فِي شِدَّتِــي   يَا مُحْسِنـا وَسِعَ الْوَرَى[8] رُحماهُ

7- الْطُفْ بِعَبدٍ قَد دَعَاكَ تَضرُّعــا   وَارْحَمْهُ فِي هَـذِي وَفِـي أُخْـرَاهُ

8- سَاءَتْ نَتَائِجُ فِعْلِهِ لَوْلا[9] الرَّجَـا   وَرِدَاءُ سَتْرٍ مِنْكَ قَـدْ غَشَّـاهُ

9- تُبْ وَاعْفُ وَاخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ وَالْهُدَى[10]   فَضْـلاً، وَوَفِّـقنا لمَا تَرْضَـاهُ

10- جُدْ وَاسْتَجِبْ فَلَقَـدْ أَجَبْتَ تَفَضُّلا   أَيوبَ[11] حِينَ دَعَـاكَ مِـنْ بَلْوَاهُ

11- بَلِّغْ مُرَادِيَ عَاجِـلاً مِنْ كُـلِّ مَـا   أَرْجُــوهُ يا مَنْ[12] لَيْــسَ لِـي إلاَّهُ

12- لَكَ ضَارِعًا وَجَّهْـتُ وَجْهِيَ سَائِلاً   مِنكَ الرِّضَى يَــا رَبِّ فَارْزُقْـنَــاهُ

---

[1] "ما" حينية بمعنى طول عمري.

[2] في (ط) "في الشدائد". ويحتملهما السياق والمعنى والنحو والعروض.

[3] في (ط) "المنا " بالألف الممدودة.

[4] في (ط) : "ووفيت " ولعلها "ووُقِيتُ" بالقاف. وتصح معنى.

[5] في (ط): "مذ" في الشطر الثاني وهو خطأ في العروض.

[6] في (ط) : " نويت" وهو خطأ، ويأباه الوزن.

[7] في (ط) : " واغوثاه وارباه". ولا تضير الوزن ولا البلاغة.

[8] في (ط) : " واسعا الورى" ولعل الناسخ أخطأ فكتب بدل "وسع" : واسعا، وفي (و) : كتب " عمّ الأنامَ "، ولا يستقيم معها الوزن. لكنه صوبها بـــ (عم الورى)

[9] في (ط) : " ولولا" ويأباه الوزن والنحو أيضا.

[10] في (ط): "الهدى" في الشطر الثاني وهو خطأ في العروض.

[11] يقصد (أيوبَ) النبي وبلواه مشتهرة وإجابة الله له في القرآن. قال الله تعالى: ﴿ وأيُّوبَ إذْ نَــادَى ربَّــه إنِيْ مَسَّنِيَ الضَّرُّ وأنتَ أرحمُ الرَّاحمينَ فاستجَبْنَا لَهُ وكشفْنا مَا بهِ مِن ضُرّ ﴾ سورة الأنبياء / الآيتان **83- 84**.

[12] في (و): " أرجوه من "، وما أثبت فمن (ط)، وهو الصواب الذي يصح به الوزن.

13- كُنْ ذَا الْجَلَالِ[1] مُصَلِّياً أَبَداً عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى ذَوِي[2] قُـرْبَـاهُ[3]

قُـرْبَـاهُ[3]

14- مَا لاَحَ بدر الْيُسْرِ فِي لَيْلِ الأَسَى فَأَزَاحَ عَنْ ذِي غُمَّـةٍ غـمَّـاهُ

انتهى وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى[4].

---

[1] " ذا " في هذا الموضع منادى محذوف حرف النداء لا خبرا لـــ كان.

[2] في (و) وعلى ذوِ دون ياء وهو سهو من الناسخ لا يستقيم معه الوزن ولا الإملاء. وما أثبت فمـــن (ط)، وهو الصواب.

[3] في (ط) : " رحماه" ؛ وقرباه أجود في المعنى وفي اعتبار أن "رحماه" كلمة سبقت في قافية بيت قبله، وإن كانت كانت إعادتها لا تؤدي عيب الإيطاء المعروف ؛ لأنه يشترط أن يفصل بينهما سبعة أبيات ؛ وهو قـــد جـــاوز السبعة الأبيات. ولأن معنياهما في البيتين مختلفان، فهو في الأول من الرحمة وفي الآخر من الرحِم أي الأقارب.

[4] في (و): انتهى بحمد الله وحسن عونه.

خاتمة:

إن العمل في نص مخطوط من وزن أعمال المزمري الشعرية يدعو إلى التأمل في المتن تأملا جيدا ؛ ذلك أنها نصوص تنم عن تمكن لغوي لافت، ويمكن –بعد ذلك التأمل وذلك العمل – تسجيل النتائج العلمية التالية:

- يشي النص بمقدرة صاحبه اللغوية وتمكنه المعرفي.
- ويشي بحس بلاغي رائق، وذوق جيد؛ وهو أمر لا يستغرب من أديب كالمزمري.
- ويظهر من ثنايا النص المكنة العروضية بالنظر إلى توظيف المعلومات النظرية، وبالنظر إلى الاختيارات التطبيقية فيما تؤدية مصطلحات ومفاهيم علم العروض. وقد تأكد أن المزمري عروضي بامتياز.
- ويتسق النص مع زمانه وموضوعه، ويتناسق ذلك مع شكله.
- ويضع هذا النص صاحبه في زمرة شعراء الالتزام الصوفي.
- وينبئ عن تمكن وملكة في إنتاج الأفكار وطرحها بشكل ماتع.
- وتتمايز عناصر النص متساوقة مع لوازم قبول الدعاء، فمقدمتُه هي مستفتحُ الدّعاء من الثناء على الجليل بما هو أهلُه، ومتْنُه هو جوهر المسألة والطّلبةِ والاعتراف بالتقصير؛ وخاتمتُه هي مستوجَبُ ختمِ الدّعاءِ من الصلاة على النبيّ وآلِهً.

"العملات المغربية (النقود) من خلال المعيار للونشريسي"

الأستاذة خيرة سياب

شعبة العلوم الإنسانية بجامعة بشار .

Résumé

L'argent est l'apparition d'un civilisé, organisé par des transactions utilitaires entre les individus et entre les institutions au cours des siècles, en particulier dans la période islamique, comme l'indique clairement, et presque être plus précis, ce qui rend les acteurs scientifiques Bloc-notes modernes attribuent une place importante dans leur écriture, et d'invoquer à travers ce opérations de trésorerie des expériences de la communauté musulmane en ce qui concerne la manière de collecter de l'argent, et de maintenir, et qui sont par la suite dehors, n'a pas non plus perdre de vue les problèmes rencontrés par les opérations de trésorerie dans le Maghreb islamique, ce qui porte à résoudre bon nombre des questions comme indiqué dans les Elouancharisi livre sur la question de l'argent, et leurs propres transactions

نص المقال

يعد الونشريسي من روّاد الكتابة في نهاية القرن التاسع الهجري، في مختلف أصناف العلوم التي سادت بلاد المغرب الإسلامي في عصره, حيث يعد كتاب المعيار، موسوعة حقيقية بما توفرت عليه بلاد المغرب من تراث فكري في مختلف العلوم و المعارف .

فالبرغم من أن الكتاب أو الموسوعة عبارة عن سلسلة فتاوى في قضايا مختلفة تتعلق بالمجتمع المغربي .إلا أن المعيار إنما هو عبارة عن كتب تحمل معلومات مضغوطة ومكثفة تجبر الباحث أن يتسلح بأدوات منهجية ووسائل علمية،واتجاه أكاديمي لفكّ شفراتها التي تتسلسل عبر أجزاء هذه الموسوعة والتي لابدّ أن نشير إلى أنّها كنز تراثي يستحقّ أهل المغرب الإسلامي من أدناه إلى أقصاه أن يعتزّوا بها، ويفتخرون بما أنجبت حضارة المغرب الإسلامي من فطاحل، أغنوا المكتبات العربية و الإسلامية و العالمية بعلومهم من أمثال الونشريسي([1]) لقد اخترت موضوع العملات المغربية من خلال المؤلف المذكور، لما بدا لي من أهمية [2]الموضوع

---

[1]– الونشريسي: هو العلامة الفقيه أبو العباس أحمد بن يحي محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني الأصل و المنشأ الفاسي الدار و الدفن، ولد حوالي 834 هجرية، بقرية من قرى ونشريس بناحية بجاية، من شيوخه ابن العباس التلمساني ومحمد بن العبس بن محدد بن عيسى العبادي أبو عبد الله (ت 871هجرية)، و أبو الفضل، قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني المغربي المالكي(ت 854 هجرية)... توفي في العشرين من صفر 914 هجرية، وقد ناف عن 80عاما بمدينة فاس ودفن فيها.استغرق في كتابة هذه الموسوعة أكثر من ربع قرن من نحو 890 هـ إلى 914 هـ.

أنظر: خير الدين الزركشي / الأعلام / دار العلم للملايين/بيروت/الجزء8/ص:124، و أبو القاسم سعد الله /تاريخ الجزائر الثقافي /1500–1830/دار الغرب الإسلامي/ الجزء الثاني/ ص80 ,و كذا أبي عبد الله محمدبن محمد بن احمد الملقب بابن مريم الشريف المديوني التلمساني/ البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان /مراجعة محمد إبن ابي شنب / المطبة الثعالبية 1908م à الجزائر/ص: 53.

1_ الونشريسي: هو العلامة الفقيه أبو العباس أحمد بن يحي محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني الأصل و المنشأ الفاسي الدار و الدفن، ولد حوالي 834 هجرية، بقرية من قرى ونشريس بناحية بجاية، من شيوخه ابن العباس التلمساني ومحمد بن العبس بن محدد بن عيسى العبادي أبو عبد الله (ت 871هجرية)، و أبو الفضل، قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني المغربي المالكي(ت 854 هجرية)...

من الناحية التاريخية, خاصة حينما أفرد له صاحب المعيار عددا لابأس به من الصفحات. وقد حاولت من خلال ذات الموضوع أن أعرج على نظرة الإسلام له (الموضوع)، ومن ثم الأموال من خلال الوقوف على العملات النقدية المغربية ،مع التركيز على اهتمام النوازل الفقهية المغربية بقضية هامة فيما يخص الحياة الاقتصادية،ألا وهي المعاملات المالية من خلال المعيار.

نظرة الإسلام للمال :

لقد رسم الإسلام منهجا واضحا لتنظيم الأمور المالية في المجتمع بتناول طبيعة المال و طرق اكتسابه و تنميته و كيفية التصرّف فيه ،ويقصد بالمال كل ما يملك الإنسان ويحوز بالفعل سواء كان منقولا أو عقارا وهو (أي المال) عند ابن خلدون " الحاصل أو المقتنى من الأموال بعد العمل و السعي ،إذا عادت على صاحبها بالمنفعة ،وحصلت له ثمراتها من الإنفاق في حاجته (1) ولذلك تقر الشريعة الإسلامية أن حياة الإنسان تتطلب سعيه للحصول على المال ،و لا ينكر حقه في ملكيته، لكي يستطيع أداء رسالته مصداقا لقول العزيز الحكيم "المال

توفي في العشرين من صفر 914 هجرية، وقد ناف عن 80عاما بمدينة فاس ودفن فيها.استغرق في كتابة هذه الموسوعة أكثر من ربع قرن من نحو 890 هـ إلى 914 هـ.

أنظر: خير الدين الزركشي / الأعلام / دار العلم للملايين/بيروت/الجزء8/ص:124، و أبو القاسم سعد الله /تاريخ الجزائر الثقافي /1500–1830/دار الغرب الإسلامي/ الجزء الثاني/ ص80 ,و كذا أبي عبد الله محمدبن محمد بن احمد الملقب بابن مريم الشريف المديوني التلمساني/ البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان /مراجعة محمد إبن ابي شنب / المطبة الثعالبية 1908م à الجزائر/ص: 53.

[1]– للنقود في نظر ابن خلدون خاصية ترتبت عليها وظيفتان : أمَّا الخاصية فهي الثبات النقدي.

وأمَّا الوظيفتان فهما : اتخاذ النقود أداة مبادلة ،وفي الوقت نفسه اتخاذها أداة ادخار.

وفي الإشارة إلى خاصية الثبات النقدي، يقول : « وإن اقتنى سواهما –أي الذهب والفضة– في بعض الأحيان ـــ فإنَّما هو لقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوالة الأسواق التي هما عنها بمعزل.انظر: تفاصيل أكثر من خلال نظرية الدولة عند ابن خلدون / عن مجلة المنار، الأعداد 75، 76، 77، 1424هـ,وكذلك موقع:
http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=144050

و البنون زينة الحياة الدنيا"(1)و هكذا جاء النظام المالي الإسلامي على أساس توازن النفقات العامة مع الإيرادات العامة أو ما يعرف حاليا بمبدأ توازن الميزانية (2)"

ويعتبر كتاب الخراج لأبي يوسف(3) أقدم الكتب المتخصصة في المالية العامة للعصر الإسلامي التي حفظها التاريخ.

بيت المال :

إن أوّل مؤسسة تنظيمية في الإسلام ذات طابع مالي أو اقتصادي هي بيت المال الذي أنشأه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلما تدفقت الأموال أيام عمر بن الخطاب بعد فتح العراق و الشام و كثر مستحقوها أمر عمر بن الخطاب بوضع بيت للمال، وعين عبد الله بن الأرقم أمينا له، كما عين إلى جانبه مساعدين وتبع ذلك فتح بيت مال في كل إقليم، وعين لها حرسا خاصا(4) .

وهكذا رسم الإسلام نظامه المالي مخالفا للأعراف المالية التي كانت سائدة في الممالك القديمة. حيث حدد معالم الإيرادات العامة و حدودها، و النفقات العامة وحدودها كذلك، وهو الموضوع الذي لم يغفله الونشريسي في كتابه المعيار حول المعاملات المالية التي كانت سائدة في بلاد المغرب

---

[1]– سورة الكهف / الآية 46.

[2]سليم أبو طالب سليم /أثر المتغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في الفكر الإسلامي / الإسكندرية : مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية, ص3

[3]– ولد القاضي أبو يوسف سنة 133÷–بالكوفة و هو عربي الأصل نشأ أبو يوسف فقيرا ،توفي أبوه وتركه صغير السن /عصمة فهمي/رأي القاضي أبو يوسف في الحياة الاقتصادية للدولة الإسلامية في عهد هارون الرشيد/المكتبة المكية/مكة/2002/ص32.

[4]–بشير رمضان التليسي,و جمال هاشم دويب /تاريخ الحضارة العربية الإسلامية/دار الإسلامي /بيروت /ط1/2008/ص18.

الإسلامي في العصور المختلفة لهذه البلاد. ومن اهم ما وقف على دراسته العملة النقدية، حيث يلاحظ من خلال فتاواه (الونشريسي)، أن أغلب معاملات أهل المغرب الإسلامي، إنما كانت تتم عن طريق المعاملات النقدية .بمعنى عن طريق الدينار والدرهم كما سيتضح فيما يلي.

الدينار (1):

يعد الدينار من بين العملات النقدية التي يطلق عليها لفظ السكة(2)، و الذي يعبر في عمومه على معادن مختلفة ،تتمثل فيما يسمى النقود الـــتي تعامل بها الناس سواء كانت ذهبية أو نحاسية أو فضية .وأوّل ما وقف عليه ابن خلدون :الدينار الذهبي التميمي وقد انتشرت هذه العملة في عهد الدولة الصنهاجية بإفريقية، ونسبت إلى الأمير تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي(3)حيث يؤكد صاحب المعيار أن هذا الدينار كان له بعد اقتصادي مهّم من خلال احتوائه على نسبة عالية من الذهب, الأمر الذي

---

[1] – الدينار لفظ مشتق من اللفظ اليوناني دينوريوس أوريس(وتعني الدينار الذهبي) و هو وحدة من وحدات السك الذهبية، وقد عرف العرب هده العملة الرومانية، وتعاملوا بها قبل وبعـــد الإســـلام/ موقـــع النـــت: **http://www.alargam.com/general/custom/customg.mtm** وقـــد ورد ذكـــر الدينار في القرآن في قوله تعالى "ومن أهل الكتاب من إن تـــأمنه بقنطار يؤديه إليك و منهم مـــن إن تـــــأمنه بدينار لا يؤده إليك ". سورة آل عمران ,اية 75 .وكذا مقال , لعامر الأحمدي بعنوان:"الـــدولار والـــدينار, الكلمة والتاريخ"/جريدة الرياض/موقع:

http://www.alriyadh.com/2009/03/23/article417856.html

[2]– "السكة هي الختم على الدنانير و الدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صـــور وكلمـــات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار و الدراهم...." مقدمة ابن خلدون تحقيق عبد السلام ألشدادي بيت الفنون و العلوم و الآداب – الدار البيضاء 2005، وقد وردت عند الماوردي :"الحديدة التي يطبع عليها الدراهم و لدلك سميت الدراهم المضروبة سكة..."، الماوردي / الأحكام السلطانية و الولايات الدينية /ت .أحمد المبـــارك البغدادي /ط1/1989/ الكويت ص 199.

[3]– تميم بن المعز باديس أمير دولة بني زيري الصنهاجية (454-501 هـــــ)/(1062 – 1107 م)/ ابـــن خلكان ,وفيات الأعيان/ج1/ص97.

أدّى حسبه، أن يفاوض الأمير الصنهاجي تميم بن المعز خصومه من أهل جنوه و بيزا, لما تعرض لهجوم منهم بأن يدفع لهم مقابل مصالحتهم مائة (100 ألف)ألف دينار ذهبي، وتشير المصادر إلى أن عملة الأمير تميم الصنهاجي كانت مشابهة لعملة أبيه, بمعنى أن العملية الاقتصادية كانت كما يبدو على مستوى واحد من الرفاه المالي ،إلا أن العملة الفاطمية (1) في إشارة لابن عذارى المراكشي (2)كانت قيمتها أكبر من عملة المعز وابنه تميم, حيث "كان الدينار الفاطمي يساوي أربعة دنانير و درهمين من الدينار الجديد الذي سكّه المعز بن باديس ثم ولده تميم، و كان يعادل خمس أو ثلاثين درهما" .

الدينار المرابطي :

امتازت هذه العملة بالجودة العالية، حيث نالت ثقة التجّار في مغرب ومشرق العالم الإسلامي، وقد ذكر الونشريسي، أن الدّينار المرابطي بلغ في بعض الأحيان عشرة دراهم فضية، و لذلك يطلق عليه أحيانا الدّينار العشري، وأحيانا أخرى يساوي ثمانية دراهم فقط (3) يقول أحد الباحثين: لقد شهدت فترة حكم المرابطين ازدهارا ملموسا في سلك النقود، وكان الدّافع إلى ذلك هو التنافس الكبير بين ملوك المسلمين، والملوك النصارى.لدرجة أن الملك ألفونس الثامن أمر بضرب العملة، وفي عصر الموحدين تميزت العملة بارتفاع قيمتها، وبصفة خاصة الدّينار المؤمني و الدرهم المؤمني، وأهم ما كان يميز الدينار الموحدي هو شكله المربّع الذي أمر بسكّه المهدي بن محمد بن تومرت، مؤسّس الدولة الموحدية، كما سكّ الخليفة يوسف بن عبد

---

[1]– ضرب الخلفاء الفاطميون الدنانير الذهبية بأسمائهم كما ابتدع الفاطميون نوعا من النقود التذكارية الذهبية الصغيرة الحجم الخفيفة الوزن تسمى خراريب، ومفردها خروبة ويقدر قيمة وزنها **0.194**جمكا،كما ضرب الفاطميون نوعا لآخر من النقود تسمى الغرة، وهي مجموعة من الدنانير و الرباعيات و الدراهم المدورة/موقع النت : **http://www.alargam.com/general/custum/custumg.htm**

[2] – ابن عذاري المراكشي /البيان المغرب/ الطبعة الأولى – **1985** /ج**1**/ص**278–279**.

[3]– الونشريسي /المعيار/ تحقيق: محمد حجي/ نشر: **1981** / ج**2**/ص**295**.

المؤمن، وأبنه يعقوب عملة ثقيلة، ضربت في إشبيلية و غرناطة و مالقة والمرّية .وقد تميّزت عملات بني نصر بالأسلوب المغربي الذي كان يضرب بعناية.

الدّينار الذهبي العثماني:

ينسب حسب الزركشي إلى " السلطان عثمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس الحفصي, الذي بويع له بتونس حاضرة الدولة الحفصية في سنة 839 هـ/1435م ،حيث تجاوز حكمه الخمسين سنة " (1) .

و يظهر فيما يبدو ، ومن خلال كلام الونشريسي (2)أن الأمن و الاستقرار كانت صفتان عهد عثمان بن أبي عبد الله ،و هو بطبيعة الحال ما يعكس الاستقرار الاقتصادي، حيث ينعكس على المجال النقدي.

الدّراهم:

وقف الونشريسي على ثلاثة أنواع من الدّراهم التي سادت بلاد المغرب الإسلامي، فألمح بالإشارة إلى ثلاثة أنواع من هذه الدّراهم (3) فيما يلي :

---

[1]– الزركشي /تاريخ الدولتين الموحية و الحفصية / طبعة المكتبة العتيقة تونس **1966**م تحقيق الدكتور محمد ماضور /ص**134–167**.

[2]– الونشريسي/المعيار/ج**5**/ص**179–274**.

[3]_إن الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق والأمصار، وسائر الأعمال قد تعرض الشرع لذكرهما وغلق كثير من الأحكام بها...فاعلم أن الإجماع من عقد منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة من قبل من الذهب، والأوقية منه أربعين درهما، وهو على هذا سبعة أعشار الدينار، ووزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير. فالدرهم الذي هو سبعة أعشاره خمسون حبة وخمس حبة. وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع/ موقع النت:
http://www.exhass.Ibn Khaldoun.com.Tm

الدّرهم التونسي (الدّرهم الجديد) :وهي عملة قام بسكها الحفصيّين الذين قاموا بسكّ أجزاء للدّينار و الدّرهم، قال الونشريسي :" أن الدّرهم الحفصي كان يساوي ثلاثة من الدّراهم الصغيرة المعروفة بالدّراهم الجدودية(1) " .

الدّراهم الطبرية: وتسمّى أيضا بالعتق أي العتيقة، وكان الدّرهم منها يزن دوانق، ويبدو أن هذه العملة هي أقل قيمة من سابقيها(2) نظرا لخفتها, حيث زينة الواحدة منها بحوالي 7,4 حبة من حبيبات الشعير المتوسطة , وهي طريقة كان يعتمد عليها في العصر الوسيط لوزن العملة(3) في بلاد المغرب الإسلامي.

حيث زين الدّرهم التونسي الجديد بـ 24 حبة شعير، وزين الدّينار الحفصي بـ80 حبة شعير ,ومن خلال هذا التفاوت الحسابي يظهر جليا المستوى الاقتصادي للبلاد في هذه الفترة.

ج- الدراهم السبعينية: والاسم يوضح معنى التسمية بالدّرهم السبعيني أي أنها سبعون درهما، لكن الونشريسي يشير إلى أن هذه العملة كانت مغشوشة لأنّها دراهم ناقصة في

---

[1]- أنظر الزركشي/ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص **38**. وكذلك المعيار/ ج**9**، ص **78**.

[2]- قال أحد الباحثين: " ومن بعد ذلك وقع اختيار أهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والافاق، ورجع الناس إلى تصور مقاديرهما الشرعية ذهنا... " أنظر موقع النت **http://www.exhass.Ibn Khaldoun.com.Tm**

[3]- والدينار كان وزنه يتراوح في الصدر الأول بين **4,729** غرامات و**4,25** ونقص وزنه أيام المرابطين فأصبح **3,960** غرام ثم ارتفع وزنه أيام الموحدين الذين حاولوا العودة إلى الوزن السلفي وبتقليد الأوائل حتى في العهد العمري وظل الدينار الموحدي مربعا طوال قرن كامل ثم تغير شكله إلى التدوير أيام المرينيين دون أن ينقص من وزنه وورد في البيان المعرب/ ج**3** ص**154** ط. الرباط **1960**/"أن المنصور الموحدي رأى "أن الدينار القديم يصغر عن مرأى ما ظهر في المملكة من المنازع العالية وأن جرمه يقل عما عارضه من المناظر الفخمة الجارية فعظم جرمه ورفع قدره بالتضعيف وسومه فجاء من النتائج الملوكية والاختراعات السرية جامعا بالفخامة والنماء والطيب وشرف الانتماء**"**.

الوزن(1) . وفي ذلك تنبيه إلى أنّ الفترة قد شهدت اضطراب اقتصادي أدّى في مجمله إلى غشّ غشّ العملة التي تداولها الناس بل ظهر التّسامح بالتعامل بها .

حكى الواقدي : " أن ابان بن عثمان كان على المدينة, فعاقب من قطع الدّراهم، وضربه ثلاثين سوطا وطاف به، وهذا عندنا (قول الواقدي) فيمن قطعها ودسّ فيها المغرفة والزيوف . "

" واصطلح الناس عليها حتى منع الرد فيها لكثرة الغش وتفاوته في أعيان الدّراهم, فكلم في ذلك الفقيه ابن عرفة " في أن يتسبب في قطعها ، فكلم في ذلك السلطان (770هـ) فلم يقطعها , فبعث إليه الشيخ الفقيه أبو القاسم الغبريني، وكان معين للفتوى حينئذ , وذكر له. . .أن العامّة إذا اصطلحت على سكة, وإن كانت مغشوشة فلا تنقطع لأنّ ذلك يؤدّي إلى إتلاف رؤوس أموالهم, فتوقّف الأمر نحو الشيء ثم جاءت دراهم كثيرة من بلاد هوّارة نحاسا فأمر بقطعها حينئذ ، ونادى منادي من قبله بهذا , ورجع المفتي إلى فتوى الإمام ابن عرفة(2)" , من جهته يشير الونشريسي إلى أن: " الدنانير الذهبية كانت تخرج وافية الوزن جيّدة الصنع، ثم كثر الخرب من المذيقة فيها ، وحمل عليها (هي أيضا) الغش, فأمر السلطان احمد بن محمد الحفصي بقطعها(3) . "

هو الأمر الذي حرّك همم الجهات الحاكمة من التصدّي لهذه الظّاهرة الاجتماعية والاقتصادية. بأن استحدثوا مهام يقوم عليها أشخاص مخوّلين من هذه السلطة في مقابل هذه الظاهرة, فكانت تمثل إدارة مالية بمعنى ما للكلمة من فهم, حيث يعبّر يحي بن عمر صاحب

---

[1]_المعيار ,مصدر سابق / ج**2**/ ص **414**./ ج**6**/ ص **75**/ ج**9**/ ص **80**.
[2]– المعيار نفسه/ج **5** –ص **80**/ وج**6**–ص **175**.
[3]_ المعيار / ج**2**/ ص **414**./ ج**6**/ ص **75**/ ج**9**/ ص **80**.

السوق عن ذلك بقوله: " ولا يغفل- أي الوالي أو المحتسب- إن ظهر في سوقهم دراهم مبهرجة، ومخلوطة بالنحاس بأن يشتد فيها ويبحث عمن أحدثها، فإذا ظفر به أناله من شدة العقاب. . .(1)"

وقد وقف الونشريسي على مسألة من أهم المسائل فيما يخص صناعة النقود , حيث يشير(2)في الجزء الخامس منه إلى أن المعادن التي كانت تدفع للسكّاك، إنّما كانت تتم بحضور شاهدين يكتبان في وثيقة أسماءهما، و إسم القابض والدّافع وكميّة المعدن والأجرة المتّفق عليها ونوع وكميّة المصنوع من دنانير ودراهم وقراريط.

ولذلك نجد الدولة الزيانية في مرحلة إعلان استقلالها عن الدولة الموحدية (646هـ/ 1248 م)، حينما أرادت أن تسك عملة خاصة بها، تؤكد هذه الاستقلالية, فقد أذن أميرها بسكّ هذه النقود تحت إشراف أسرة بني ملاّل(3) على أن يتمّ سكّ الدّينار الذهبي والدّرهم الفضّي " بمراقبة ناظر ورقيب، يتمثّل دوره في إخضاع المصنوع الثّمين للوزن والقياس للتأكّد من موافقتها الشروط المحددة التي وضعها الأمير لعملته(4)." وهكذا يوقفنا

---

[1]_ ابي زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكناني الأندلسي(**213-289**)/أحكام السوق أو النظر و الأحكام في جميع أحوال السوق /تقديم أبو سلمان محمد العمراوي السجلماسي /الطبعة التونسية /ص **33** , **34**

[2]_ أحكام السوق /ص **33-34**

[3]_الونشريسي/ المعيار/ ج**5**/ ص **202**.

2 _أسرة أندلسية نزلت إلى تلمسان وكانت تحترف ضرب النقود. ما جعل أمير الدولة الزيانية يعتمد عليها في مواصلة المهمة بالمغرب, أشار إليها ابن خلدون في المقدمة بقوله: " إن هؤلاء استخدمهم أبي حمو الأول لحجابته سائر أيامه...وهم أهل بيت قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدراهم."ابن خلدون/ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ,تاريخ ابن خلدون/,ط بيت الأفكارت: أبو صهيب الكرمي./ج **7**/ص **124-125**.

الونشريسي على قضية اقتصادية من أهمّ القضايا التي تعتبر من الرّوافد التاريخية ,أو المصادر التي توقف الباحث في تاريخ المغرب الإسلامي على قضايا مختلفة تجعلنا ندين بالولاء لكبار علماء هذه البلاد ممن أمدّوا مكتبة المغرب الإسلامي في هذه الفترة، نظرا للجهد والمنهج الذي سلكوه في ربط حاضر هذه الأمة بماضيها . لتعاين التجارب وتبحث القضايا و توُضح الحقائق التاريخية من النواحي المختلفة السياسية الاجتماعية الفكرية والاقتصادية بالاعتماد والبحث في مثل هذه المصادر .

مصادر الاستراتجية الاستعمارية تجاه توارق آزجـــر و أهقار الأب فوكو منظرا

الأستاذ: مرموري حسن جامعة الجزائر

Résumé :

Au débit du siècle, la défaite militaire des touaregs, en Ajjers et Ahaggar, contre l'armée coloniale va avoir de nombreuses répercutions sur le plan de la stratégie guerrière, de l'organisation politique et sociale, du système de valeurs, du code de l'honneur de cette société « *Assabienne* » et enfin sur le découpage territoriale des espaces géopolitiques traditionnels.

La perception du monde touareg comme un agrégat de tribus querelleuses en dissensions internes constantes domine les écrits de la période coloniale et prévaut également dans la plupart des études historiques ou ethnologique poste-coloniale.

De ce fait, cet article s'intéresse à la recomposition des rôles sociopolitiques et à la mis en eouvre du processus de division des pôles politiques de l'Ajjer et Ahaggar au débit du siècle selon la vision du politique coloniale dont le père *De Foucauld* fut l'expert.

نص المقال:

مقدمة

إن فهم قرارات و تصرفات الفاعلين الاستعماريين لا يمكن ان يكون الا بالرجوع الى نظرتهم للتنظيم السياسي "للعصبية" و مصادر استراتيجيتهم. من خلال الرجوع الى ما نفذته السلطات الاستعمارية تجاه التوارق من قرارات ومواقف ميدانيا والبحث في ارشيف ودراسات الفاعلين في السياسة الاستعمارية تجاه التوارق كـ الاب فوكو وبعض الدارسين الذين يعتقدون أنهم مختصين في دراسات المجتمع التارقي، ماذا يميز تلك النظرة الاستعمارية؟ وكيف اهتدت الى فكرة التقطيع و التجزئة و اختراع النماذج السلطوية و الغاء الموجودة؟ وماذا يمكن استنتاجه كانعكاسات على تطور العصبية و مؤسساتها ضمن الوضع الاستعماري "الجديد"؟

على ضوء ما سبق، نحاول في هذا المقال اختبار المبادئ النظرية حسب المفهوم الأوروبي للسياسة و تحليل منحى الأفكار التي تخصها و كيف تعاملت و صاغت في كل مرحلة سياسة خاصة تجاه العصبية، مستمدة و مستوحاة من بعض منظري السياسة الاستعمارية بالصحراء.

التنظيم السياسي للعصبية كما يراه الأوروبيون:

إن تطور الأحداث منذ الغزو الاستعماري لـ آزجر و أهقار إلى غاية الاستقلال وما صاحب ذلك من تغيرات على مختلف المستويات، يمكن أن يقسم إلى أربعة مراحل: الغزو، التمرد، الخضوع، الثورة. و كانت هذه الفترات محل تقييم بعض الباحثين خاصة في المرحلتين الأوليتين، لكن دائما بأفكار مسبقة و أحكام قيمية.

إن تصور العالم التارقي بصفة عامة كمجموعة قبائل متصارعة متفككة قد طغى على كتابات الفترة الاستعمارية و ظهر أيضا في اغلب الدراسات الانتوغرافية و التاريخية الحديثة بعد الاستعمار.

هكذا يقدر F.figlestad بان " **التوارق نهاب بالفطرة و مستعدون للعودة إلى عاداتهم [...] بمجرد وجود الفرصة"**. بينما يبين فيما يتعلق بتمردات 1916–1917 **"الغياب الكلي للتنسيق و التوافق في ظل عدم وجود زعماء حقيقيين من بين المتمردين"**[1].

و هو الطرح الذي يردده الأفارقة[2] المتخرجين من المدارس الفرنسية دون عناء أمثال " **اندري ساليفو André salifou** " الذي يقول انه عند ظهور الأطماع الأوروبية في القرن العشرين " **لم تكن الوحدة السياسية لـ: آير موجودة، لقد هربت القبائل الأكثر قوة و ارتدت كل واحدة إلى أراضيها الخاصة"**[3] بينما يرى أصحاب الأطروحات الايدولوجية أمثال" **بورجو André bourgeot** " الذي يشرح فيما يخص موضوع مقاومة فهرون و كاوسن بأنهم " **خلقوا ظروف تحريض شاملة، أكيد غير منظمة و دون تنسيق و الذي –رغم ذلك– اشعل في ذلك الحين مجموع بلدان التوارق و هو حدث لا سابق له في تاريخ هذا الشعب"** [4]

---

1 -Hélène Claudot HAWAD, "Eperonner Le Monde" un nomadisme, cosmos et politique chez le touarègues, edisud, Aix-en-Provence, 2001, P07

2 - يستعمل معظم الباحثين الافارقة في وصف اعمال المقاومة و الدفاع من طرف من يفترض ان يكون مواطنيهم اليوم، مصطلحات عصابة، نهاب، لصوص ومجرمين...

3 - Salifou André, kaoussan ou la révolte sénoussiste, CNRSH, Niamey, 1973, P24

4- Bourgeot André , « Les échanges transsahariens, la senusiya et les révoltes twareg 1916-1917 », In cahier d'études d'africaines (69-70), Paris 1979,159-185

و أخيرا بالنسبة لـ "كيل" أو أهل آزجر يعتبر قاست Marceau Gast أنه " **ليس لمختلف المعارضين للهيمنة الفرنسية أي تفكير سياسي واضح و منسق** " [1].

إلى هذه التحاليل التي تؤيد فكرة كانت موجودة قديما حول الفوضى البربرية تضاف الكثير من الروايات التاريخية حول التوارق خلال الأحداث المتراكمة التي وصفها العديد من الملاحظين الأجانب.

إن عدم الفهم هذا، ناتج أساسا من استعمال وسائل بحث نظرية و ميدانية غير لائقة من جهة و عدم الأخذ بعين الاعتبار بصفة جدية الرؤية المحلية للتنظيمات التقليدية (العصبية) و تطورها مع الأحداث.

إن كل السياسة الاستعمارية الخاصة بالمجتمع التارقي مبنية على أساس أفكار و آراء إما المغامرين الأوائل(بارث، ديفيرييه، فورو...) و إما الضباط و الجنود الطلائع (لابرين، باسي، دينو، قارديل...) و منها أنتجت مصطلحات و تصورات مستمرة إلى اليوم، تحددها في الغالب العلاقة مع المستعمر؛ كتوارق حقيقيون، متحضرون وأصدقاء لأنهم خاضعون، مقابل توارق متعصبين و متخلفين أعداء القضية الفرنسية، لأنهم رافضون للخضوع و التعامل مع المستعمر، والتهمة الجاهزة أنهم مستعملين من أطراف خارجية مثلما صنف كل من أمود و انقدازن أو أتسي أق أملال.

و كان أسوء تصنيف أنتجته الأنا الأوروبية هو العرقنة و نموذج صراع الطبقات المستورد والذي تم اسقاطه مباشرة من الوضع السوسيو-اقتصادي السائد بأروبا في عهد الاقطاع[2]

1 - Marceau Gast, «Ajjer », in Encyclopédie berbèrer, edisud,Aix-en Provence,1986,P393

2 – أنظر: مرموري حسن، التوارق بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010،ص ص147-208

ان أهم الانعكاسات الميدانية لتلك الرؤى كانت على التنظيم السياسي المحلي وفضائه السيادي، فيما يمكن اختصاره بالعرقنة والتقطيع.

العرقنة و تقسيم السلطة

تسمح دراسة الأرشيف الاستعماري الفرنسي معرفة كيف أن التوارق و بصفة رسمية تم تصنيفهم ك: عرق، اندجان، إقطاع، نهاب و عصابات... و تم التعامل معهم طيلة فترة الاستعمار على هذا الأساس.

إن أول مخبر لوضع نظام وسياسة استعمارية لكل الفضاء التارقي تقريبا كان كونفدرالية أهقار(بعد هزيمة تيت 1902). الخبير و المنظر كان الراهب فوكو.

إن التصور الذي طوره هذا الأخير يرتكز على تصنيفات طبقية مبنية على أساس الأحسن و الاسوء، المسالم و الشرير... لقد بدأ بالعصبية الحاكمة أو بمن سماهم " **نبلاء اهقار الجامدين**"، ثم بالعصبيات الموالية أو "**التوابع**" حسب مفهومه، والذين يرى أنهم جيدون يمكن تحضيرهم" civilisable" كما يمكن تربيتهم" éducable " بمعنى أن لهم القابلية للتطور على النحو المراد و الاستجابة لواجب الاستعمار و يتبين ذلك جليا في وصفة لتمردات 1916 في رسالة إلى الرائد Duclos يستعمل فيها ألفاظ "**تطويع الحيوانات**"، فيقول:" **إن هذه الأعمال العصيانية، آتية من الذين لم يهتم بهم اي ضابط بعد رحيل لابرين. فبعد أن قضوا مدة دون الإحساس بالموت، هاهم يعودون إلى حالتهم الوحشية الحيوانية. النبلاء هم الجزء الشرير السيئ العاصي و الكسول. لا يفكرون إلا في السرقة و السيطرة على حسابنا**

على السكان و استغلالهم. إمغاد[الموالين] الذين لا يغادرون أبدا اهقار يحققون تقدما جيدا نتيجة تواصلهم المباشر معنا "[1]

متوحشون، استغلاليون أشرار، كسلاء. . .هي أهم ميزات "**النبلاء**" في هذه الرؤية التي تتسم بالغياب الكلي لكل قيمة أخلاقية أو اجتماعية. أخيرا ما يعيبه عنهم "**الراهب العسكري فوكو**" هو اختيارهم للاستقلال بدل الاستعمار !

من جهة أخرى تشكل المعزولات الاثنية، العشائرية، الثقافية الدينية و الجهوية إحدى أهم موضوعات العمل الاستعماري.

حيث يعتبر التوارق على أنهم قبائل معزولة دون اتصال و لا علاقة فيما بينها مع عدم القدرة على التنسيق و التسيير الجماعي مما أنتج "تحليلات" متكررة ومملة للمقاربة الاتنولوجية و التاريخية للتوارق[2] .

إن القلق الذي كان ينتاب العسكريين الفرنسيين في بداية القرن العشرين كان يتمثل في "**خطر**" عدوى اهقار من طرف التوارق الآخرين في الجنوب و الشمال الشرقي و الذين لم يتم السيطرة عليهم بعد . لقد كانوا يخشون تقاربهم مع "**أعداء فرنسا**"، السنوسية و الأتراك و الألمان.

لذلك أصبح كسر الشبكة و تعطيل الحركة و عزل كل "**كيان**" على حدى أهدافا استراتيجية ذات أولية.

لقد وضعت الإدارة الفرنسية مخططا لتقسيم الأقطاب السياسية (الكونفدراليات) بالطريقة التي منحت من طرف فوكو.

---

1 - Lettre du(16-04-1916),in Goré G, sur les traces de Charles de Foucauld, nouvelliste, Lyon, 1936
2 -A.bourgeot,(1979) ,et A. salifou,(1973)

إن التوصيات التي وجهها هذا الأخير إلى الرائد ديكلو Duclos في رسائل مفصلة تتضمن تجزئة واضحة لمجموع كيل أهقار بتقسيمهم إلى قبائل مستقلة الواحدة عن الأخرى و التي تجزأ بدورها إلى عشائر منفصلة بنفس الطريقة.

وفي هذا ينصح بالنسبة لقبيلة " **تايتوق**" الذين يشكلون جزءا من كيل اهقار بما يلي: " **لابد من الاهتمام جديا بـ تايتوق و عشائرهم، كيل اهفت، تجهى-ن- افيس، ارشومن. لا يمكن تركهم أحرارا، لقد استثنى النقيب دينو Dineaux و بحكمة زعيمهم الوحيد مفصلا الكل و لكل قبائل تايتوق [...] حيث تتبع كل واحدة منها مباشرة الضابط، قائد مجموعة أهقار**"[1]

إن هذه الطريقة المتمثلة في وضع كل القبائل تحت التبعية المباشرة للضابط قد وسعت إلى آزجر ثم إلى الأقطاب السياسية الجنوبية المنهزمة.

إن القلبية و العشيرة أو الصنف الإجتماعي قد تم تصورها على النموذج العرقي و الاثني ككيانات مغلقة أو على شكل معزولات تجريبية. وعلى اثرها تم إرساء السياسة الاستعمارية لتسيير المستعمرين بصفة عرقية مفيدة للمستِعمر و مكلفة جدا بالنسبة للمستعمَر.

في إعادة تفسيره للقواعد الخاصة بالانتماء القبلي يرى **فوكو** أن الإجراءات المتخذة " **تتناسب مع التقليد**"[2] إلا أن اعتقاده هذا يطرح إشكالا في القراءة التي يستعملها لوصف و فهم تنظيم هذا المجتمع و المنتقاة من سلسلة الصفات الخاصة كما يميزها: الأصل، التفرع، الصنف الاجتماعي...

1 - Gorré,op-cit,1936, PP 176-177

2 - Ibid, P177

وفي الأخير أدى تعديله للتقليد أو العادة، من خلال تفكير اوحادي يرسم فضاء مجزئا حسب أصناف اجتماعية غير قابلة للمزج، إلى إنشاء كيانات من نوع اوحادي وحيد و معزول.

النتيجة شبيهة بإسقاط نموذج "العرقنة" الذي يكامل صورة المنطق المتناوب الذي تم وضعه في التصورات السياسية و طريقة تنظيمها و تسييرها ثم استراتيجيتها و مؤسساتها ثم إعادة تشكيلها في الأخير.

تقطيع الفضاء السيادي:

في سنة 1901 عين الرائد لابرين على رأس قيادة إقليم الواحات ملحق تديكلت الذي لا يتضمن حينها سوى منطقة عين صالح ورقان إلى غاية الفترة الممتدة بين 1902-1906 أين يضيف لابرين اهقار إلى الملحق و في هذا الوقت مازال آزجر لم يحتل، وكانت الحملات العسكرية و الإدارية مستمرة لإخضاع سكانه و تدجينهم[1]

و رغم ذلك لم يستثني من استراتيجية الاب فوكو في تصوره للتقسيم و التقطيع الاستعماري للإقليم، إذ يعتبر أن:"**امتداد ملحق تديكلت يساوي مرتين و نصف مساحة فرنسا [...] يبدو من غير الجدوى تعليل استحالة التسيير الحسن لمثل هذا الإقليم من طرف رئيس ملحق واحد . فمن المستحسن، وبدون إطالة، تعديل إقليم تديكلت؛ فبدل ملحق واحد نخلق ثلاثة : تديكلت، اهقار، آزجر** "[2]

وقد حدد الراهب في تفاصيل دقيقة حدود كل إقليم ومقره و تشكلة إدارته، عدد الضباط و المترجمين و مهامهم ومسارهم المهني و حتى عطلهم.

---

1 - André Bourgeot, "Sahara espace géostratégique et en jeux politique", Auterpart, Paris,2000, P24
2 -- in Gorré, 1936, PP115 -116

المواصفات مبنية على تصور عسكري لتنظيم الصحراء بصفة مماثلة لقلاع محاصرة والتي لابد من ضمان دفاعها عن طريق تقسيم تربيعي لإقليم مراقب بواسطة مجموعات متحركة.

يتعلق الأمر بمخطط مهيكل و متين ناتج عن أفكار عسكرية مستمدة من تصور استعماري لتنظيم الإقليم و من حدس سياسي و استراتيجي ملفت للانتباه.

بعد إمضاء الاتفاقية الفرنسية –التركية حول مرافقة القوافل بآزجر و إمضاء اتفاقية نيامي لتسطير الحدود بين الجزائر و افريقيا الغربية الفرنسية (AOF) في 20 جوان 1909، ومن جراء الوضعية الناتجة عن ميلاد مصلحة إدارة الأقاليم الجنوبية، يكتب فوكو رسالة إلى الرائد Depommierحول موضوع تنظيم الفرق الصحراوية: " **هذه التغيرات تبدو ضرورية بعد احتلال جانت [...] يمكن جمع هذه الأخيرة مع بولينياك وتماسنين كمكتب وحده، بينما يحتفظ عين صالح بتديكلت،في حين يبقى في الجنوب اهقار وتوات. أما في الحدود الايطالية فإنه من الضروري وضع رئيس مكتب بجانت مقابل غات** "[1]. و كالعادة يسهب في تفاصيل دقيقة للغاية. في الأخير تم الاعتراف الرسمي بهذا المخطط بعد صدور المرسوم المؤرخ في 11 جوان 1924 الذي يقسم تديكلت إلى ثلاثة ملحقات: تديلكت، اهقار، آزجر تماما مثلما صوره الأب فوكو.

بالنسبة لهذا الأخير فإن مخططة لتنظيم الصحراء يندرج في استراتيجية الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، و التي هي بمثابة تقسيم للصحراء الوسطى على أساس يتناسب نوعا ما مع الأقطاب القديمة (**الطبل**) أي اهقار و آزجر.

---

1 - lettre du 16-12-1916, in Gorré,op-cit,

و كما يبدو فإن "**مخطط فوكو**" أنجز في محتوى إقليمي ودولي خاص كان أهم ما ميزه إعلان الحرب الإيطالية التركية بطرابلس الغرب و احتلال التبستي و بركو بتشاد عن طريق الأتراك الذين يحاولون بالتحالف مع السنوسيون الحفاظ على مواضعهم بإفريقيا كآخر جهد .

و جاء المخطط أيضا في وقت يشهد إعادة تنظيم داخلي عام للفضاءات الاستعمارية (اتفاقية نيامي و ميلاد إدارة الأقاليم الجنوبية) .

و أخيرا كانت الوضعية آنذاك تشهد اضطرابات حربية على مستوى حدود الامبريالية الاستعمارية الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى.

لذلك فإن العودة إلى هذه الظروف ستسمح بفهم و توضيح الأسباب التي أدت بـ: فوكو إلى إنجاز هذا المخطط و الذي يرجع إلى رؤى و أهداف جيوستراتجية مسبوقة بتحاليل و دراسات جيوسياسية للمجتمع لا تبحث سوى عن الحفاظ على مصالح الامبريالية الاستعمارية.

فضلا عن ذلك فإن الإيديولوجية "الفوكولدية" المعبر عنها عن طريق كتاباته ومراسالاته هي قومية، وطنية، مسيحية استعمارية ولا حساب فيها " **للإندجان**" و لا استثناء للتوارق.

بعض الخصائص الحضارية لمدينة صحراوية في وسط بدوي: ولاتة نموذجا

أمهادي ولد جقدان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

جامعة نواكشوط موريتانيا

تمهيد:

عرفت مدنية ولاتة بوصفها ملتقى للطرق التجارية حيث كانت تمر بها القوافل المتجهة إلى بلاد السودان، حيث اكتسبت أهمية اقتصادية من حيث أنها أول مركز لاستراحة القوافل القادمة من شمال إفريقيا باتجاه بلاد السودان.

استفادت ولاتة من كونها ممرا للقوافل حيث اشتهرت بالرخاء الاقتصادي وذلك بفضل موقعها مما انعكس إيجابا على النشاط العلمي بما عرفته من استقرار للعلماء الذين وفدوا إليها من كل الجهات.

نتناول من خلال هذه الدراسة إشكالية مدينة صحراوية في وسط بدوي مع التركيز على دور الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين والدينيين في هذا الوسط الصحراوي، حيث كانت المدينة عبارة عن كائن غريب عليها أن تقاوم وتثبت وجودها ، ليس فقط في مواجهة الظروف الطبيعية الغير ملائمة، ولكن كذلك في مواجهة محيط اجتماعي طالما نظرت مكوناته إليها بدونية وتعال واعتبرتها غنيمة سهلة المنال.

لقد انطلقنا من نموذج مدينة ولاتة الواقعة إلى الشمال من مدينة النعمة عاصمة الحوض الشرقي من أجل اختبار مقاربتنا المنهجية.

نشأت هذه المدينة في مجتمع بدوي ذي بنيات اجتماعية وتنظيم سياسي يتجاوز صراعاته القبلية الانقسامية في سبيل تأسيس سلطة سياسية مركزية تضمن حدا من الأمن والاستقرار والخروج النسبي عن التسيب السياسي، وإذا كان في مناطق موريتانيا قد ظهرت نظم سياسية استطاعت تشييد سلطة مركزية في إطار ما يسمى بالإمارة فإنه لم يقم في الحوض نظام سياسي مماثل بل كانت البنيات السياسية خاضعة ومحددة أساسا بمنطق القرابة والعلاقات القبلية.

1- أولية تأسيس المدينة:

تعتقد بعض الروايات التقليدية أن مدينة ولاتة تأسست في القرن الهجري الأول على يد القائد الإسلامي عقبة بن نافع، حيث يشير بول مارتي أنه ترك (أحد أبنائه وهو العاقب في بيرو[1] وهي مدينة قديمة قامت ولاتة على أطلالها... وقد تابع الرجل فتوحاته في إقليم الساحل السوداني وأخضع التكرور، ثم انطلق نحو الشمال تاركا ابنه العاقب زعيما للبلاد ونائبا، وقد شيد العاقب مسجدا في بيرو -ولاتة- ودفن فيه ولا يزال ضريحه ماثلا إلى الآن)[2]. فيما يرى المؤرخ المختار ابن حامد أن المدينة تأسست من طرف زنوج سونونكيين نزحوا إليها من غانه[3]. وقد تصدعت أركان مملكة غانا حينها تحت ضغط أمراء صوصو في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وهاجر علماؤها إلى ولاتة في إطار هجرة مشهورة[4].

1- تحدث عنها بعض المؤرخين بهذا الإسم بيرو، عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، ترجمة وتحقيق هوداس وبنوه، باريس 1981، ص21/ الشيخ سيدي محمد الكنتي: الطرائف والتلائد (مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص27.

2- بول مارتي: كنتة الشرقيون تعريب محمد محمود بن ودادي، د.ت، مطبعة زيد بن ثابت، ص15.

3 - المختار بن حامد: موسوعة حياة موريتانيا، التاريخ الساسي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص140.

4 - المختار بن أباه: الشعر والشعراء في موريتانيا، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987، ص20.

وتكاد الرواية الشفوية المحلية تثبت أن المدينة أسست قبل قدوم قبيلة المحاجيب، ذلك أن جدهم الأعلى يحي الكامل وصل ولاتة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[1].

2- الأوضاع السياسية للمدينة:

تقع مدينة ولاتة في منطقة الحوض الشرقي بموريتانيا، وكانت تتبع لسلطان إمبراطورية مالي، وقد ذكر ابن بطوطة الذي زار المدينة في القرن الرابع عشر الميلادي أنها أول عمالة السودان، ونائب السلطان -والمعني هنا سلطان مالي- يسمى فربا حسين، وفربا معناه في لغة السونغاي النائب[2].

وتتحدث المصادر عن أن ملك السونغاي سني علي قام بشن حملة على هذه المدينة وفر على إثرها أميرها لكن سني علي (آمنه . . . مقابل دفع إتاوة)[3]، وستظل ولاتة تابعة لدولة السونغاي إلى أن يحطم جيش الدولة السعدية آخر بقايا هذه السلطة[4]. بعد هذه ستدخل منطقة الحوض بصفة عامة وولاتة كمدينة ضمن هذا الفضاء فترة من السيبة نظرا لفقدان سلطة مركزية تضع حدا للصراعات بين المجموعات الحسانية، والتي وفدت إلى المنطقة ضمن الهجرات البشرية التي شهدتها البلاد بصفة عامة حيث أخذت شكل موجات متتالية من الغرب نحو الشرق، وهكذا وقعت ولاتة تحت نفوذ عدة قبائل حسانية هي على التوالي وحسب التسلسل الزمني:

---

1 – سيدات بن بابي: ولاتة من الماضي إلى الحاضر، ط1، 2005، ص113.

2 – ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتب العلمية، د.ت، بيروت، ص687.

3 – مارمول إفريقيا (ترجمة مجموعة من الباحثين)، 1988، الرباط، ج3، ص198.

4 – محمد الأغظف بن الداه: الأوضاع البشرية في الحوض من سنة 1691 إلى سنة 1712، المدرسة العليا للتعليم 83–84، ص77.

- أولاد يونس بن اعروك[1] .

- أولاد زيد .

- أولاد بوفايده.

- أولاد عقبة .

- أولاد امبارك.

- مشظوف (وهم من صنهاجة وستمتد فترة حكمهم حتى مجيئ الفرنسيين) .

ويمكن إرجاع تلك الوضعية السياسية المضطربة والتي عرفتها المنطقة دون غيرها إلى كون السلطة السياسية (النظام الأميري) الحسانية لم تملك من المقومات الإقتصادية ما يخولها البقاء والإستمرار[2]، لذلك كانت مواردها عبارة عن أتاوات تفرضها تلك السلط على المجموعات المنتجة في هذه المنطقة.

ويمكن إرجاع الوضعية السياسية المضطربة التي عرفتها المنطقة بشكل عام مع غيرها إلى كون السلطة السياسية الحسانية (النظام الأميري) لم تملك من المقومات الاقتصادية ما يخولها البقاء والاستمرار، لذلك كانت مواردها عبارة عن إتاوات تفرضها على المجموعات المحلية المنتجة في هذه المنطقة[3].

1 – بكاف معقودة .

2 – محمد الأقظف بن الداه: المرجع السابق، ص:79.

3 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعلى ضوء ذلك عاشت المدينة بعض الاضطرابات نظرا لتصاعد الفوضى السياسية وتعاقب سلط الإمارات فيها، وحروبها فيما بينها بالإضافة إلى جماعة المحاربين الذين اتخذوا الغزو والنهب وسيلة للعيش فيها خاصة في عهد أولاد أمبارك. وترتب على هذا الوضع حالة من عدم الاستقرار، ولم يكن للمجتمع الولاتي من وسائل الدفاع حينها سوى ما توفره طبيعة المدينة من أسوار ومخابئ لا يعرف الغزاة البدويون لاقتحامها أي سبيل، وهذا ما جعل بعض الغزاة يلجأ إلى فرض حصار على مصادر المياه حتى تؤدى لهم مبالغ من المال ترضي جشعهم[1]، الأمر الذي دفع انبوي بن باب أحمد المحجوبي الولاتي إلى حد حفر بئر وسط الديار لسد عطش أهالي المدينة وذلك بواسطة عمال أهداهم إياه الحاج عمر الفوتي[2].

وقد تعرضت المدينة كذلك لهجوم عصابات من اركيبات الشمالية التي تحبذ الهجوم على حين غفلة كلما كانت الفرصة مواتية لنهب الممتلكات، وقد ضاق بهم الأهالي ذرعا حتى ظهرت إمارة آل امحيميد المشظوفية سنة 1283هـ، وعند ذاك ساد الأمن والاستقرار لأن آل امحيميد كانوا معروفين بحرصهم على إشاعة الأمن والعدل في أول عهدهم. وأعطت هذه الإمارة عناية خاصة لمدينة ولاتة وخصصت لها حامية عسكرية وأسست بها قلعة حصينة للسهر على حمايتها[3]، كما قرب القائمون على الإمارة علماء المدينة وذلك بتعيينهم بتعيينهم الفقيه محمد يحيى الولاتي قاضيا للقضاة سنة 1284هـ/ 1867م.

---

[1] – سيداتي بن بابي: المرجع السابق، ص 65.

[2] – محمد الأمين ولد أن: نظرة تاريخية على مجموع النوازل لأنبوي ولد باب احمد المحجوبي الولاتي، رسالة متريز، قسم التاريخ، جامعة نواكشوط، السنة الجامعية 1998–1999، ص14.

[3] – سيداتي بن بابي: المرجع السابق، ص 66.

3- الأوضاع الإقتصادية:

مكن موقع ولاتة الجغرافي بين شمال إفريقيا وبلاد السودان من الاستفادة بشكل كبير من التجارة التي ربطت بين المنطقتين خلال القرون الماضية، وترتبط ولاتة بخطين للقوافل التجارية هما:

- خط مراكش – خط الجل – شنقيط – تيشيت – ولاتة.

- خط سجلماسة – تغازة – تاودني – ولاتة.

وينبهنا الرحالة ابن بطوطة خلال زيارته لولاتة سنة 1352م إلى اتساع المدينة ونشاطها التجاري ومكانة السلطة بها، كما نستشف من وصفه لها ازدهار البريد إلى جانب الإيجار وقطاع الخدمات كالترجمة والحراسة[1].

وبعد غزو تنبكتو من طرف الصوصو في القرن الثامن عشر الميلادي بدأت هجرة أخرى لسكان هذه النواحي السكان باتجاه ولاتة مما أعطاها مركزا دينيا وتجاريا ونقطة مهمة بالنسبة للطرق التجارية الصحراوية الغربية.

وقد ارتبطت ولاتة بعلاقات تجارية مع فضائها كمدينة تنبكتو وكاله وانيور في مالي الحالية، وتيشيت إلى الشمال منها على بعد عشرة أيام للقافلة من ولاتة، وهذا ما جعل التجارة تزدهر فيها ازدهارا لم يعرف له مثيل في المنطقة.

كما ازدهرت فيها الصناعات اليدوية المختلفة إلى جانب الزراعة بمختلف أنواعها وخاصة زراعة البطيخ في موسم الأمطار، كما اشتهرت المدينة بزراعة مادة التبغ ذات

---

1 – ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص 687.

المردودية الكبيرة في إطار التجارة الصحراوية. وكان للمدينة منجمان للملح هما: تكورارت وتنيولك ولعب هذان المنجمان قديما وحتى الآن دورا هاما في اقتصاد المنطقة برواج موادهما.

وكانت تنطلق من المدينة رحلتان سنويتان إلى كل من مالي حاليا والسينغال والمغرب، وقد بقي هذا التواصل قائما حتى دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة[1].

4- النشاط العلمي:

لقد عرفت ولاتة عبر التاريخ بمدينة العلم والعلماء حيث تجلى دورها العلمي حسب المصادر التاريخية التي تحدثت عن نشأة هذه المدينة وروابطها الخارجية ونهضتها الداخلية، فابن بطوطة مثلا في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي تحدث عنها بوصفها إحدى أهم الحواضر الصحراوية إشعاعا ثقافيا، فقد لقي إبان وجوده بها قاض للمدينة عرفه باسم محمد بن عبد الله بن ينومر وأخوه الفقيه المدرس يحيى[2].

ولم تكن روابط ولاتة مع محيطها الخارجي مقتصرة على الروابط التجارية فحسب بل إن الروابط الثقافية والدينية كانت قائمة مع جميع أنحاء دول الإسلام. ولعل أهم مظهر من ذلك هو الركب السنوي الذي ينطلق من المدينة باتجاه الحج وهذا الركب قدم معه ابن بطوطة أثناء عودته إلى ولاتة.

استفادت ولاتة من الدمار الذي أصاب تمبكتو إثر الحملة السعدية سنة 1591م، حيث هاجر إليها الكثير من العلماء الذين أثروا الحياة العلمية بها.

---

1 – سيداتي بن بابي: المرجع السابق، ص 66.

2 – ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 687.

كما استفادت المدينة أيضا من رحلات الحج التي شكلت فرصة يتم فيها التبادل العلمي بين المدينة وخارجها، فقد كان الحجاج يمرون في طريقهم بجميع الحواضر الثقافية الدينية بالمغرب وتونس ومصر. ومن أهم العلماء الذين لهم رحلات مدونة نذكر على سبيل المثال -لا الحصر- رحلة محمد يحيى الولاتي إلى الحج وقد استغرقت هذه الرحلة ستة سنوات إذ خرج من مسقط رأسه ولاتة يوم 7 رجب 1311هـ / 14 يناير 1894، ولم يرجع إلى الصحراء ويلقي عصى الترحال بقرية أروان إلا يوم ست شوال 1317هـ/ 7 يناير 1900م[1].

كما اشتهر الفقيه محمدي ولد سيد عثمان(المتوفى سنة 1336هـ)، الذي حج وله رحلة مخطوطة. وقد كان الحج مناسبة للعلماء لاستقدام المؤلفات في مختلف ميادين المعرفة.

اشتهرت ولاتة بمحاضرها المتعددة التي كانت محجة لطلاب العلم من جميع الآفاق، إذ وفد إليها الكثير من الطلاب وخاصة في فترات الهدوء والاستقرار، ففي بعض الفترات يقل الإقبال بسبب الاضطرابات الأمنية والحروب، فمثلا في فترة أولاد أمبارك مثلا حرمت المدينة من أهم رافد يمثل أعظم عنصر منشط للحركة الثقافية في المدينة ألا وهو إقبال طلبة العلم عليها رغم ما يترتب على ذلك من المخاطر، إلا أنه يلاحظ أن هذه الفترة الحرجة خلقت لدى شباب المدينة إقبالا شديدا على الدرس والتحصيل وانكبابا أكثر وكانوا يقولون (هذه ثروتنا الوحيدة التي لا يستطيع الغزاة نهبها)[2].

أما الفترة التي صاحبت عهد آل امحيميد فإن أصدق ما يمكن أن توصف به هو أنها مثلت خاتمة العهود الذهبية في تاريخ المدينة الثقافي، حيث عاد تدفق طلبة العلم إلى

1- للمزيد بهذا الخصوص ينظر محمد يحي الولاتي: الرحلة الحجازية، تخريج وتعليق محمد حجي، بيروت 1990، دار الغرب الإسلامي.

2 - سيادتي بن بابي: المرجع السابق، ص67.

محاضر المدينة من كل حدب وصوب، ونشطت حركة التأليف إلى أعلى مستوى لها، فلا غرابة في هذا الجو إذا من صمود المدينة الخالدة أمام العواصف التي عصفت بها مادام قوام وجود سر بقائها هو نشاطها الثقافي الدؤوب الذي يستفيد من فترات البؤس كما يستفيد من فترات الرخاء[1]. وتشهد لذلك ذخائر المعرفة في الفقه واللغة والبيان والنوازل والتاريخ الموزعة بين المكتبات الأهلية في المدينة.

1 – المرجع نفسه، ص67.

خلاصة:

سعينا من خلال هذا العمل إلى إبراز مدينة ولاتة الواقعة في أعماق الصحراء مع التركيز على الأوضاع التي طبعت الحياة بتلك الحاضرة البعيدة، ومدى تأثيرها على حياة السكان في تلك المنطقة. استفادت ولاتة من مرور القوافل التجارية على المستوى الاقتصادي بما تحمله من مواد تجارية، وكذلك على المستوى العلمي بقدوم الكثير من العلماء إلى المدينة واستقرا بها .

استطاعت المدينة مقاومة ظروف قاسية وليس أقلها هجمات المجموعات المحاربة التي اتخذت الغزو والنهب وسيلة للعيش، وكانت تحسد المدينة على ما تزخر به من ازدهار اقتصادي وعلمي قل نظيرهما في المنطقة.

كانت مدينة ولاتة عبر تاريخها منارة للعلم والثقافة في الصحراء وبلاد السودان، وقد شكلت امتدادا لنهضة علمية واسعة عرفتها الحواضر المنتشرة في الصحراء .

مصادر البحث عن الإسهامات الجزائرية في اللغة والأدب

الدكتور سليمان قورارى جامعة أدرار

ملخص المقال باللغة الإنجليزية

Algerian scholars through the ages have contributed various literary linguistic studies .Some of these studies are highlighted by both "Iben Meriem Atelemcani " in his "Albustane" and"Algabrinie"inhis "Aldiraya ".

Given the importance of the Algerian literary and linguistic tradition. The present article investigates for the sources that display Algerian contributorsin literature and linguistics. This is carried on through the act of checking out indexes and centers of manuscripts , Books of travels, biographies , centers of learning and research teams , and conferences of Islamic thoughts .

Thus, all these factors can illustrate the effective contribution of the Algerian scientists in the field of the language and literature

نص المقال :

تمهيد

لم ينقطع العطاء الفكري والأدبي في القطر الجزائري، على مرّ العصور على الرغم من الفترات الحالكة التي مرّت، والقطر الجزائري على غرار الأقطار المغاربية الأخرى عرف علماؤه عطاءات أدبية متنوعة، ذكر بعضا منها ابن مريم التلمساني في " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " والغبريني في " عنوان الدراية " ولقد توجهت عناية الدارسين في العصر الحاضر، إلى التراث الجزائري، بحثا وتحقيقا ودرسا، نظرا لما يشكله التراث من أهمية في تاريخ الأمم والشعوب، إذ هو صمام الأمان لشخصيتها، ومبعث العزة والفخر بين أبنائها. فالشيخ المغيلي على الرغم من شهرته الواسعة، إلا أن كثيرا من تراثه لا يزال طيّ النسيان، أو بين رفوف الخزائن، ينتظر الهمم العالية، والعزائم القوية، ليرى النور، وهذا ما قام به بعض العاملين في الحقل التراثي. وستتعرض المداخلة لأهمية العناية بأعلام الجزائر ومساهماتهم اللغوية والأدبية، وذلك بالبحث في مصادر الكشف عن الإسهامات الجزائرية في اللغة والأدب .

أهمية العناية بأعلام الجزائر وعطاءاتهم اللغوية والأدبية :

إذا تصفح الباحث أي مصدر من مصادر المخطوطات العربية والإسلامية سيجد لا محالة نماذج لأعلام جزائريين تركوا بصمات على المستوى المحلي والعربي والإسلامي والعالمي، فلقب التلمساني يصادفنا في " العقيدة الصغرى، ومكتوب في التوحيد، والعقيدة الوسطى " وهي جميعها لمحمد بن يوسف الحسني السنوسي التلمساني، المتوفى سنة 893هـ /1486م، وفي آخر العقيدة الوسطى " والأمانة حفظ جميع الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهي عنه فهي تحريم أو كراهة، والخيانة عدم حفظها من ذلك، وبالله التوفيق لا رب غيره وصلى

الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما " [1]، وتزخر مراكز المخطوطات بشروح عدّة لكتب السنوسي لا سيما شرح العقيدة السنوسية [2]، وهي بذلك تمثّل خزّانا مهما للمجهودات العلمية التي قام بها علماء الجزائر في القرون الخالية .

وفي فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية بالجزائر ثروة مهمة من التراث الجزائري، الذي يعين الدّارس على التعرف على الخصائص اللغوية إبان القرون التي صنفت فيها فنجد في هذه الفهرسة مثلا " الإرشاد لما فيه من مصالح العباد " لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي الجزائري (786/875هـ/ 1384، 1470م) وفي آخره " وليصلحه من الأمهات المنقول منها يعظم الله له أجرا وصلى الله على سيدنا محمد . . . . " [3] ونجد الإشارة إلى أن ما ورد في هذه الفهرسة حسب جامعها هو " ما أمكننا تسجيله من مخطوطات مكتبة جدنا الشيخ سيدي محمد بن عزوز القاسمي الحسني رحمه الله قبل تقسيمها على الورثة فواتح ربيع الثاني 1421هـ الموافق لأواخر جوليت 1999 . . . " [4] .

إن الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي والعمل على العناية به من مختلف الجوانب هو عمل مقدّس ونبيل، ويؤجر عليه صاحبه، سواء كان الجهد فرديا أو جماعيا تتضافر عليه مؤسسات مؤهلة ماديا وعلميا وفنيا، ومن بين تلك المؤسسات التي ساهمت في تعريف الجيل

هوامش المقال :

[1] عبد القادر مَمَّا حَيدَرة : فِهرِس مخطوطات مكتبة مما حيدرة للمخطوطات والوثائق. تحرير : أيمن فؤاد سيد. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1421هـ / 2000م .ج1، ص : 239، 240 .

[2] أحمد ولد محمد يحي : فهرس مخطوطات شنقيط ووادان. تحقيق : أولرخ ريبشتوك (سلسلة فهارس المخطوطات الإسلامية :7 المكتبات في إفريقيا ــ موريتانيا) مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 1417/ 1997. ص : 372، 373 .

[3] محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني : فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية. دار الغرب الإسلامي، ط1، 1427هـ، 2006م. ص : 66 .

[4] محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني : فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية. ص: 533.

العربي بكنوز أجداده في مختلف الميادين المعرفية " مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، وقد جاء في المجلد الذي شمل أعمال المؤتمر الذي عقدته بلندن بمناسبة افتتاحها في جمادى الآخرة سنة 1413هـ / ديسمبر 1991م " إن الأبحاث التي قدمها السادة العلماء تشكل مساهمة أولى منهم في نشاط المؤسسة التي تهدف إلى حفظ وفهرسة ذلك الكم الهائل من المخطوطات الإسلامية المتناثرة حاليا في جميع أرجاء العالم . . ." [1]

مصادر الكشف عن الإسهامات الجزائرية في اللغة والأدب:

إن إسهامات علماء القطر الجزائري في مختلف ميادين اللغة والأدب متعددة ومتداخلة مع عدّة أبحاث أخرى، ومصادرها متعددة، يمكن أن يعثر عليها الباحث بعد استفراغ الجهد، وشحذ الهمم، من مصادر قد تبدو لأول وهلة لا علاقة لها بالبحث اللغوي والأدبي، ولكن بقليل من التروّي، وشيئ من إمعان النظر، وتنعيم البصر، سيلفي الدّارس، أن هذه المصادر، تضم بين ثناياها حقائق مهمة عن الأجناس الأدبية التي وُظّفت إبّان مختلف الفترات التاريخية التي مرّت عليها الجزائر، وعاش في ظلالها أولئك العلماء الذين خدموا اللغة العربية وآدابها .

1) مصادر اهتمت بالأعلام الجزائريين في الفكر والثقافة :

إن هذه المصادر التي عرّفت القارئ والباحث على جملة من الأعلام الجزائريين، وعلى الرغم من منحاها التاريخي، إلا أنها تمثل مادة خام مهمة لكل باحث، يسعى للبحث عن الوجه اللغوي أو الأدبي لهذا العَلم أو ذاك ومن ذلك المصدر المهم " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " فقد ذكر فيه مصنفه رحمه الله تعالى عن الشيخ السنوسي قوله "

---

[1] أعمال المؤتمر الافتتاحي لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (ديسمبر **1991**/جمادى الآخر **1413**): أهمية المخطوطات الإسلامية .مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن **1413/1992**. ص :**11** .

وليكن اعتناؤك يا أخي بمن تأخر من الصالحين وخصوصا من أهل بلدك حلولا بالسكنى والدفن أكثر من اعتنائك بمن تقدم منهم "[1] وذكر رحمه الله أوجها لذلك وفوائد مهمة .

ومن المصادر المهمة التي اهتمت بأعلام الجزائر، وغطت جانبا مهما في ذلك كان نسيا منسيا، وأبرزت إسهامات علماء الجزائر في العلوم التي برزوا فيها كتاب " تعريف الخلف برجال السلف " للعلامة الجزائري الحفناوي (1269 ـ 1360هـ/ 1852 ــ 1942م) .حيث يقول محقق الكتاب الباحث خير الدين شترة : "فللحفناوي مزية كبيرة على أهل التاريخ والتراجم والأدب . . . بأن حفظ لهم رصيدا تاريخيا معينا عن الطرق اتلصوفية في الجزائر ومشايخها وزواياها، كما له مزية كبرى في أنه أفادنا بأخبار عن معاصريه وبفضله وصلتنا معلومات استخرجها من الوثائق العائلية التي اطلع عليها معاصروه من العلماء . . . . فالمكانة التي كان يحتلها أبو القاسم الحفناوي ضمن تلك الحركة الجماعية هي التي كانت من أهم أسباب انبعاث النهضة في الجزائر " [2]

فالباحث والمؤرخ الجزائري العلامة المرحوم يحي بوعزيز رصد وبحث عن كثير من أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، وصنف كتابا في هذا الصدد في مجلدين، ضمّنه العديد من أعلام بلاد الجزائر كما تحدّث عن دور الفقيه المغيلي التلمساني في الإصلاح بغرب إفريقيا هذا الفقيه الجليل الذي " رحل إلى توات في النصف الثاني من القرنين : التاسع الهجري، والخامس عشر الميلادي ن وقام بثورته المشهورة ضد يهود توات الذين بالغوا في مكرهم وخبثهم، واستعلائهم على المسلمين، فهدّم بيعهم الضخمة بمدينة تمنطيط وأعادهم إلى

---

[1] **محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم : البستالن في ذكر الولياء والعلماء بتلمسان. تحقيق : محمد بن يوسف القاضي. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـــ، 2010م. ص: 06 .**

[2] **أبو القاسم محمدالحفناوي (1269 ـــ 1360هـ/ 1852 ـــ 1942م) : تعريف الخلف برجال السلف. دراسة وتحقيق :خير الدين شترة. دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، ط1، 1433هـــ / 2012م .ج1 ،ص: 382، 383 .**

وضعهم الطبيعي كجالية، وأهل ذمة، ولاقى في ذلك ما لاقى من عنت حتى من القاضي التواتي عبد الله العصنوني. ثم رحل إلى إمارة كانو ببلاد الهوسة، ودرّس هناك وعلّم مدّة من الزمن . . ." [1]. وهذه الثورة العظيمة، ألهمت بعض الروائيين للإبداع من خلال استلهام دلالتها الدينية والاجتماعية والثقافية، على غرار الروائي الجزائري الحبيب السائح في رواية " تلك المحبة " .

ومن الدارسين الذين أسهموا في التعريف بأعلام من المغرب العربي، ويمكن أن يجد الدارسون في آثارهم بصمات لا يستهان بها ونظرات ثاقبة في ميادين اللغة والأدب، من هؤلاء الدارسين الأستاذ الباحث : محمد الصالح الصديق[2] .الذي قدّم " أعلام من المغرب العربي" في أجزاء ثلاثة حيث قال " أما هدفنا من تأليف هذا الكتاب، فهو تعريف أجيالنا بمآثر هؤلاء الأعلام الذين أقاموا البرهان ساطعا على رسوخ عقيدتهم، وقوة إيمانهم وإخلاصهم لربّهم ودينهم ووطنهم، وأدّوا رسالتهم المنوطة بهم على الوجه المطلوب "[3]، يذكر الأستاذ محمد الصالح الصديق في الجزء الأول مجموعة من العلماء والأدباء الذين خدموا اللغة العربية وعلومها، وبيّنوا أحكام الشريعة وأسرارها ،وتفنّنوا في صنعة الشعر وقريضه، فنجد من المباحث ما

---

[1] يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين. (الأعمال التاريخية للدكتور يحي بوعزيز) طبعة خاصة وزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة 2009م. م8، ص: 37 .

[2] محمد الصالح الصديق عالم من علماء الجزائر من مواليد " قرية أبريزا بتيزي وزو (الجزائر) حفظ القرآن الكريم على يد والده، ثم درس في زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي، وانتقل بعد ذلك للدراسة بالزيتونة، شارك في الثورة التحريرية المباركة، شاغلا منصب مسؤول الإعلام الثوري بالمملكة الليبية، ليتفرغ لشؤون التعليم والنشاط الإذاعي بعد الاستقلال، وتأليف الكتب النافعة، ومنها، بالإضافة إلى الكتب التي استعنا بها في بحثنا : مقاصد القرآن، من قلب اللهب، أدباء التحصيل ...وغيرها كثير. ينظر : محمد بوزواوي: معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009. الدار الوطنية للكتاب .، دراية، الجزائر العاصمة، 2009. ص: 390، 391 .

[3] محمد الصالح الصديق : أعلام من المغرب العربي. موفم للنشر، الجزائر، 2008م. ج1، ص : 12.

يدور حول الشاب الظريف التلمساني، ومحمد أبو راس، والشيخ مصطفى الكبابطي، والشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ المولود الزريبي، ومحمد بن أبي شنب... وغيرهم كثير في الجزئين التاليين .

و نود أن نشير هنا إلى أن هؤلاء الأعلام الذين تعرّض لهم لا يتناولهم كما يتناوله بعض الذين أنجزوا بعض المعاجم الخاصة بالأعلام والتي تكتفي بالمقتطفات التي تخص الميلاد والوفاة وبعض المؤلفات، وإنما يجد القارئ نفسه أمام مادة خصبة تنم عن وعي مقتدر وبضاعة دسمة، وخبرة وبصيرة لدى الرجل، تدفعه للبحث في أسرار عبقرية الرجال، وسرّ ديمومة أعمالهم الخالدة، ولنضرب لذلك مثلا فقط بالشيخ المولود الحافظي الفلكي الأزهري، الذي خصّص له مبحثا من ص: 229 حتى ص: 299، وما ذاك إلا لجهل الكثير عن سيرة ومآثر هذا العلم، بين الأساتذة والطلبة الجامعيين فكأن هؤلاء الأعلام لم يعيشوا يوما فوق هذه الأرض "[1] .

وللأستاذ محمد الصالح الصديق كتاب شخصيات فكرية وأدبية، فيه عرض مفصل لمآثرهم مواقفهم من ثورة التحرير المباركة [2] وفي هذا الكتاب يستعرض مسيرة علم من أعلام الجزائر في العلم والثقافة والنضال الوطني، والوعي السياسي ألا وهو توفيق المدني، قائلا عنه: " إن الحديث عن تاريخ توفيق حديث عن تاريخ الجزائر، فليجتهد كل منا أن يكون مثل توفيق تاريخا للجزائر، تاريخا مشرفا، تاريخا يليق بعروبتها وإسلامها " [3] والشيخ محمد الصالح

---

[1] محمد الصالح الصديق : المرجع نفسه. ج**1**، ص :**231** .

[2] محمد الصالح الصديق : شخصيات فكرية وأدبية (هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية) دار الأمة للنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط**2010**م

[3] محمد الصالح الصديق : شخصيات فكرية وأدبية (هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية) دار الأمة للنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط**2010**م ص: **340**.

الصديق يحاول أن يبحث بموضوعية ونزاهة. ومن مؤلف الشيخ المرحوم محمد باي بلعالم " الرحلة العلية " سيجد الباحث عن الأعلام الجزائريين وبعض إسهاماتهم اللغوية والأدبية، الشيء الكثير، الذي سيكون بمثابة انطلاقة لبحوث معمّقة حول آثارهم ومضامينها وأساليبها .وعلى سبيل المثال فإنه يوجه أنظار الباحثين إلى بعض الغرر والفرائد الأدبية شحذا للهمم ومن بينها قصيدة للشيخ سيدي محمد إدوعلي العباني، التي بعث بها إلى ابنه إبراهيم لما غاب عنه إلى افريقيا وتركه أعمى مقعدا، وهي تموج بالشكوى والنجوى، والعتاب والرجاء [1] والكتاب يعد موسوعة متنوعة لكل متشوّق لمعرفة منطقة توات وما يربطها من الجهات، وقد بذل المرحوم الشيخ باي جهدا معتبرا حتى تلبّي رغبة المتعطشين للمعرفة .

وفي هذا الإطار الخاص بالإسهامات الجزائرية في اللغة والأدب يمكن الاستفادة مما ألفه الشيخ مولاي التهامي غيتاوي من سلسلة النوات في إبراز شخصيات م علماء وصالحي

---

[1] ينظر : محمد باي بلعالم" الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .مطبعة دار هومة. 2005م. ج2، ص:130. والشيخ باي أبو عبد الله بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري (المالكي المذهب) الشهير بالشيخ باي، يرجع نسبه إلى قبيلة حمير القبيلة العربية المشهورة باليمن ولد محمد باي عام (1930 م) في قرية ساهل من بلدية اقبلي بدائرة أولف ولاية أدرار بجنوب الجزائر، تربى في أسرة اشتهرت بالعلم والمعرفة، اهتمت بتعليمه، حفظ القرآن الكريم ونال نصيبا موفورا من العلوم اللغوية والشرعية و تبرّز فيها، أسس في مدينة أولف مدرسة للعلوم الشرعية تعنى بتدريس الطلاب والطالبات الأمور الدينية واللغوية، وفي عام (1981م) قام بتوسيع مدرسته وأضاف إليها قسما جديدا خاصا بالإناث، فأصبحت تستقبل أعدادا كبيرة من الفتيات على غرار ما تستقبله من الفتيان، وقام بتوسيع الأقسام الداخلية بحيث أصبحت تستوعب طلابا من خارج البلاد. حج بيت الله الحرام عشرات المرات. وقد خلف الشيخ باي مصنفات متعددة في العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية من أبرزها – ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم. (جزءان). – المفتاح النوراني على المدخل الرباني في الغريب القرآني. في العلوم القرآنية، وفي مصطلح الحديث: – كشف الدثار على تحفة الآثار. وله في الفقه مؤلفات عديدة منها زاد السالك شرح أسهل المسالك (جزءان)....ينظر :الترجمة التي أعدها محمد علي الأمين الشنقيطي، وهي موجودة في مؤلف الشيخ محمد باي بلعالم" الرحلة العلية ". ج2، ص: 377، 386 .

إقليم توات، ففيها فوائد جمة يمكن الاستفادة منها أدبيا ولغويا، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون[1]. ومن المصنفات التي تبرز لنا هذه العطاءات ـ والتي نشير لها فقط في هذا المقال، المقال، وستكون لنا عودة لها في دراسات مفصلة إن شاء الله تعالى في المستقبل القريب ـ كتاب الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي أحمد بن موسى، ويردف ذلك بذكر لمحة مختصرة من حياة أحد أعلام القنادسة العالم الولي الصالح " سيدي محمد بن أبي زيان " [2]

يمكن الاستفادة أدبيا من بعض المصادر التاريخية التي تبين مدى إسهام بعض الأدباء في فن الوصف لا سيما وصف القصور والبساتين الغنّاء التي زخرت بها بعض الحواضر الكبرى في بلاد المغرب الأوسط، ومن ذلك وصف " المدرسة التاشفينية " نسبة لأبي تاشفين عبد الرحمن الأول (1318م . 1337م) الذي عرف بشغفه بفن العمارة (قصر أبي فهر، والسرور بالمشور، المنتزه الأميري . . . .)، ولقد كانت المدرسة في هندستها وعمارتها آية عجيبة من آيات الفن الإسلامي الزاخر وكتب على نافورة صحن المدرسة :

انْظُرْ بِعَيْنِكَ مُهْجَتِي وَسَنَــــائِي وَبَدِيعَ اتقَانِي وَحُسْـــــنَ بِنَائِي

وَبَدِيعَ شَكْلِي، واعْتَبِرْ فِيمَـا تَرَى مِن نَشْأَتِي بَلْ مِنْ تَدَفُقِ مَائِي

جِسْمٌ لَطِيفٌ ذَائِبٌ سَيَــــلاَنُهُ صَافٍ كَذوْبِ الفِضَّةِ البَيْضَاءِ

قَدْ حَفَّ بِي أَزْهَارُ وَشْيٍ نَمقَتْ فَغَدَتْ كَمِثْلِ الرَّوْضِ غِبُّ سَمَاءِ

---

[1] الشيخ مولاي التهامي غيتاوي من سلسلة النوات في إبراز شخصيات م علماء وصالحي إقليم توات .المطبعة الحديثة للفنون المطبعية IMAG الجزائر، ط: مارس 2005م .

[2] ينظر : الشيخ مولاي التهامي غيتاوي :الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي أحمد بن موسى.منشورات ANEP. المطبعة الحديثة للفنون المطبعية IMAG الجزائر. ص: 7 .

وتأسف الباحث الذي زيّن مؤلفه بهذه الأبيات للهمجية التي قابلت بها السلطات الاستعمارية الفرنسية هذه المعالم المضيئة التي تثبت أصالة وعمق تاريخ الجزائر، وحضارتها الرائدة قائلا " ومما يؤسف له وقصد محو معالم تشير إلى وجود كيان جزائري قامت سلطات الاحتلال إصدار قرار يقضي بتحطيمها سنة 1873م. وقال فيها القائد العسكري الذي أوكلت له المهمة " جمالها لا يليق لأن تكون للعرب " C’est trop beau pour que ça soit aux Arabes" ومن المتحمسين لبقائها قائمة، المهندس الفرنسي دوطوا Duthoit الذي أكد في تقريره أنها تمثل أروع نموذج معماري للزيانيين " [1] .

2) مراكز وفرق البحث والجهود الأكاديمية ودورها في إماطة اللثام عن جهود اللغويين والأدباء الأعلام:

هذه المراكز وفرق البحث المهتمة بتاريخ الجزائر وتراثها الثقافي، تقدّم بشكل مباشر أو غير مباشر مواد مهمّة تخص التراث الجزائري، وبصمات علمائه، في شتى الحقول المعرفية، وهذا ما يستكشفه الباحث من خلال كلمة معالي وزير المجاهدين السيد محمد الشريف عباس بمناسبة تكريم ثلة من رجال الفكر والعلم، طبعت الوزارة أعمالهم، وهم المرحوم د.يحي بوعزيز، المرحوم د.أحمد توفيق المدني، المرحوم أ. عبد الرحمن بلعقون، المرحوم د.أبو العيد دودو والأستاذة زهور ونيسي، وهذا بمقر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .وذلك يوم 2010/07/07م ." فالذكرى هي المناسبة الثامنة والأربعين لعيد الاستقلال المجيد، المحطة التي كانت في الحقيقة والمجاز بمثابة الولادة الجديدة للوطن أو هي انبعاث جديد للعنقاء من رمادها المقدس على حد قول أسطورة

---

[1] **براهامي نصر الدين : تلمسان الذاكرة. منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ط2، 2010م. ص : 67.**

الإغريق. . ."[1]. ويضيف مبيّنا أهمية هذا اليوم ومكانته المستمدّة من موضوعه موضحا " أن ما يزيده بهاء وتميزا هو موضوعه بذاته، تكريم ثلة مباركة من أعلام الجزائر وباحثيها وأساتذتها والذي يغمرني الشرف أن أشاركهم هذه اللحظات، وأن أشهد وقفة العرفان والتقدير لهم جميعا واحدا واحدا وعبرهم لكل الجزائريين والجزائريات من الأجيال المختلفة الذين اختاروا مخابر البحث والعلم ومحاريبها من أجل غايات سامية غير آبهين بتكاليف الخيار ومصاعب الطريق "[2].

كما قامت بعض فرق البحث التاريخي بتحقيق ونشر مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري، نظرا لما تحويه من قيمة تاريخية وفكرية، ومضامين أدبية رفيعة وقد قال عبد المجيد مزيان عند تقديمه للمخطوط سنة 1983 أن هذا المخطوط "كتب بعضه بيد الأمير، وبعضه بأيدي رفقائه الأقربين في سجن " أمبواز" . . . ويعد هذا المخطوط بحق تحفة . . . فمن صفاته البارزة أنه عمل يلتقي فيه التحرير والإملاء الشخصي للأمير مع الإنشاء الجماعي الذي يم إنجازه تحت إشراف الفقيه السيد مصطفى بن التهامي، صهر الأمير وخليفته . . ."[3]. ولا يمكن أن نفوّت الفرصة دون أن نذكر كتاب " أدب المقاومة الوطنية في الجزائر " للباحث " عبد المالك مرتاض. وقد صدر ضمن : سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 . وله تحليلات وآراء نقدية جديرة بالمتابعة والقراءة فقد كتب " فصلا تحليليا يتناول فكرة الخلفيات الفكرية لثورة فاتح نوفمبر المجيدة وهو جديد

---

[1] محمد الشريف عباس: كلمة معالي وزير المجاهدين بمناسبة تكريم ثلة من رجال الفكر والعلم جويلية **2010**. المصادر (مجلة سداسية محكمة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**) العدد :**21**، السداسي الأول **2010** .ص:**11**.

[2] المرجع نفسه. ص: **14** .

[3] مذكرات الأمير عبد القادر. (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة **1849** تنشر لأول مرة) تحقيق : محمد الصغير بناني وزميليه. دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر .ط7، **2010**م. ص: **12** .

فيما نعلم، وحللنا قصيدتين للشهيدين الربيع بوشامة وعبد الكريم العقون قيلتا في مجازر ثامن مايو، ولم نسبق إلى ذلك . . . . "[1]

وفي سلسلة تحقيق التراث الجزائري، قام الباحث "أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، بتحقيق كتاب " لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب " وهو من نوادر المخطوطات التي تبحث في علم المنطق، الذي أثار جدلا كبيرا في عصر المؤلف بين مجيز ومانع له، أتحفت الأدب العربي والثقافة الإسلامية بمحاورات شعرية. بتحقيق الكتاب[2].

وتحدّث الشيخ المرحوم مبارك الميلي عن حركة العلم والأدب في الجزائر في مقالات كتبها لمجلة المنهل، واستخلص أن " العلم والأدب بالجزائر قديمان بقدم حضارة ذلك البحر، لكنهما معرضان لما يعْرض لوسائل الحياة، ودلائل النظام، ونتاج الاجتماع من قوة وضعف، وإحكام وانحلال، وازدهار وذبول "[3]وذكر الشيخ رحمه الله مجموعة من الأسماء اللامعة التي فرضت بصمتها العلمية، وهم ينتسبون إلى أقاليم كبيرة في القطر الجزائري مثل الزواوي، البجائي، التيهرتي . . . ويذكر من بينهم " أبو بكر بن سيد الناس عالم بجاية ومحدثها في القرن التّاسع، والذي وصل صيته إلى الملك الحفصي بتونس، وكانت له معه محاورات، دلّت على علوّ مكانة هذا العالم الجليل وقوة شخصيته، وعدم خشيته في الله لومة لائم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

[1] عبد المالك مرتاض : أدب المقاومة الوطنية في الجزائر **1830 ــ 1962**. سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**. دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، **2009**م. ج**1**، ص: **4**.

[2] ينظر : الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت**909**هــ) :لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب. تحقيق : أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري. دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط**1**، **1427**هــ، **2006**م. ص: **8**، **9**.

[3]محمد الميلي : الشيخ مبارك الميلي (حياته العلمية ونضاله الوطني). دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط**1**، **2001**. ص: **175** .

وذكر الشيخ مبارك الميلي العلوم والآداب التي عرفتها الجزائر الحمادية حيث عرفت الجزائر في عهد الحماديين رقيا علميا وأدبيا كبيرا، حيث هرع إليها كثيرا من العلماء والفضلاء وارتحل إليهم " أمثال ابن حمديس الصقلي من الأدباء، وأبي الفضل بن النحوي التوزري من العلماء وكان يشبه بأبي حامد الغزالي. فغصت عواصمهم بطلاب المعارف وناشريها وكان العلماء يتناظرون في مجالس بني حماد ويؤلفون لهم الكتب . . . "[1].

وقد أورد مبارك الميلي رحمه الله من الشواهد ما يفيد أن كثيرا من الأميين في عهد الحماديين كانوا يحفظون بعض الكتب عن ظهر قلب، كصحيح البخاري وكتاب التلقين لعبد الوهاب البغدادي في مذهب الإمام مالك، ليصل إلى الحديث عن فضل العربية، ودور الهلاليين في نشر العربية بين طبقات الشعب، حتى إنه لم تعد هناك دواعي للتدريس أو التأليف باللسان البربري كما كان الأمر في عهد الرستميين، ولهذا كله " لم يبق للبربرية موطن إلا جبال أوراس وتيطري وجرجرة ونحوها حيث لم يختلط البربر بالعرب، والذي دعا البربر إلى هذا الاستعراب والدولة دولتهم والحكومة حكومتهم ما يعتقدونه من شرف العربية وغناها وكونها لغة الدين. فصاروا يتشرفون بإجادة النطق بها . وهكذا تأثير الأديان في رفع الفوارق الجنسية "[2] وتوجيه الأمة نحو القضايا المصيرية، وجمع الناس على كلمة سواء، كما يتجلى ذلك في تأثير الدين الإسلامي الحنيف في البلاد المفتوحة.

ومن الكتب التي درسناها مبكرا كتاب الباحث المرحوم : رابح بونار " المغرب العربي تاريخه وثقافته " والذي خص فيه المغرب الأوسط ببحوث مستفيضة وبيّن رحمه الله تعالى من خلال المقدمة " إن الباعث الحقيقي على تأليف هذا الكتاب هو إيفاء الحركة

---

[1] الشيخ مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث .تقديم وتصحيح : محمد الميلي. دار الكتاب العربي، طبعة **2011**. ج**3**، ص:**567** .

[2] المرجع نفسه. ص: **568** .

الثقافية وتاريخها بالقطر الأول " الجزائر "، وقد أغفله مؤرخو الآداب إغفالا، وجهل كثير من الدارسين نشاط علمائه وأدبائه في مختلف العصور ... "[1] وبيّن رحمه الله أن الرغبة في تأليف هذا الكتاب كانت تراوده منذ أن كان طالبا بالزيتونة، وأن الذي شجعه لاستكمال مشروع هذا الكتاب النفيس في موضوعه، هو اطلاعه على رسالة عنوانها " بلاغة العرب في الجزائر " للأستاذ عثمان الكعاك " وقد أراد من تأليفها أن يلقي أضواء خافتة على الثقافة الجزائرية وآثارها الراكدة في بطون الأسفار القديمة "[2]

3) الكتب المهتمة بالتصوف والطرق الصوفية، وزوايا العلم والقرآن :

هذه المصنفات تضم في ثناياها نماذج لإسهامات جزائرية متعددة في ميادين اللغة والأدب، بالإضافة إلى بعض الحقول المعرفية الأخرى، المشهورة آنذاك، كما تضم قطعا أدبية في شكل أشعار، وخطب ووصايا، وقصص تهدف لتقويم السلوك، وتطهير النفس من أدرانها، والسعي بها نحو الكمالات الروحية، وهي تمثل مادة مهمة للباحث في الثر اللغوي والأدبي لهؤلاء الأعلام، ومن بين الأعلام الذين كشفت عنهم كتب التصوف والزوايا والطرق الصوفية والذين كانت لهم أيادي بيضاء في خدمة العربية والشريعة الإسلامية العلامة محمد المختار بن الأعمش صاحب الزاوية التي تحمل اسمه بمدينة تندوف بالجنوب الجزائري، ولد رحمه الله سنة (1203هـ) عرف بورعه وتقواه وغزارة علمه حيث تولى منصب القضاء وكان مرجعا للناس في ما يشكل عليهم من عويص المسائل ومشكلات القضايا وترك مصنفات عدة منها نصيحة ذوي الرسوخ، شرح إضاءة الدجنة للمقري، مؤلف في رسم المصحف، نصيحة قضاة البرية في تحريم الرشوة والهدية، مؤلف في أسماء الله الحسنى وغيرها من المؤلفات المخطوطة التي تنتظر

---

[1] رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م .ص: 5 .

[2] ينظر: رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته .ص:6. وكانت دعوة الكعاك الضمائر الحية للبحث في تاريخ الجزائر وثقافتها، أكبر حافز للمرحوم بونار للمضي قدما في عمله الرائد .

التحقيق والطبع وهي موجودة في مكتبة اسرة بلعمش، وتوفي العلامة بلعمش بمدينة تندوف سنة (1287هـ) [1] .ومن بينهم أيضا : الشيخ المهدي البوعبدلي (1907م بمدينة بطيوة في وهران والمتوفى عام 1992م)، والذي كانت له بصمات واضحة في التدريس والإفتاء في كل من وهران وبجاية، مع اهتمام كبير بجمع المخطوطات النفيسة وخدمتها علميا لا سيما التاريخية منها فقد حقق رحمه الله كتاب " دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" للقاضي الزياني، وكتاب " الثغر الجماني" للشيخ أحمد الراشدي [2].

وهناك الكثير من الشخصيات العلمية التي يطول المجال بذكرها ذكر بعضا منها صلاح مؤيد العقبي " في كتابه النفيس " الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر " من شمال الجزائر وجنوبها وشرقها وغربها . وذكر بعض الفضلاء جهود زوايا العلم والقرآن في القطر الجزائري ومدى ما قدمته من جهود علمية عبر القرون، وما قدمته من مجاهدين أشاوس تصدوا للحملات التنصيرية والحركات الاستعمارية، ومن ذلك زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي[3]. ونظرا لأهميتها الجهادية هي ونظيرتها زاوية ودريس، فقد انتقم الاستعمار الفرنسي منهما شر انتقام " ففي " 3/جوان 1957 هدّم الجيش الفرنسي زاوية سيدي عبد الرحمن باستعمال المدفعية الثقيلة بعد اكتشاف مجموعة من المجاهدين قدموا من تونس ومعهم كمية من السلاح، وفي الفترة نفسها أغلقت زاوية "ودريس" هي أيضا وفي 1959 حوّلت إلى مركز عسكري وظلت كذلك حتى الاستقلال، وقد كانت مرحلة ما بعد الاستقلال هي مرحلة إعادة بناء

---

[1] صلاح مؤيد العقبي : الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها. دار البصائر، طبعة خاصة، 2009م. ص: 530، 531.

[2] المرجع نفسه. ص:548.

[3] ينظر : محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن بالجزائر. دار الفكر دمشق سورية، ودار الفكر، الجزائر، (د.ت) ص: 125، 126

زاوية ودريس من قبل آث يمّال ؛ وبعد ذلك استأنفت الزاوية نشاطاتها المختلفة بلا توقف حتى يومنا هذا، وتوسعت شيئًا فشيئًا في المكان بالتوازي مع أهمية مرتاديها "[1].

أما زاوية سيدي عبد الرحمن " فبعد تاريخ طويل في الكفاح تولت الدولة إعادة بناء زاوية سيدي عبد الرحمن حيث حولتها إلى معهد لتكوين الإطارات الدينية . . . وقد تم بناء المعهد بالمرسوم الرئاسي رقم 83/173 الصادر في 20 جمادى الأولى 1403هـ الموافق لـ 1983/3/5م . . . افتتح المعهد رسميا في يوم 13 شوال 1405هـ الموافق لـ 1جويلية 1985م من طرف وزارة الشؤون الدينية في حفل كبير . . . وبدأت الدراسة فيه يوم 1984/09/15م."[2] ولا يزال هذا المعهد العتيد يؤدي رسالته العلمية في تخريج إطارات دينية من مختلف الرتب والدرجات، لينتشروا بعد تخرّجهم في أرجاء الوطن، لأداء رسالتهم العلمية والدعوية بالحكمة والموعظة الحسنة.

4) المؤلفات المخصصة للحركة الإصلاحية ودورها في النهضة الجزائرية الحديثة:

وقد أورد الباحث تركي رابح بعضا من رواد النهضة العربية الإسلامية في مرحلة اليقظة في مطلع القرن العشرين، من بين هؤلاء الأعلام : الشيخ عبد القادر المجاوي(1848 . 1913) الذي أطلق عليه الباحث اسم " دوائر المعارف" لكثرة تحصيله، وترك الشيخ طائفة من المؤلفات يبلغ عددها ثلاثة عشر كتابا تدور موضوعاتها حول اللغة العربية وعلومها . والشيخ أبو القاسم الحفناوي(1852 . 1942م) الذي كانت له مساهمات في تحرير جريدة "

---

[1] (محند أكلي حديبي : أودريس الزاوية العامرة مقاربة سوسيو أنتروبولوجيةلمكان مقدّس في منطقة القبائل. ترجمة : عبد القادر بوزيدة. نشر في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، منشورات زرياب، الجزائر، **2007**م .ص: **86**

[2] محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن بالجزائر. دار الفكر دمشق سورية، ودار الفكر، الجزائر، (د.ت) ص:**145**، **146** .

المبشر" منذ عام 1847 ودرس بالجامع الكبير بالعاصمة كما تولى الافتاء على المذهب المالكي ابتداء من عام 1936. ومن أهم آثاره " تعريف الخلف برجال السلف " هذا بالإضافة إلى أعلام آخرين كالشيخ مصطفى بن الخوجة (1865 . 1915) والشيخ عبد الحليم بن سماية (1866 . 1933) والأستاذ الدكتور محمد بن أبي شنب (1869 . 1929) . . . [1] .

وتعرض الباحث محمد بن سمينة من خلال مجلة " المصادر " إلى عطاءات كثير من أدباء الجزائر وعلمائها فقد خص المرحوم الشيخ " محمد الصالح رمضان" بمقال مهم مبرزا فيه بعضا من جهوده في خدمة الدين والوطن والعلم، فقد كان من كبار الأدباء الملتزمين في مرحلة الأربعينيات، وشهد له بتمتعه منذ الصغر بالحس الفني والذوق الأدبي الذي أبرزه اشتغاله في شبابه بحرفة النجارة على الخشب وحبه للطبيعة وميله إلى الرسم وتذوقه الشعر والموسيقى والجمال، كما كان رحمه الله عالما محققا ومرجعا أمينا، محبا للعلم وطلابه، وساعيا لفعل الخير ومن ذلك إهدائه لمكتبته الزاخرة النفيسة بنفائس المصادر والمراجع إلى مكتبة الأرشيف الوطني، وترك المرحوم صدقة جارية مستمرة بإذن الله تعالى ممثلة في مصنفاته في مجموعة من الفنون، فمن ذلك الناشئة المهاجرة (مسرحية 1949)، المولد النبوي الشريف (مسرحية)، الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية إلى تلمسان (1950)، ألحان الفتوة (مجموعة شعرية 1953)، النصوص الأدبية (أربعة أجزاء) بالاشتراك مع الأستاذ توفيق شاهين 1964م)، شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو . . .وفي ميدان التحقيق وإحياء التراث، حقق مجموعة من آثار الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس من أبرزها تفسير ابن باديس مع زميله توفيق

---

[1] ينظر : تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1981م. ص: 106، 109 .

شاهين، كما له جملة من الأعمال المخطوطة نبه الدارس عليها عسى أن تجد هما عالية من محبّي تحقيق التراث الجزائري لترى النور بتضافر جهود جميع الهيئات " [1]

5)الموسوعات الثقافية ودورها في الكشف عن إسهامات العلماء والأدباء الجزائريين

تمثل الموسوعة خزّان معارف، تشمل حقولا معرفية معينة، وتقدّم ما يهم الباحث من معلومات قيمة تخص المادة التي يبحث فيها، فمن الموسوعات العلمية الكبيرة التي أشادت وبيّنت بصمات العلماء الجزائريين في مختلف ميادين الفكر والثقافة "تاريخ الجزائر الثقافي " لسعد الله وفي مقال مهم للباحث " ألان كريستيلو" الأستاذ بجامعة إداهو عنوانه " تجميع تاريخ الجزائر الثقافي " وترجمة الأستاذ محمد الصالح بكوش من جامعة الجزائر وقد قال عنه أنه " يلم بمظاهر الثقافة الجزائرية من تفسير القرآن والشريعة إلى الفنون الجميلة والموسيقى، وتظهر أجزاء عديدة العادات الإسلامية المتعلقة بحياة العلماء . . ." [2].

وفي العشرية الأخيرة نشطت بعض الندوات للإشادة ببعض أعلام الجزائر الذين لا زالوا على قيد الحياة والذين تركوا بصمات كبيرة في الأدب والتاريخ الثقافي للجزائر مثال ذلك الندوة التكريمية العلمية في مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري . قسنطينة يومي 13/12 يناير 2004م وهي تخص " الأعمال التاريخية والأدبية والفكرية للدكتور أبي القاسم سعد الله في ميزان الباحثين الجامعيين " ط1 رجب 1429هـ . تموز جويلية 2008م. وفي

---

[1] محمد بن سمينة .المرحوم الشيخ محمد الصالح رمضان وجهوده في خدمة الدين والوطن والعلم (24 أكتوبر1914م/20رجب1429هــ جويلية 2008م) المصادر (مجلة سداسية محكمة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954) العدد 19 السداسي الأول 2009م .ص: 294، 305.

[2] آلان كريستيلو : "تجميع تاريخ الجزائر الثقافي " ترجمة : محمد الصالح بكوش.المصادر (مجلة سداسية محكمة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954) العدد : 11 (عدد خاص بالمقاومة والحركة الوطنية). السداسي الأول 2005. ص: 310

الكلمة الافتتاحية التي تفضل بها السيد مدير مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بجامعة منتوري قسنطينة الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف قال أن أهداف هذه الندوة يمكن إجمالها في نقطتين رئيستين : أولهما : التعريف بأعمال المفكرين والباحثين الجزائريين . . . أما النقطة الثانية : فتسعى إلى البحث عن آراء ونظريات جزائرية جديدة مؤسسة للعلوم والفنون والآداب . . .لا سيما البحث عن ملامح مدارس أو مذاهب تاريخية أو فلسفية أو أدبية. . ." [1].

واتجهت همم بعض الباحثين إلى تقديم الوجه العلمي لبعض الشخصيات العلمية الجزائرية، وتجاوز النظرة السطحية الشعبية لهؤلاء الأعلام الذين كان ينظر إليهم كمنارات للتبرك والزيارة لا غير، دون تجاوزها إلى الوجه الثقافي الذي تمثله في مختلف أبعاده، مثل شخصية عبد الرحمن الثعالبي التي خصها الباحث عبد الرزاق قسوم برسالة علمية جامعة حاول من خلالها أن يعقد مقارنات بين الثعالبي وبين عدد من المتصوفين والفقهاء البارزين من أمثال : أبي حامد الغزالي، وعبد الحق الأشبيلي، والقرطبي . . .بالإضافة إلى سيرته العلمية في شتى تجلياتها، مؤكدا في خاتمة بحثه أن شخصية الثعالبي ستبقى " متعددة الجوانب كل جانب منها يغري بالبحث، فمنهجه في التفسير في حاجة إلى بحث مستفيض، وآراؤه الأخلاقية والكلامية ما تزال مواضيع تستحق البحث والتنقيب، هذا دون إغفال تحقيق مخطوطاته العديدة . . ." [2]. ومن الموسوعات التي ساهمت في التعريف بالأعلام الجزائريين لا سيما في الفترة ما بين الاحتلال الفرنسي واندلاع الثورة التحريرية "موسوعة أعلام الجزائر 1830 ـ1954 " والتي

---

[1] الندوة التكريمية العلمية في مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري ــ قسنطينة يومي **13/12** يناير **2004**م وهي تخص " العمال التاريخية والأدبية والفكرية للدكتور أبي القاسم سعد الله في ميزان الباحثين الجامعيين " ط**1** رجب **1429**هــ ــ تموز جويلية **2008**م. ص: **6**.

[2] ينظر : عبد الرزاق قسوم : عبد الرحمن الثعالبي والتصوف. (سلسلة الدراسات الكبرى) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر **1978**م .ص: **126**.

جاء في مقدمتها على لسان الفريق العامل " لقد أردنا لهذا العمل أن يكون جامعا لأعلام الجزائر في مختلف الميادين الأدبية والدينية والسياسية والعسكرية، وفي مجالات العمل والنشاط الاجتماعي اللذين من خلالهم استمرت الجزائر في التحدي والمقاومة "[1]

6) ملتقيات الفكر الإسلامي ودورها في إبراز الإسهامات الجزائرية :

تعد ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد فوق أرض الجزائر المستقلة، كعبة يحجّ إليها العلماء والمفكرون من مختلف بقاع العالم، لتبيان خصائص الإسلام ومزاياه، ومناقشة شتى القضايا التي تهم العالم الإسلامي، ويحدد لكل ملتقى موضوعا معيّنا يحاضر فيه المفكرون بما أفاء الله عليهم من نعمة العلم والاجتهاد، كما يتم التعريف بالحواضر العلمية الجزائرية وما شهدته من ازدهار ثقافي حاول المحتل بشتى طرائقه طمسه ومحوه، فكانت هذه الملتقيات بمثابة الدرع الواقي، والصور الحصين، لكل المحاولات التي كانت تهدف إلى سلخ هذا الشعب عن هويته العربية والإسلامية. ذكر الباحث محمد المختار اسكندر [2]في بحث تاريخي حاول من

---

[1] بن نعيمة عبد المجيد وفرقته : موسوعة أعلام الجزائر **1830 ـــــــ1954**. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**. (سلسلة المشاريع الوطنية للبحث). طبعة خاصة .وزارة المجاهدين، الجزائر **2007**م .ص: **11** .

[2] (من مواليد مدينة المدية _/**1923/11**، درس على عدة مشائخ وأساتذة من بينهم والده محمود اسكندر، محمد العيد آل خليفة، الطيب العقبي، جلول البدوي، عبد الرحمن الجيلالي، الفضيل اسكندر، مصطفى فخار مفتي المدية، اشتغل بالتعليم الحر (**1962/1943**)، انخرط في سلك المستشارين التربويين (**1974/1962**) عمل في وزارة الشؤون الدينية، وعضو بالمجلس الإسلامي الأعلى، وعضوية اتحاد الكتاب الجزائريين، وعضوية المركز الوطني للدراسات التاريخية، شارك في ملتقيات الفكر الإسلامي، له عدة مؤلفات منها : تاريخ مدينة المدية بين القديم والحديث، المفسرون الجزائريون عبر القرون، المحدثون الجزائريون عبر القرون، المجتهدون الجزائريون عبر القرون، القضاء الإسلامي والقضاة الجزائريون، القضاء في نشأته وتطوره " من غلاف مؤلفه المفسرون الجزائريون عبر القرون. محمد المختار اسكندر : المفسرون الجزائريون عبر القرون (بحث تاريخي يعرف بالعلماء الجزائريين لدى تفسيرهم للقرآن الكريم رواية ودراية منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر)من السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي. مطبعة دحلب، شارع طرابلس حسين داي، الجزائر، **1991**م

خلاله التعريف بالعلماء الجزائريين لدى تفسيرهم للقرآن الكريم وذلك في ملتقى وطني في سيدي عقبة تحت عنوان " الأيام الدراسية للفتوحات الإسلامية للمغرب العربي ومساهمة الجزائريين في التراث الإنساني " حيث بيّن فضيلته بكل أدب جم وتواضع رفيع بعد أن أورد كلام الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي حينما استشهد بالعلامة المفسر الشيخ أبو عبد الله الشريف التلمساني في القرن الثامن الهجري، على الرغم من وجود أكثر من (16) ستة عشر من المفسرين على اختلاف أرجاء الوطن، بيّن فضيلته أن هذا ما حضر العلامة الإبراهيمي في مقام الاحتفال باختتام دروس التفسير للشيخ العلامة ابن باديس نظرا لشهرته الكبيرة، بيد أنه من باب الأمانة للعلم رأى فضيلته الرجوع إلى أبعد من القرن الثامن الهجري " فأول المفسرين للقرآن الكريم في القطر الجزائري هو عبد الرحمن بن رستم في القرن الثاني الهجري سنة 160هـ وفي أول دولة جزائرية حرة مستقلة كان هذا العبقري على جانب عظيم من العلم والعمل وطبق الديمقراطية الصحيحة والعدالة الاجتماعية . ."[1]

ثم ينتقل فضيلته " إلى القرن الثالث الهجري نجد وبالضبط 250هـ، نجد مفسرا ألا وهو هود بن محكم الهواري الأوراسي، فلا غرابة ولا عجب أن تكون هذه المنطقة في القديم بداية التفسير، وفي العصر الحديث بداية التحرير . . ." [2] .إن أبحاث الأستاذ محمد المختار اسكندر، تمثل نافذة مهمة تغري الباحث للولوج لحقل التفسير القرآني وما يحتوي عليه من قيمة لغوية ونظرات أدبية، وما أكثرها ، وما أوسعها ، لا سيما إذا تآزر على تبيانها من سمع فضلها فأوعى، ولدرس خصائصها راح يسعى. مشمّرا عن ساعد الجد والاجتهاد، خدمة لدينه ولغته وهوية أمته .

---

[1] محمد المختار اسكندر : المفسرون الجزائريون عبر القرون (بحث تاريخي يعرف بالعلماء الجزائريين لدى تفسيرهم للقرآن الكريم رواية ودراية منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر)من السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي. مطبعة دحلب، شارع طرابلس حسين داي، الجزائر، **1991**م .ص: **14**.

[2] المرجع نفسه. ص: **14**، **15**.

7) المصادر التي تبحث عن تاريخ المدن الجزائرية :

إن هذه المصادر تقدّم فوائد جمّة لدارسي اللغة والأدب حينما تتعرّض للناحية الثقافية لهذه المدن الجزائرية العريقة، والتي تشكل في مجموعها محيطا حضاريا متكاملا، أمدّ العالم العربي والإسلامي بمجموعة من نفائس الكتب في مختلف المجالات العلمية، من هنا ألفينا المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ينبش في تاريخ الجزائر والمدية ومليانة، فيرى فيها كنوزا وعلوما، ومآثر تستحق التنويه والإشادة والتسجيل حتى لا تعصف بها معاول النسيان، ففي موسمها اللفي (1370/360هـ الموافق لـ 1971/970م)، فبعد رصده لآيات الفن المعماري وبدائع الصناعة الهندسية في القطر الجزائري، أتحف القارئ بمعالم الحياة الثقافية بمختلف تجلياتها الدينية والعقلية والأدبية، مبينا أن حياة مدينة الجزائر العلمية والثقافية منذ تأسيسها على يد بلكين إلى الآن هي حياة خصبة متعددة الجوانب، متنوعة الموضوعات . . . .وتحدّث عن بعض أولئك النوابغ، الذين أثروا الحياة العلمية للجزائر، وجعلوا منها زهرة المدائن، وروضة الأماكن، يقصدها العلماء والأدباء، والشعراء . . . . كل به شوق وشيد حب لهذه البلاد الطيبة، فمن أولئك النابغين " أبو محمد عبد المنعم الجزائري، وأخذ عن ابن مندا س الجزائي، واشتهر بالشعر والترسل الديواني . . . ومحمد بن منداس المتوفى سنى 643هـ وكان أديبا لغويا ومحدثا . . . . ونبغ في القرن التاسع أعلام في الفقه والتصوف والكلام، من أشهرهم : عبد الرحمن الثعالبي صاحب المؤلفات الكثيرة الذي ولد سنة 785هـ والمتوفى سنة 875هـ . . .وشيخه أبو جمعة وكان مشهورا بعلمه وتقواه، وأحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي، كان فقيها متكلما، وأديبا شاعرا، وقد اشتهر بلاميته في التوحيد وكان صديقا للثعالبي، وقد رثاه بعد وفاته بقصيدة مطلعها :

لقد جزعت نفسي لفقد أحبتي وحق لها من مثل ذلك تجزع[1]

كما تحدث الشيخ المرحوم عبد الرحمن الجيلالي، عن نوابغ وعلماء الجزائر في العهد التركي، وقد ساهموا في الحركة الأدبية والحركة الثقافية بوجه عام لهذه المدينة الزاهرة، فذكر من بينهم : " العلامة يحي الشاوي الذي نشأ بالجزائر وأخذ بها عن سعيد قدورة وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي ومحمد بن محمد بهلول الزواوي السعدي وأجازه شيوخه وارتحل إلى مصر سنة 1074هـ واستجاز علماءها وأجازوه وظهر عليهم بحفظه، وله من المؤلفات في بيان ما للبخاري من التصحيح وحواشي على التسهيل واللفية لابن مالك وتوفي على ظهر البحر سنة 1096هـ ونقل إلى مصر ودفن بها " [2] وذكر الشيخ " الشيخ عبد الرزاق بن حميدوش الجزائري وعاش في القرن الثاني عشر واشتهر بكتابه الطبي(كشف الرموز والأعشاب) [3].

وهناك كتاب " أعلام مدينة الجزائر ومتيجة " ومن خلاله يلتقي القارئ مع ثلّة من الأعلام البارزين، الذين كانت لهم مشاركات وحضور أدبي وفنيّ فاعل في مختلف المجالات، وعلى سبيل المثال يجد متتبع الحركة الأدبية ترجمة للأمير مصطفى بن إبراهيم بن مصطفى باشا من أمراء مدينة الجزائر ومؤلف رواية " حكاية العشاق في الحب والاشتياق " [4] وأهمية هذه الحكاية وأثرها في اللغة والأدب واضح وجليّ لدى الدارسين الذين تعرّضوا لها مفصحين عن جمالياتها شكلا ومضمونا .

---

[1] الشيخ عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ المدن الثلاث، الجزائر ـــ المدية ـــ مليانة. دار الأمة، للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2007م. ص : 224، 225 .

[2] المرجع نفسه. ص : 227 .

[3] المرجع نفسه. ص: 227.

[4] مسعود كواتي ومحمد الشريف سيدي موسى : أعلام مدينة الجزائر ومتيجة. منشورات الحضارة بئر التوتة، الجزائر، ط2، 2010 .ص: 23.

8) المصادر المهتمة بأدب الرحلة :

وهذه المصادر المهتمة بأدب الرحلة[1] متعدّدة الفوائد (لغوية، أدبية، تاريخية، اقتصادية، اجتماعية . . .) وتمد الباحث بجملة من الإسهامات الجزائرية في اللغة والأدب، لأن هؤلاء الرحّالة كانوا بمثابة شاهد عيان على الوقائع والأحداث، ومنها كتاب " رحلات جزائرية " التي " تقدم لنا صورة عامة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية التي كانت تسود شرق وجنوب الجزائر " [2]وهذا في الثلث الأول من القرن العشرين زمن الرحلات

وهناك طائفة من العلماء والأدباء يمّموا وجوههم شطر المشرق العربي بعد خدمتهم العلمية في أوطانهم، وذلك حبا للرحلة الأدبية والعلمية من بينهم " العلامة أحمد بن عمار الجزائري العالم الأديب الرحالة وكان من نوابغ عصره، رحل إلى المشرق في أوائل سنة 1166هـ واشتهر برحلته التي بقي منها نبذة قليلة، وتوفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري ن وعلي بن محمد الجزائري المتوفى سنة 1185هـ، وكان يعرف بابن الترجمان، وانتقل إلى المشرق (وجال في أنحائه، ثم استقر أخيرا بالآستانة وشارك مع الجيش العثماني، وأسر ومات بالتراب الروسي) [3] .

---

[1] أدب الرحلات كتب فيه الرحّالة من المشرق والمغرب، ومن العرب وغير العرب، فمن ذلك : رحلة الغرناطي وقد جاء في استهلال الرحلة للكاتب : محمد أحمد السويدي مايلي " تهدف هذه السلسلة بعثَ واحد من أعرق ألوان الكتابة في ثقافتنا العربية، من خلال تقديم كلاسيكيات أدب الرحلة، إلى جانب الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب ورحّالة عرب ومسلمين جابوا العالم ودوّنوا يومياتهم وانطباعاتهم ..." أبو حامد محمد الغرناطي : تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوربة وآسيا (1690 ــ 1691). حرّرها وقدّم لها : قاسم وهب. دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان. ط1، 2003م .ص:07.

[2] محمد صالح الجابري : رحلات جزائرية. دار الغرب الإسلامي .بيروت، ط1، 2001م .ص: 23.

[3] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ المدن الثلاث ص: 228.

وفي كتاب " تاريخ بني زيان " رصد لمآثر بعض الأدباء الذين ساهموا في رفع رصيد الحركة الأدبية لدولة بني زيان، فمنهم السلطان نفسه أبو حمو الذي كان " له من النثر الرائق، والشعر الفائق، ما ارتفعت صنعته من بلاغة الملوك ومن العلم العقلي والنقلي ما جلا نوره عن الدنيا مدلهمات الحلوك . . .صنف رضي الله عنه كتابا أدبيا ملوكيا لولده المولى أبي تاشفين ولي عهده سماه " نظم السلوك في سياسة الملوك" [1]

ذكر الغبريني [2] رحمه الله صفوة من العلماء سكنوا بجاية ونشروا ودرّسوا بها مختلف علوم اللغة والشريعة، وصنوف الآداب، ومنهم من كانت له صلات بالمشرق مفيدا ومستفيدا ومناظرا لعلمائها وأدبائها، ومن بين من ذكرهم شيخه الفقيه الأستاذ النحوي اللغوي المحصل التاريخي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي، كان متأثرا بأبي الفتح بن جني، شهد له الغبريني بأنه كانت " تقرأ عليه جميع الكتب النحوية واللغوية والأدبية ويقوم على جميعها أحسن قيام، وهو أفضل من لقيت في علم العربية، لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام، وذكر من الكتب التي قرأها "الإيضاح "، و" كتاب سيبويه" و "الأمالي" و" زهر الأدب "، وذكر الغبريني أنه كان " يسلك في شعره على طريق حبيب بن أوس، وكان صاحبه أبو عبد الله الجزائري يسلك في شعره سلوك المتنبي، وكانا يتراسلان

---

[1] محمد بن عبد الله التنسي : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان. مقتطف من : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. حققه وعلق عليه : محمود بوعياد. منشورات ANEP المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية، 1985م. ص : 173.

[2] الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت714هـ) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. تحقيق : محمد بن أبي شنب. دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007م، ص: 33، 34.

الأشعار يجاوب كل واحد منهما الآخر على طريقته [1] ومن قصائده الرائعة التي ذكرها عنوان الدراية تلك القصيدة الرقيقة الزهدية والتي يمدح فيها الحبيب المصطفى[2]:

وَإِنّي لأَدْعُو اللهَ دَعْوَةَ مُذْنِبٍ   عَسَى أَنظُرَ البَيْتَ العَتِيقَ وَأَلْثِمِ

فَيَا طُولَ شَوْقِي لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ   وَيَا شَدَّ مَا يَلْقَى الفُؤَادُ وَيَكْتُمِ

تَوَهَمْتُ مِنْ طُولِ الْحِسَابِ وَهَوْلِهِ   وكَثْرَةِ ذَنْبِي كَيْفَ لاَ أَتَوَهَمِ

إلى أن يقول :

فَيَا سَامِعَ الشَّكْوَى أَقِلْنِي عَثْرَتِي   فَإِنَّكَ يَا مَوْلاَيَ تَعْفُو وَتَرْحَمِ

مؤلفات المستشرقين حول الإسهامات الجزائرية ويجد الدارس في بعض أعمال المستشرقين والمستعربين حقائق جديرة بالتوقف عندها لما تحمله من بصمات عن خصيصة المصنفات التي قدمها علماء الجزائر لا سيما أولئك الذين لم ينالوا حظهم من الدرس والتحليل، ومن ذلك أعمال "تاديوس ليفيتسكي عن المغرب والإباضيين بصورة خاصة " وهو رجل بولوني معروف بأعماله عن الجغرافيين والرحالة العرب. . . ويعتبر إلى ذلك اختصاصيا بالدراسات عن العالم البربري في شمال إفريقيا وبالتحديد ما يختص بالإباضية وتاريخها وأصولها العقدية [3]، ويمكن الاستفادة أدبيا من بعض مؤلفات الإباضية في فن السير والتراجم، وأسلوبية الكتابة الفنية من خلال تلك المصنفات، ومن بينهم " أبو العباس الأحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن

---

[1] المصدر نفسه. ص: **36** .

[2] المصدر نفسه. ص: **34**، **35** .

[3] **تاديوس ليفيتسكي : المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية. ترجمة : ماهر جرّار و ريما جرّار. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م. ص: 185 .**

يَخْلَف الدَّرجيني : مفتٍ وشاعر ومؤرخ إباضي من القرن السابع الهجري، مؤلف عمل تاريخي وسيري عن الإباضيين يعرف بـ كتاب طبقات المشايخ"[1] .

الخاتمة :

إن العطاء الأدبي واللغوي لعلماء الجزائر لم ينقطع عبر العصور، حتى في الفترات الحالكة التي شهدتها الجزائر، وهذا بفضل الله ورحمته، وتوفيق منه سبحانه لأهل العلم والإيمان، لتبقى مواريث الكتاب والسنة وما يتصل بهما من علوم وآداب باقية تشهد على عظمة هذا الدين الحنيف وسر خلوده، وما هذا البقاء على الرغم من كيد الكائدين ،إلا دليلا ساطعا وبرهانا جلّيا على رسوخ قدم هذا القطر في جذوره التاريخية، وعناصر هويته القويمة التي طالما حاول الظالمون، أن يطمسوها بما يوحي لهم شياطين الإنس والجن من وسائل الفتك والإجرام، وطرق البغي والعدوان بيد أن كل تلك المحاولات باءت بالفشل، وانقلب الأعداء على أعقابهم ينكصون، بفضل الله تعالى الذي كتب العزة لنفسه ولرسوله وللمؤمنين الصادقين الصابرين المحتسبين، من هنا فإن الدَّين كبير والحمل ثقيل على جيل اليوم بمختلف مكوناته وفعالياته، لنشر تراث علماء الجزائر الأعلام عبر العصور، ولنفض الغبار عن رفوف المكتبات المتبقية لاستخراج كنوزها ونشر دررها، عبر فرق البحث العلمي، والرسائل الأكاديمية، والجهود الشخصية والمؤسساتية .

---

[1] المرجع نفسه.ص**52**.

التفاعل اللغوي بين السنسكريتية و العربية

مدخل لساني تاريخي تحليلي مقارن

أ. د. محمد ثناء الله الندوي

قسم اللغة العربية و آدابها

جامعة على كره، الهند

توطئة:

يندرج مبحث المشترك العربى السنسكريتى ضمن خطاب المشترك السامى الهندأوربى الذى يدرس المشترك اللغوي بين لغات فصيلتين لغويتين: الهندأوربية و السامية، على أن المشترك السامى السنسكريتى يلزم الباحث معرفة نخبة من اللغات السامية مثل العبرية و الحبشية والسريانية و الآرامية و العربية، إضافة معرفته للغة السنسكريتية. اللغة السنسكريتية Sanskrit هى إحدى أقدم اللغات المعروفة بإنتاج التراث الدينى و الأدبى و العلمى. وكلمة سنسكريت المشتقة من Samskrta تعنى ما قُعّد وصُقِل. ظهرت هذه اللغة أصلاً في المنطقة الشمالية الغربية من شبه القارة الهندية ثم انتشرت جنوباً وشرقاً، ووصلت إلى ذروتها في الألف الأولى بعد الميلاد، إذ صارت لغة الثقافة والشعائر الدينية في معظم جنوبى وجنوب شرقى القارة الآسيوية، لكونها لغة الديانة الهندوسية. يُقسم تاريخ التراث السنسكريتى عادة إلى ثلاث مراحل، هى: الفيدية Veda، والملحمية، والاتباعية (الكلاسيكية). وأقدم نص مدون معروف هو (ريغ فيدا) Rig Veda الذي يضم

الأناشيد الربانية التي نُظمت ما بين 1500 و1000 ق.م، واستمر نظم الجديد منها حتى القرن الخامس ق.م حين ظهرت البوذية والجاينية Jainism .[1]

و قد أسهم لموضوع المشترك العربي السنسكريتي أساسا فى تنظيم اللسانيات التقابلية التطبيقية فى القرن العشرين، على أن تاريخ اللسانيات المعروف (العلم الذي يهتم بدراسة اللغات الإنسانية ودراسة خصائصها وتراكيبها ودرجات التشابه والتباين فيما بينها) يعود لبضع آلاف من السنين، ويعود الدرس اللساني الأقدم توثيقاً للهند حيث لعبت العقيدة الدينية دوراً هاماً في التأسيس له حوالي 2500 ق.م حين لاحظ الكهنة أن اللغة التي يستخدمونها في شعائرهم تختلف عن لغة الفيدا (Veda) (النصوص المقدسة المصاغة بلغة الهند القديمة) واعتقدوا أن نجاح بعض الطقوس يحتاج لاستخدام اللغة القديمة مما يستلزم إعادة إنتاجها، فقام الكاهن المدعو ب"بانيني" (पाणिनि : Panini, c. 600-500

---

[1] أنظر:

Burrow, T. (2001), *Sanskrit language*, Motilal Banarsidass, ISBN 81-208-1767-2, pp. 56-67, Pollock, Sheldon I. (2006), *The language of the gods in the world of men: Sanskrit, culture, and power in premodern India*, University of California Press, ISBN 978-0-520-24500-6, p. 34, MacDonell, Arthur Anthony (1900), *A History of Sanskrit Literature*, Kessinger Publishing (2004), ISBN 14179-0619-7, pp. 45-67, Salomon, Richard (1998), *Indian epigraphy: a guide to the study of inscriptions in Sanskrit, Prakrit, and the other Indo-Aryan languages*, New York: Oxford University Press, ISBN 0-19-509984-2, pp. 78-97, Masica, Colin (1991), *The Indo-Aryan Languages*, Cambridge: Cambridge University Press, ISBN 978-0-521-29944-2, pp. 34-37, Chatterji, Suniti Kumar (1960), *Indo-Aryan and Hindi*, Firma K. L. Mukhopadhya, pp. 12-35.

BCE) فى تأليفه[1] : *Aṣṭādhyāyī* अष्टाध्यायी (و آخرون مثل بهته فى كتابه "بهته كاويا" *Bhaṭṭikāvya*، و باتنجلي (Patañjali, fl. 150 BC) فى كتابه "مها بهاسيه" Mahābhāṣya بتقنين القواعد النحوية الحاكمة للغة السنسكريتية حتى يمكن استخدامها كلغة طقوس دينية دائمة.[2] نشأ علم الصوتيات (Phonetics) الذي دفع علماء اللغويات للمقارنة بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوروبية،[3] وأدى إلى نشوء الدراسات اللغوية الهند أوروبية.

---

[1] أنظر:

Goldman, Robert P. (1999), *Devavāṇīpraveśikā: An Introduction to the Sanskrit Language*. Berkeley: Center for South Asia Studies, University of California, pp. 24-35.

[2] يراجع:

Edgerton, F. (1953), *Buddhist Hybrid Sanskrit grammar and dictionary*, New Haven: Yale University Press, pp. 34-40, Oberlies, Thomas (2003), *A Grammar of Epic Sanskrit*, Walter de Gruyter, ISBN 3-11-014448-4, p. 23, Whitney, William Dwight (1889), *Sanskrit Grammar: Including both the Classical Language and the Older Dialects*, Breitkopf & Härtel, pp. 78-100.

[3] أنظر:

Stiehl, Ulrich (2011), *The Original Pronunciation of Sanskrit*, Germany: Verlag Forkel, ISBN 978-3-7719-0086-1, 978-3-7719-0085-4, 978-3-87081-539-4, p. 105, Cameron, Bruce (1992), *Sanskrit Pronunciation*, S.l.: Theosophical Univ Press, ISBN 1-55700-021-2, pp. 100-102.

Kale, M. R. (Moreshwar Ramchandra) (1988) [1894], *A Higher Sanskrit Grammar*, Delhi: Motilal Banarsidass, ISBN 81-208-0178-4, p. 98, Maurer, Walter Harding (2000), *The Sanskrit Language: An Introductory Grammar and Reader*, Richmond, Surrey: Curzon

اللسانيات المقارنة و المشترك العربي السنسكريتي:

يبحث علم اللغة المقارن فى الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة، ولذا يقوم المنهج المقارن في علم اللغة على أساس تصنيف اللغات إلى أسرات (بداية من ماكس ميولر الألماني 1823–1900م)[1]، ويقسم اللغويون منذ القرن التاسع عشر اللغات المختلفة إلى مجموعات أو أسرات. فهناك أسرة اللغات الهندية الأوربية التي تضم أكثر لغات المنطقة الممتدة من الهند إلى أوربا، وتضم بذلك عددًا كبيرًا من اللغات التي عرفتها وتعرفها الهند وإيران والقارة الأوربية. وعرف العلماء الأوربيون في القرن التاسع عشر أيضا أن العربية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية التي تضم أيضا اللغات العبرية والآرامية والأكادية والحبشية وقد تمكن العلماء من تقسيم اللغات المختلفة إلى أسرات أو فصائل بمقارنة هذه اللغات واكتشاف أوجه التشابه بينها من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. ووجود جوانب شبه أساسية بين عدد من اللغات معناه أنها انحدرت من أصل واحد مشترك أي من اللغة الأولى التي خرجت عنها هذه اللغات على مر التاريخ. وجد العلماء ظواهر مشتركة في اللغات المنتشرة على مدى القرون بين إيران والهند وأوربا . فعدوا هذه اللغات أسرة لغوية واحدة خرجت لغاتها عن لغة قديمة

Press, ISBN 0-7007-1382-4, pp.21-32, Whitney, William Dwight *The Roots, Verb-Forms and Primary Derivatives of the Sanskrit Language*, pp. 54-67.

[1] أنظر:

***A History of Ancient Sanskrit Literature So Far As It Illustrates the Primitive Religion of the Brahmans* (1859)**

مفترضة أطلق عليها العلماء إسم اللغة الهندية الأوربية Proto-Indo-European. ووجد العلماء اللغات العربية والعبرية والفينيقية والآكادية والحبشية تحمل بعض الخصائص الأساسية المشتركة فاستنتجوا أنها لغات تشكل أسرة لغوية واحدة وأنها انحدرت من أصل واحد أطلقوا عليه: اللغة السامية الأولى Proto-Semitic أو Ursemitisch و فصيلة اللغات الحامية: منها اللغة المصرية القديمة أو القبطية و اللغات البربرية و اللغات الكوشية: (نسبة إلى كوش بن حام، ومن أفرادها اللغة الصومالية) و فصيلة اللغات السامية (أبرز أفرادها : اللغات الآكادية و هى البابلية والآشورية منسوبة إلى بلاد آكاد حيث أسس الساميون مملكتهم على أنقاض حضارة سومر) و اللغات الكنعانية: اللغة الفينقية و العبرية، و اللغات الآرامية، و اللغات اليمنية القديمة [1]، و اللغة العربية و لهجاتها المختلفة، و اللغات الحبشية السامية. [2] فعلم اللغات السامية المقارن يقارن اللغات الآكادية والأجريتية والعبرية والفينيقية والآرامية والعربية الجنوبية والعبرية الشمالية والحبشية. [3]

مميزات السنسكريتية اللسانية:

تمتلك اللغة السنسكريتية، كسائر اللغات الهندية الأوربية القديمة، صيغة المثنى إلى جانب المفرد والجمع، وكذلك صيغة المحايد إلى جانب المذكر والمؤنث. كما تمتلك ثماني حالات

---

[1] يراجع: هاشم الطعان :تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة، مطبعة الإرشاد– بغداد **1968**.

[2] أنظر موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر (بيروت: دار الرقي، **1986**م)، بروكلمان: فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب (مطبوعات جامعة الرياض، السعودية، **1397** هـ/**1977**م، حسن ظاظا: الساميون و لغاتهم (القاهرة: دار المعارف، **1981**م)

[3] أنظر: علي العناني وليون محرز ومحمد عطية الأبراشي: المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية (القاهرة: وزارة المعارف، **1947**م)

إعرابية هى: الرفع، النصب، المفعول به الثانى، المفعول فيه، المضاف إليه، الظرفية، المنادى، الأدوات المساعدة. أما حروف الكتابة فيفوق عددها المئة، وهى بالغة التعقيد بحيث تصعب ترجمتها نطقاً بحروف لغات أخرى، بسبب تعدد أشكال لفظ الصوامت والصوائت والإدغام بين قصير ومتوسط وطويل.[1] وتسمى هذه الأبجدية (ديفاناغاري) Devanagari، أي كتابة مدينة الآلهة.

تعد جهود القدماء من الهنود في الدراسات اللغوية أقدم ما وصل إلينا؛ لأنها تعود إلى الفترة التي تبدأ بالقرن السابع قبل الميلاد .وقد اهتموا باللغة السنسكريتية لغة الهند القديمة، وقدموا لها الكثير من الدراسات العلمية الدقيقة المنظمة، وهي دراسات تعتمد على المنهج الوصفي الذي اهتم بالنظر في الاستعمال اللغوي و تسجيله وتحليله على نحو ما ورد في النص، دون الإغراق في الجدل، أو الخوض في التعقيدات و التعليلات الفلسفية و المنطقية، وظهرت بحوث تدور حول تحليل الفروع اللغوية المختلفة كالأصوات، واشتقاق الكلمات و النحو و الدلالة و المعجمات؛ لذلك نستطيع أن نقول إن الباحثين الهنود غطوا ما يتصل بحقل الدراسة اللغوية الوصفية في الفترة الزمنية التي بدأوا فيها .[2]

---

[1] أنظر:

Abhyankar, Kashinath V. (1986), ***A Dictionary of Sanskrit Grammar*****, Gaekwad's Oriental Series 134, Baroda: Oriental Institute, pp. 112-113, Monier-Williams, Monier (1898),** ***A Sanskrit-English Dictionary*****, pp. 225-235.**

[2] **محمود سليمان ياقوت: منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط1، 2000، ص16، 17، 18 بتصرف.**

أما في مجال الصوتيات فترك الهنود ملاحظات جد صائبة في وصف نظام لغتهم الصوتي اعتمادا على مبدأ السماع، بل إن النتائج التي توصلوا إليها تشبه إلى حد بعيد نتائج اللسانيات الحديثة في مجال الصوتيات، ويعتقد بعض الباحثين أن هنري سويت مؤسس الصوتيات الإنجليزية قد بدأ درسه الصوتي من حيث انتهى الهنود ،ويؤرخ لهذه الأعمال ما بين 8 ق م و150 ق م. ويمكن أن نطّلع في هذا الإطار على وصفهم للجهاز النطقي من خلال تقسيم أعضاء النطق إلى أعضاء فموية (أسنان، لسان، شفتين، أو أعضاء غير فموية (مزمار، رئتين، فراغ أنفي)، ويبدو إدراكهم لأثر هذه الأعضاء في تحديد صفات الصوت اللغوي واضحا فيما وصل من آراء، كما قسموا الأصوات إلى أصوات أنفية وغير أنفية ؛ أما منهجهم في وصف الأصوات فقد انطلق من أقصى الحلق إلى الشفتين ،كما قسموا الأصوات بسبب وضعية الإعاقة التي تعترض الهواء أثناء النطق مما جعلهم يميزون بين أصوات صوامت وقفية وأنفية واحتكاكية وأشباه صوائت وصوائت. وقد تم التمييز بين الجهر والهمس بالرجوع إلى انغلاق أو انفتاح المزمار، وإلى جانب هذه الاهتمامات الصوتية ألمع الهنود إلى وجود ثلاث نغمات في السنسكريتية الفيدية وهي النغمة العالية والمنخفضة والهابطة، كما تحدثوا عن المقطع وطول ومدة الصوت أثناء النطق به.[1]

قانون الاحتكاك بين الشعوب و اللغات:

احتكاك الشعوب وتعايشها معا يؤثر على اللغات التى تتكلمها فتتسرب الكلمات من لغة إلى أخرى، ويتناسب حجم ما يتسرب من لغة إلى غيرها من اللغات تناسبا طرديا مع تأثير الشعب الذي يتكلم تلك اللغة على غيره من الشعوب التي تتعايش معه .الحروب والغزوات

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح : مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص**37–38**

التى تنتهى دائما بانتصار طرف على طرف وخضوع المهزوم للمنتصر هى من أكبر الأسباب لاحتكاك اللغات وامتزاجها ونشوء لغات جديدة تكون خليطا من لغات الأقوام التى تعيش معا إثر اكتساح الجيوش لحدود دول أخرى. وتتعدد أسباب احتكاك الشعوب التى تؤدي بدورها إلى احتكاك اللغات وتسريب الكلمات فيما بينها، فبالإضافة إلى الاكتساح والاحتلال بالحرب، هناك الهجرة والتجارة وحركة الترجمة وانتشار الدين. ودور التبادل التجاري فيما بين الأمم دور مشهود في انتقال الكلمات بين اللغات، فقد شهدت منطقة الجزيرة والهلال الخصيب قديما اختلاطا في كثير من الكلام بسبب كون المنطقة حلقة وصل للتجارة بين الشرق والغرب، فقد دخل العربية كلمات من الفارسية [1] واليونانية والسريانية، ولكنها تظل كلمات تعنى مصنوعات أو أدوات مستحدثة أو أنواعا من المأكولات والمشروبات الخ ... والكلمات اليونانية التى دخلت إلى اللغة العربية إثر ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية أيام الدولة العباسية شاهد على مساهمة الترجمة وانتقال العلوم في اقتباس الأسماء العلمية والأدبية والفلسفية. [2]

لقد احتكت اللغة العربية من قبل الإسلام ومن بعده بلغات أخرى من فصيلتها ومن غير فصيلتها. فقد توثقت العلاقات المادية والثقافية منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم الآراميين في الشمال واليمنيين في الجنوب و حتى الهنود[3] عن طريق التجارة والهجرة والرحلات

---

[1] للفارسية أنظر: أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت **1908**. طهران **1965.**

[2] أنظر: أنظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، القاهرة **1950**، **1961**، -دلالة الألفاظ، القاهرة **1958**، -طرق تنمية الألفاظ في اللغة، القاهرة د. ت، -اللغة بين القومية والعالمية، القاهرة **1970**، -اللهجات العربية، القاهرة ط. ثانية **1952.**، -من أسرار اللغة، القاهرة **1951**، **1966.** إبراهيم السامرائي: الأب أنستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية، القاهرة **199**، -التطور اللغوي التاريخي، القاهرة **1966**.

[3] أنظر للباحث: التراث الهندي في الحضارة الإسلامية، مجلة المجمع العلمي الهندي، المجلد الثالث عشر، العدد المزدوج **1–2**، ص **422–257**.

فكان لزاما أن تتأثر هذه اللغات إحداهما بالأخرى. وقد ظهر لكثير من المحققين أن الكلمات العربية الدالة على مظاهر الحياة التى لم تكن مألوفة في البيئة العربية الأولى، معظمها قد انتقلت إلى العربية من الآرامية مثل الكلمات المتعلقة بمنتجات الصاناعة وشؤن التفكير الفلسفى والمتصلة بما وراء الطبيعية، كما قد انتقل إلى العربية كثير من آثار اللغات اليمنية، غير أنه من المتعذر على ضوء معلوماتنا الضئيلة في هذا الصدد أن نميز ما انتقل إلى العربية من اللغات اليمنية القديمة. ثم أدت الفتوح العربية بعد الإسلام إلى امتزاج العرب واحتكاكهم بكثير من الشعوب، فاشتبكت لغتهم مع اللغات الآرامية في سوريا ولبنان والعراق، ومع القبطية بمصر، ومع البربرية في شمال أفرقيا، ومع الفارسية بإيران، ومع التركية ببلاد المغول، ومع القوطية بإسبانيا . فتأثرها بالسريانية مثلا كان أظهر كثيرا من تأثرها بالقبطية والبربرية، بل أنها لم تكد تأثر بها بين اللغتين الأخيرتين إلا فى اللهجات العامية في مصر وشمال أفرقيا . وقد انتقل إليها عن طريق السريانية بعض كلمات يونانية كانت السريانية قد اقتباسها من اليونانية من قبل (إنجيل، أسطوانة، أسقف، ناموس، أسفنج . . .) . هذا المبحث يندرج عامة فى كتب مفردات القرآن .[1]

السؤال عن أطوار النشأة الأولى للغة العربية ذو أبعاد متعددة بنية و دلالة، و قد عالجها مؤرخو اللسان العربي فى أعمالهم الكبيرة (الكرملى، جواد علي، و سواهما)[2] بما فيها

---

[1] أنظر: الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، حققه: ساخاو **Sachau** في ليبزج **1827**، وأحمد محمد شاكر بالقاهرة، دار الكتب **1360** وطبع بعد ذلك مصورًا في طهران **1966**، والقاهرة **1969**، الخفاجي، شهاب الدين: -شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، القاهرة **1282**، **1325**هـ، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، القاهرة **1324**.

[2] أنظر: انستاس ماري الكرملي: نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها، القاهرة ،**1938.** جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام **8** أجزاء، بغداد **1950.**

مباحث تاريخية أثرية يستعان فيها بالنصوص الحجرية التي أخرجت من بطون الجزيرة،[1] على أنها لا تزال لندرتها قليلة الغناء؛ وحدوث هذه الأطوار التي أتت على اللغة فوحَدت لهجاتها وهذبت كلماتها معلوم بأدلة العقل والنقل، فإن العرب كانوا أميين لا تربطهم تجارة ولا إمارة ولا دين، فكان من الطبيعي أن ينشأ من ذلك ومن اختلاف الوضع والارتجال، ومن كثرة الحل والترحال، وتأثير الخلطة والاعتزال، اضطراب في اللغة كالترادف، واختلاف اللهجات في الإبدال والإعلال والبناء والإعراب، و هَنات المنطق كعجعجة قُضاعة (العجعجة: قلب الياء جيما بعد العين وبعد الياء المشددة، مثل راعي يقولون فيها: راعج. وفي كرسي كرسج)، وطمطمانية حِمْير(الطمطمانية: هي جعل إم بدل أل في التعريف، فيقولون في البر: أمبر، وفي الصيام أمصيام)، وفحفحة هذيل(الفحفحة: هي جعل الحاء عيناً، مثل:أحل إليه فيقولون أعل إليه.)، وعنعنة تميم (العنعنة: هي إبدال العين في الهمزة إذا وقعت في أول الكلمة، فيقولون في أمان: عمان.)، وكشكشة أسد(الكشكشة: جعل الكاف شيناً مثل : عليك فيقولونها: عليش.)، وقطْعةِ طيئ (القطعة: هي حذف آخر الكلمة، مثل قولهم: يا أبا الحسن،

---

[1] يراجع:

Winnett, F.V. and W.L. Read. Ancient Records from North Arabia (Toronto 1970)

Winnett, F.V. and W.L. Read., A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions (Toronto 1937), pp. 67-89, Wright, W, Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic languages. Ed. by W.R. Smith (Cambridge 1890. Reprint: 1966), pp. 10-34,

Young, G.D., Concordance of Ugaritic. (Analecta Orientalia 36), Roma: Pontificium Institutum Biblicum 1956 (k. literatury z Ras Szamra), pp. 13-23.

تصبح: يا أبا الحسا .)، وغير ذلك مما باعد بين الألسنة وأوشك أن يقسم اللغة إلى لغات لا يتفاهم أهلها ولا يتقارب أصلها . لغات العرب على تعددها واختلافها إنما ترجع إلى لغتين أصليتين: لغة الشمال ولغة الجنوب. وبين اللغتين بون بعيد في الإعراب والضمائر وأحوال الاشتقاق [1] والتصريف، حتى قال أبو عمرو بن العلاء:(ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا) . على أن اللغتين وإن اختلفتا لم تكن إحداهم بمعزل عن الأخرى، فإن القحطانيين جلوا عن ديارهم بعد سيل العرم – قد حدث 447 م كما حققه غلازر الألماني– وتفرقوا في شمال الجزيرة واستطاعوا بما لهم من قوة، وبما كانوا عليه من رقي، أن يخضعوا العدنانيين لسلطانهم في العراق والشام، كما أخضعوهم من قبل لسلطانهم في اليمن. فكان إذن بين الشعبين اتصال سياسي وتجاري يقرب بين اللغتين في الألفاظ، ويجانس بين اللهجتين في المنطق، دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى، لقوة القحطانيين من جهة، ولاعتصام العدنانيين بالصحراء من جهة أخرى. وتطاول الأمد على هذه الحال حتى القرن السادس للميلاد، فأخذت دولة الحميريين تزول وسلطانهم يزول بتغلب الأحباش على اليمن طوراً وتسلَط الفرس عليه طوراً آخر. وكان العدنانيون حينئذ على نقيض هؤلاء تتهيأ لهم أسباب النهضة والألفة والوحدة والاستقلال، بفضل الأسواق والحج، ومنافستهم للحميريين والفرس، واختلاطهم بالروم والحبشة من طريق الحرب والتجارة، ففرضوا لغتهم وأَدبهم على حمير الذليلة المغلوبة، ثم جاء الإسلام فساعد العوامل المتقدمة على محو اللهجات الجنوبية وذهاب القومية اليمنية، فاندثرت لغة حمير وآدابهم وأخبارهم حتى اليوم.

[1] أنظر فيه: إبن دريد: الاشتقاق، ط جوتنجن ،1584 ثم حققه عبد السلام هارون القاهرة 1958.

معروف أن وليم جونز (Sir William Jones, 1746-1794) أسس علم اللسانيات المقارن[1] (بالإنجليزية: Comparative Linguistics) في نهاية القرن الثامن عشر لدراسة وتحليل النصوص المكتوبة بلغات مختلفة لكنها ذات صلة، وأشار إلى وجود علاقة بين كل من اللغة اللاتينية واليونانية و الفارسية والسنسكريتية توحي بنشوئها من مصدر واحد نتيجة ما لاحظه من تشابه معاني (أصوات متشابهة) في اللغات الثلاث فعلى سبيل المثال كلمة *frater* اللاتينية، وكلمة *phrater* اليونانية، وكلمة *bhratar* في اللغة السنسكريتية تعني كلها (أخ) مما دفع بعض علماء اللسانيات لدراسة العلاقة بين اللغات المختلفة، والتفاعلات الناشئة عن حوار متحدثين من خلفيات ثقافية مختلفة، ومساعدة الراغبين في تعلم لغات غير لغتهم الأصلية.[2]

---

[1] أنظر :

R.H. Robin, A Short History of Linguistics (London, 1967), pp. 164-197, Garland Cannon, The Life and Mind of Oriental Jones: Sir William Jones, the Father of Modern Linguistics. Cambridge University Press; 1 edition (March 30, 2006)

[2] **وليم جونز مستشرق وحقوقي بريطاني ولد في مدينة لندن، ودرس في مدرسة هارو Harrow حيث بدأ بتعلم اللغات ومنها العربية، ثم درس في جامعة أكسفورد حيث تعلم اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والفارسية والتركية، وتخرج فيها عام 1768. تعلم خلال حياته ما يقارب ثمانٍ وعشرين لغة منها الصينية التي تعلمها بنفسه. توجه بعد عمله لسنوات عدة في الترجمة والبحث نحو الحقوق وصار محامياً، إلا أن اهتمامه بالدراسات الشرقية ظل يلازمه حتى وفاته في مدينة كلكتا. "قواعد اللغة الفارسية" (1771) Grammar of the Persian Language أول إنجازاته في مجال الدراسات الشرقية، وترجم الكثير عن الفارسية والعربية، وأهم ترجماته عن العربية «المعلقات» (1782) Moallakât التي عرّفت الجمهور البريطاني بالشعر العربي الجاهلي. تعلم السنسكريتية بعد أن عُيّن قاضياً في المحكمة العليا في كلكتا عام 1783، فترجم من أعمال الشاعر والمسرحي الهندي كاليداسا Kalidasa مسرحية «شاكونتالا» Shakuntala و"شرائع**

اللغة السنسكريتية أقدم لغة فى فصيلة اللغات الهند أوروبية، و فى هذا السياق تبرز أهمية دراسة التفاعل اللغوي بين اللغات السامية (واللغة العربية فى هذا البحث بالضبط) و اللغة السنسكريتية، مركزا على المشترك العربي السنسكريتي أو المفردات التى توجد فى العربية و السنسكريتية مع رجوعها إلى أصل واحد فى البنية فى جانبين هما:

مانو" Laws of Manu التي أصبحت مثلاً يُحتذى في الترجمة. أسس جونز جمعية البنغال الآسيوية Asiatic Society of Bengal عام 1784 التي كان هدفها تشجيع الدراسات الشرقية، وألقى فيها عام 1786 محاضرة حول نشوء اللغات وانتماء اليونانية واللاتينية إلى أسرة لغوية واحدة هي اللغات الهندية ــ الأوربية الأصلية Proto-Indo-European التي تنتمي إليها اللغة السنسكريتية ليصبح بذلك من رواد علم اللغة المقارن. ونشر أيضاً "قانون المواريث الإسلامي" (1792) Muhammedan Law of Inheritance و«مؤسسات الشريعة الهندوسية» (1794) Institutes of Hindu Law.

أنظر وليم جونز: (1786) *The Sanscrit Language*

Cannon, Garland H.; & Brine, Kevin. (1995). *Objects of enquiry: Life, contributions and influence of Sir William Jones.* New York: New York University Press.

ألف فريدريك فون شليغل (Friedrich Von Schlegel) كتابه الهام بعنوان (عن اللغة والمعرفة عند الهنود)، وأصدره في عام 1808 ودرس فيه علماً مهماً من فروع علم اللغة العام وهو (علم النحو)، ودعا في هذا الكتاب إلى الاهتمام بـــ (النحو المقارن). و ألف العالم اللغوي الشهير فرانز بوب (Franz Popp) كتابه الهام الذي كان اللبنة الأولى في تمظهر وتأسيس علم آخر من فروع علم اللغة العام، وهو (علم التصريف أو الصرف)، وكان الكتاب بعنوان (نظام التصريف في اللغة السنسكريتية مقارناً بكل من اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية) وصدر بعام 1816. ثمَّ أصدر بوب في عام 1833 كتابه الثاني بعنوان (النحو المقارن للسنسكريتية والسندية والأرمينية واليونانية واللاتينية واللتوانية والسلافية والقوطية والألمانية)، وكما هو واضح من عنوانه فإن هذا الكتاب عمل على تعميق وتأصيل الدراسة العلمية في (علم النحو) بصورة خاصة، والمقارن بصورة عامة. وبصدور هذا الكتاب أصبح فرانز بوب مرجعاً لمن جاء بعده من علماء اللغة الذين حذوا حذوه وتأثروا به وبمناهجه كلية حتى بعد منتصف القرن التاسع عشر. فى عام 1861 أصدر أوغست شليخر (August Schleicher) كتابه (تركيب النحو المقارن في اللغات الهندية الجرمانية. وفي نفس الوقت وحتى عام 1870 كان كل من بوت (Pott) وماكس مولر (Max Muller) وكورتيــــــوس (Jeorg Curtius)يطورون الدراسات النحوية ويؤسسون لدراسة (تاريخ الكلمة).

1. التطابق فى المعنى

2. الإشتراك فى الحقل الدلالي.

إن بنية المقابل اللغوي العربي و السنسكريتي ذات أهمية بالغة لكونها الجذر الذى ترتبط به المقابلات اللغوية. المفردات التى اتحدت بنيتها فيزيائيا و دلاليا فى العربية و السنسكريتية لا أقول بخصوصها سوى أنها تسر الناظرين، أما ما حدث فيه من تغيير فيجب أن تتم دراستها منهجيا على الأسس القوعدية التالية:[1]

1. الحذف: أن يحذف بعض الحروف التى تعد جزءا من الحذر الذى تربط به المقابلات.
2. الإبدال: أن يبدل صوت مكان صوت فى كلمة واحدة، على أن يبقى المعنى واحدا.[2]
3. القلب المكاني: أن يغير موقع الحروف فى داخل الكلمة، أو تبادل الأصوات المتجاورة أماكنها فى السلسلة الكلامية.[3]

---

[1] أنظر السيد كرامت حسين الكنتوري: فقه اللسان (مطبع نولكشور، لكنهو، الهند، 1915 م)

[2] أنظر فيه: أبو الطيب اللغوي: الإبدال. تحقيق عز الدين التنوخي (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1380 هـ/ 1961م. إبن السكيت: الأضداد، نشره هفنر Haffner في الكنز اللغوي في بيروت 1912. -إصلاح المنطق، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة 1956. -تهذيب الألفاظ، نشره لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1895. -القلب والإبدال في كتاب الكنز اللغوي تحقيق: هفنر، بيروت 1903، الزجاجي: الإبدال والمعاقبة والنظائر، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق 1963

[3] راجع حازم على كمال الدين: ظاهرة القلب المكاني فى المشترك السامي (القاهرة: مكتبة الآداب، 1990م)

مفردات المشترك العربي السنسكريتي:

المفردات التى تشكل هيكل المشترك العربي السنسكريتي لا توصف بالقليل، ندرج فى التالي أمثلة – لا حصرا– منها:

باب الهمزة: أب: pita، أتى: yati (طار، انتقل بسرعة)، أديم: Meda (الأرض)، أذن: agna، أروية (حيوان) : ari، أكار (فلاح): agar (الحقل)

باب الباء: بتك (قطع): ghataka (حطم)، برأ (خلق): pra-ga (إنتاج ذرية)، بر (أرض، حقل): pur (قرية، مدينة)، برق (لمع): bharg، بنت: patni

باب التاء و الثاء: تل (ارتفع) :tel ، تلا (تبع): tail، ثلاثة: tri

باب الجيم: جرش (سحق، دق) :grāsa (مزق، عض)، جرى:cara (ذهب)، جنز (ستر): gunth (غطى)، جن (شيطان): agni (إله النار)

باب الحاء: حب (أحب): api (صديق)، حرث: ris، حس (شعر): has-ta (حاس، شاعر)، حي: ayu (حياة)

باب الدال و الذال: دك (ضرب): dhak (حطم)، دار: dur-ya ، دوى (مرض، ضعف): du (احترق)، ذراع: adhra، ذكر: kri (ذكر)، ذنب (ذيل): dun (ذيل)

باب الراء: رأس: sira

باب السين: ستة: shash، ستر: str (غطى)، سجد: sukta (يسبح)، سجع: gai (يغنى)، سخط (سلخ، ذبح): hat-ya، سد (أغلق): setu، سرة (عضو الجسم): sarira، سري (الشخص المقدس): rsi, sri، سعر (أحرق): choor (أحرق)،

سقى: seka (إرواء)، سمع: sam (سمع)، سن، حد sana (حد)، سوط: suta (مضرب)، سار (ذهب): sar-a (ذهاب)، سيف: asi (سيف)

باب الشين: شتاء : sita (بارد)، شرب: surāpa (سكير)، شوك: suki (أداة حادة)، شيد: sada (قصر شامخ)

باب الضاد: ضحك: jaksa، ضر : dur-ta (أذى)، ضرة (الزوجة الثانية): dara (زوجة)، ضاعف: dva (إثنان)

باب الطاء: طيب: bat (طيب، جيد)

باب العين: عرج (صعد): rag (سما)، عز (قوى): isa (سيد، أمير)، عنق: neck (عنق)، عين: nai-na (عين)

باب الفاء: فت (مزق): bhid (شق، مزق)، فردوس: pradesa (مكان)

باب القاف: قرأ : guru (معلم)، قرن (عضو من الجسم): karnu ، قش (تبن): ghasa (تبن)، قصر: ksudra (قصر، صغير)، قصة (خصلة من الشعر): kesa (شعر)، قل (نقص): kala (جزء صغير)، قام: Mi (قائم)

باب الكاف: كئب (تألم): kopa (غضب)، كاس: kasha-ka(إناء للشراب)، كركم (زعفران): kurkum ، كفل (الضعف من الأجر أو الإثم): kapala (نصف، جزء)، كافور: karpura، كنة (زوجة الإبن): kanya (عذرآء، بنت)، كيس (خزينة): kosa

باب اللام: لبؤة: ripu (حيوان)، لا: na

باب الميم: مدينة: medini (أرض)، تمرد: mrd (حطم، خرب)، مرض: marta (مات، أرهق)، من (نوع من الطعام): mani (الشي الثمين أو النفيس)

باب النون: أناخ (أبرك): nah (قيد، ربط)، نار: naraka (جهنم، جحيم)[1]

---

[1] راجع التفاصيل فى :

Mohammad Ahmad Mazhar, *Sanskrit traced to Arabic* (Nusrat Art Press, 1982), pp. 22-202, Abhyankar, Kashinath V. (1986), *A Dictionary of Sanskrit Grammar*, Gaekwad's Oriental Series 134, Baroda: Oriental Institute, pp. 12-69, Monier-Williams, Monier (1898), *A Sanskrit-English Dictionary*, pp. 10-79, Oberlies, Thomas (2003), *A Grammar of Epic Sanskrit*, Walter de Gruyter, ISBN 3-11-014448-4, pp. 21-67, Edgerton, F. (1953), *Buddhist Hybrid Sanskrit grammar and dictionary*, New Haven: Yale University Press, pp. 6-104, Whitney, William Dwight (1889), *Sanskrit Grammar: Including both the Classical Language and the Older Dialects*, Breitkopf & Härtel, pp. 5-78, Salomon, Richard (1998), *Indian epigraphy: a guide to the study of inscriptions in Sanskrit, Prakrit, and the other Indo-Aryan languages*, New York: Oxford University Press, ISBN 0-19-509984-2, pp. 32-98, Stiehl, Ulrich (2011), *The Original Pronunciation of Sanskrit*, Germany: Verlag Forkel, ISBN 978-3-7719-0086-1, 978-3-7719-0085-4, 978-3-87081-539-4, pp. 12-56, Cameron, Bruce (1992), *Sanskrit Pronunciation*, S.l.: Theosophical Univ Press, ISBN 1-55700-021-2, pp. 26-87, Kale, M. R. (Moreshwar Ramchandra) (1988) [1894], *A Higher Sanskrit Grammar*, Delhi: Motilal Banarsidass, ISBN 81-208-0178-4, pp. 32-68, Maurer, Walter Harding (2000), *The Sanskrit Language: An Introductory Grammar and Reader*, Richmond, Surrey: Curzon Press, ISBN 0-7007-1382-4, pp. 11-107, Whitney, William Dwight *The Roots, Verb-Forms and Primary Derivatives of the Sanskrit Language*, pp. 5-97.

تحليل:

فى الأمثلة المذكورة أعلاه نرى أن عددا من الحروف حذفت فى المقابل السنسكريتي، مثل حذف الهمزة فى pita, padut, meda, mata، بينما حذف الباء فى dun والحاء فى ris و الخاء فى vya و الذال فى kri و الشين فى hatya و الفاء فى asi و القاف فى mi و الياء فى du . أما الإبدال فهو موجود فى أمثلة مثل : إبدال الهمزة ياءا فى: yati ، و إبدال الباء غينا فى: ghataka ، وإبدال التاء فى : bhid ، و إبدال الخاء هاءا فى: nah و إبدال الدال تاءا فى: setu, sukta، و إبدال الضاد تاءا فى : marta و إبدال الكاف جيما فى: agra ، و إبدال اللام نونا فى: na

أما القلب المكاني فنجده فى تقديم التاء على النون فى: patni , تقديم الراء على السين فى: rsi و تقديم السين على الراء فى : sira و تقديم الميم على الدال فى : meda .

من المهم أن نلاحظ أن الأبجدية السنسكريتية لا توجد فيها أصوات الحاء و اعين و القاف، فالأمثلة التى توجد فيها صور إحلال الهاء محل الحاء (hasta) و إحلال الجيم محل القاف (guru) و إحلال الكاف محل القاف (seka, neck, ksudra, kala) تندرج ضمن التغير التاريخي للصوت.

حازم على كمال الدين: المشترك السامي السنسكريتي (القاهرة: مكتبة الآداب، 2006م)، ص. 39–108، علي العناني وليون محرز ومحمد عطية الأبراشي: المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية (القاهرة: وزارة المعارف، 1947م). ص 23–98

من المعروف أن المعنى نوعان: أساسي و غير أساسي، فعندما نقول: يد الرجل فكلمة اليد يختلف معناها هنا عن اليد فى: يد السكين و يد الطائر. توجد هاتان الحالتان فى المشترك العربي السنسكريتي. فكلمات: hatya, sarira, ari, pita, ris – مثلا– تؤدي المعنى الأساسي، بينما كلمات مثل: gai, naraka, pradesa, patni, seta تؤدى المعنى العام أو معنى مستحدثا أو تغيير المعنى الأصل فى أبعاد تخصيص المعنى و تعميم المعني و انتقال المعنى.

قضية تأصيل المعنى فى المشترك اللغوي بين العربية و السنسكريتية يؤسس منظومته جزئيا على مشروع المعجمية التاريخية التى تكاد العربية تصفر منها. [1] توجد ألفاظ مترادفة المعنى فى اللغات الهندأوربية و اللغات السامية. و هذا موضوع ألف فيه العرب قديما (الأصمعي ت 217 هـ: "ما اختلفت ألفاظه و اتفقت معانيه"، إبن خالويه ت 370 هـ:" أسماء الأسد"، الرماني ت 384 هـ: الألفاظ المترادفة المتقاربة معنى"). يكتب الرمانى: فصل : أخفى / ستر: أخفى و ستر و أجن و أكن و طوى و أبطن و أضم و كتم و كفر و أسر وجنز و طمر". [2] ندرك المشترك السامي بتحليل بنية الكلمات السابقة. فكلمة أخفى موجودة فى العبرية و السريانية، و كلمة جنز موجودة فى الحبشية و العبرية و السريامية، و كلمة ستر موحودة بالحبشية و العربية و السريانية، و كلمة طمر موجودة بالعبرية و السريانية. و عندما

---

[1] أوغست فيشر August Fischer هو الذي عرض فكرة وضع قاموس تاريخي للغة العربية، وذلك في مدينة بازل 1907 ثم في كوبنهاغن 1908 وأثينا 1912 وقد تمت الموافقة على إعداده سنة 1936 بناء على اقتراح مجمع اللغة العربية في القاهرة عندما أصبح فيشر أحد الأعضاء الأوائل في "مجمع فؤاد الأول للغة العربية.

و هناك محاولات مثل عمل محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية وثائق و نماذج (دار السلام، القاهرة، ط1، 2008)، إضافة ندوات فى فاس و الدوحة.

[2] أبو الحسن الرماني: الألفاظ المترادفة. تحقيق فتح الله صالح المصري (القاهرة: دار الوفاء، 1983م)، ص. 63.

ننظر فى المشترك السامي السنسكريتي نلاحظ أن أقدم الكلمات الدالة على معى الإخفاء هى: أخفى و جنز و ستر، و ذلك لوجود هذه الكلمات فى اللغة السنسكريتية، و هى: vya (أخفى)، gunth (غطى) str (ستر). و هاك مثال آخر: يكتب الرماني: "فصل لمع / برق: لمع و برق و تألق و توهج و سطع و زهر و لاح و لمح و أوفض و أضاء و أنار و أشرق و تلألأ". [1] أقدم هذت الكلمات : برق و زهر، لأن بنية هاتين الكلمتين فى اللغات السامية هى: برق فى العبرية و السريانية، و زهر فى العبرية و السريانية، و لكن أقدم كلمة هى : برق، لوجود هذه الكلمة (bharg) فى السنسكريتية. و إذا حللنا كلمتى : سقى و روى، نلاحظ أن كلمة روى موجودة فى العبرية و السريانية و الحبشية، و كلمة سقى موجودة فى الحبشية و السريانية و الآشورية، و لكن كلمة سقى أقدم من كلمة روى، لوجود كلمة سقى بمعنى الإرتواء فى اللغة السنسكريتية.

خاتمة:

السنسكريتية أم اللغات الهند أوربية، و اللغة العربية أحدث اللغات السامية، و لغة القرآن الكريم. من الخطأ أن نعتبر اللغة السنسكريتية لغة ميتة كالمصرية الفرعونية و الأكادية بفرعيها البابلي و الآشوري، و اللاتينية. [2] يزخر التاريخ العربي بأوجه من الإحتكاك مع ثقافات و لغات الشعوب المجاورة لها، و منها الشعوب القاطنة فى شبه القارة الهندية أخذا و عطاءا. [3]

---

[1] المصدر نفسه، ص. 66.

[2] اعتقده خطأ مؤلفون عرب و سواهم مثل حسن ظاظا صاحب "اللسان و الإنسان" (دار المعارف، القاهرة، 1971م) و حازم على كمال الدين (مؤلف كتب مثل المشترك السامي السنسكريتي" (مكتبة الآداب، القاهرة، 2006م.

[3] أنظر للباحث: الترجمة الأدبية و الدينية و التريخية الفلسفية فى الهند. كتاب المؤتمر الدولي عن التواصل الحضاري العالمي: الهند و إيران نموذجا. كلية الآداب، جامعة الكويت (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي و مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، 2007) الجزأ الثاني. ص. 497–566.

المشترك السامي السنسكريتي هو اللفظ الذى يوجد فى ثلاثة أو أربعة من اللغات السامية إضافة وجودها فى اللغة السنسكريتية، إذ هذه اللغات تشارك تلك الكلمات من لغة هى المصدر الأقدم المشترك بينها، بينما المشترك اللغوي العربي السنسكريتي ما وجد فى اللغتين العربية والسنسكريتية.

اللغة العربية توجد فيها كمية لا بأس بها من الكلمات التى يرجع أصلها إلى اللغة السنسكريتية. الظاهرة هذه راجعة أصلا إلى أبعاد التفاعل و التلاقح بين لغات الإنسان المخلوق شعوبا و قبائل و الخاضع لناموس التطور الطبيعي [1] لغة و اجتماعا .

---

[1] يراجع فيه رمضان عبد التواب: التطور اللغوي (مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، **1983**م)

المصادر و المراجع:

1. العربية:

إبن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت 321 هـ) : الاشتقاق، ط جوتنجن ،1584 ثم حققه عبد السلام هارون القاهرة 1958.

إبن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الأهوازي (ت 244 هـ): الأضداد، نشره هفنر Haffner في الكنز اللغوي في بيروت 1912.

-إصلاح المنطق، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة 1956.

-تهذيب الألفاظ، نشره لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1895.

-القلب والإبدال في كتاب الكنز اللغوي تحقيق: هفنر، بيروت 1903.

الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502 هـ) : المفردات في غريب القرآن، القاهرة 1324.

بروكلمان، كارل: فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب (مطبوعات جامعة الرياض، السعودية، 1397 هـ/1977م)

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن (ت 540 هـ) : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، حققه: ساخاو Sachau في ليبزج 1827، وأحمد محمد شاكر بالقاهرة، دار الكتب 1360.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت 1069 هـ) : شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، القاهرة 1282، 1325هـ

الرماني، أبو الحسن، على بن عيسى (ت 384 هـ) : الألفاظ المترادفة. تحقيق فتح الله صالح المصري (القاهرة: دار الوفاء، 1983م)

الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق *الزجاجي* (ت 337 هـ): : الإبدال والمعاقبة والنظائر، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق 1963.

شير، أدي: الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت 1908 . طهران 1965.

صالح، عبد الرحمن الحاج : مدخل إلى علم اللسان الحديث (مجلة يصدرها معهد العلوم اللسانية والصوتية لجامعة الجزائر)، الجزائر، 1972، المجلّد الثاني، العدد الأول)

الطعان، هاشم: تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة، مطبعة الإرشاد- بغداد .

ظاظا، حسن : اللسان و الإنسان (دار المعارف، القاهرة، 1971م)

ظاظا، حسن : الساميون و لغاتهم (القاهرة: دار المعارف، 1981م)

عبد التواب، رمضان: التطور اللغوي (مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1983م)

عبد العزيز أ محمد حسن : المعجم التاريخي للغة العربية وثائق و نماذج (دار السلام، القاهرة، ط1، 2008)

علي، جواد: تاريخ العرب قبل الإسلام 8 أجزاء، بغداد 1950.

العناني، علي وليون محرز ومحمد عطية الأبراشي: المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة

بين اللغات السامية (القاهرة: وزارة المعارف، 1947م)

الكرملي، انستاس ماري: نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها (القاهرة: المطبعة العصرية، 1938م)

كمال الدين، حازم على: المشترك السامي السنسكريتي (القاهرة: مكتبة الآداب، 2006م)

كمال الدين، حازم على: ظاهرة القلب المكاني فى المشترك السامي (القاهرة: مكتبة الآداب، 1990م)

الكنتوري، السيد كرامت حسين: فقه اللسان (مطبع نولكشور، لكنهو الهند، 1915 م)

اللغوي، أبو الطيب، عبد الواحد بن على (ت 351 هـ) : الإبدال. تحقيق عز الدين التنوخي (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1380 هـ/ 1961م.

موسكاني: الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر (بيروت: دار الرقي، 1986م)

الندوي، محمد ثناء الله: التراث الهندي في الحضارة الإسلامية، مجلة المجمع العلمي الهندي، المجلد الثالث عشر، العدد المزدوج 1-2.

الندوي، محمد ثناء الله: الترجمة الأدبية و الدينية و التريخية الفلسفية فى الهند . كتاب المؤتمر الدؤلي عن التواصل الحضاري العالمي: الهند و إيران نموذجا . كلية الآداب، جامعة الكويت (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي و مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، 2007) الجزأ الثاني.

ياقوت، محمود سليمان: منهج البحث اللغوي (دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط1، 2000م)

2. الأجنبية:

Abhyankar, Kashinath V. (1986), *A Dictionary of Sanskrit Grammar*, Gaekwad's Oriental Series 134, Baroda: Oriental Institute.

Burrow, T. (2001), *Sanskrit language*, Motilal Banarsidass, ISBN 81-208-1767-2.

Cameron, Bruce (1992), *Sanskrit Pronunciation*, S.l.: Theosophical Univ Press, ISBN 1-55700-021-2.

Cannon, Garland H.; & Brine, Kevin. (1995). *Objects of enquiry: Life, contributions and influence of Sir William Jones*. New York: New York University Press.

Chatterji, Suniti Kumar (1960), *Indo-Aryan and Hindi*, Firma K. L. Mukhopadhyay.

Edgerton, F. (1953), *Buddhist Hybrid Sanskrit grammar and dictionary*, New Haven: Yale University Press.

Garland Cannon, The Life and Mind of Oriental Jones: Sir William Jones, the Father of Modern Linguistics. Cambridge University Press; 1 edition (March 30, 2006)

Goldman, Robert P. (1999), *Devavāṇīpraveśikā: An Introduction to the Sanskrit Language*. Berkeley: Center for South Asia Studies, University of California.

Jones, Sir William, *The Sanscrit Language* (1786) Royal Asiatic Society of Bengal.

Kale, M. R. (Moreshwar Ramchandra) (1988) [1894], *A Higher Sanskrit Grammar*, Delhi: Motilal Banarsidass, ISBN 81-208-0178-4

MacDonell, Arthur Anthony (1900), *A History of Sanskrit Literature*, Kessinger Publishing (2004), ISBN 14179-0619-7

Masica, Colin (1991), *The Indo-Aryan Languages*, Cambridge: Cambridge University Press, ISBN 978-0-521-29944-2

Maurer, Walter Harding (2000), *The Sanskrit Language: An Introductory Grammar and Reader*, Richmond, Surrey: Curzon Press, ISBN 0-7007-1382-4

Monier-Williams, Monier (1898), *A Sanskrit-English Dictionary*. End Print ISBN- 10: 019864308X, ISBN-13: 9780198643081, Oxford University Press.

Mueller, Max, *A History of Ancient Sanskrit Literature So Far As It Illustrates the Primitive Religion of the Brahmans* (1859)

Oberlies, Thomas (2003), *A Grammar of Epic Sanskrit*, Walter de Gruyter, ISBN 3-11-014448-4

Pollock, Sheldon I. (2006), *The language of the gods in the world of men: Sanskrit, culture, and power in premodern India*, University of California Press, ISBN 978-0-520-24500-6

Robin, R.H., *A Short History of Linguistics* (Longman London, 1967)

Salomon, Richard (1998), *Indian epigraphy: a guide to the study of inscriptions in Sanskrit, Prakrit, and the other Indo-Aryan languages*, New York: Oxford University Press, ISBN 0-19-509984-2

Stiehl, Ulrich (2011), *The Original Pronunciation of Sanskrit*, Germany: Verlag Forkel, ISBN 978-3-7719-0086-1, 978-3-7719-0085-4, 978-3-87081-539-4

Mazhar, Mohammad Ahmad, *Sanskrit traced to Arabic* (Pakistan: Nusrat Art Press, 1982)

Whitney, William Dwight (1889), *Sanskrit Grammar: Including both the Classical Language and the Older Dialects*, Breitkopf & Härtel.

Whitney, William Dwight *The Roots, Verb-Forms and Primary Derivatives of the Sanskrit Language*, Breitkopf & Härtel.

Winnett, F.V. and W.L. Read., *Ancient Records from North Arabia* (University of Toronto Press, 1970)

Winnett, F.V. and W.L. Read., *A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions* (University of Toronto Press, 1937)

Wright, W., *Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic languages*. Ed. by W.R. Smith (Cambridge 1890. Reprint: 1966)

Young, G.D., *Concordance of Ugaritic*. (Analecta Orientalia 36), Roma: Pontificium Institutum Biblicum 1956 (k. literatury z Ras Szamra).

دار الكتاب العربي

تجزئة الآمال 01 فيلا رقم 27. الخرايسية. الجزائر

الهاتف: 021 41 57 61

الفاكس: 021 31 44 51

الجوال: 0661 91 77 73